تاريخ الدولة العباسية

دكتـــور

محمد أحمد إبراهيم

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب ـ جامعة بنى سويف

مراجعة وإشراف

أ. د. عبادة عبد الرحمن كحيلة

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

٢٠٠٦



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين محمد ابن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين . وبعد ،

يتناول هذا الكتاب تاريخ الدولة العباسية ، التى تعد من أطول الدول الإسلامية فى التاريخ عمراً ، فقد بدأت منذ عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ، وانتهت بسقوطها على أيدى المغول عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وهى فترة زمنية طويلة شهدت الكثير من الأحداث داخلياً وخارجياً ، كذلك امتدت هذه الدولة من حيث الإتساع المكانى فشملت مساحة كبيرة من الوطن العربى الإسلامى ، إذ امتدت من حدود الصين شرقاً حتى الجزائر بالمغرب غرباً .

وقد ركز الكتاب فى تناوله لتاريخ هذه الدولة على الجانب السياسى مراعاة لحجم الكتاب ، مفضلين أن يكون للجانب الحضارى دراسة أخرى مستقلة فى القريب العاجل .

يتناول هذا الكتاب فى الفصل الأول سقوط الدولة الأموية كمدخل طبيعى لدراسة الدولة العباسية ، أما الفصل الثانى فتناول الدعوة العباسية من حيث بدايتها وتنظيمها ورجالها ، محللاً عوامل النجاح ودور كل عنصر فى نجاح الدعوة . أما الفصل الثالث فتناولنا فيه العصر العباسى الأول ١٣٢هـ/ ٢٣٢هـ ، من خلال خلفائه ، مفضلين الحديث عن أهم القضايا والأحداث التى استغرقتها فترة كل خليفة ، بداية من السفاح وحتى الواثق بالله ، وفى الفصل الرابع تناولنا السياسة الخارجية للدولة العباسية خاصة مع البيزنطيين ودولة الفرنجة ، كذلك علاقات العباسيين مع الأمويين بالأندلس ثم المغرب الإسلامى ، وأخيراً علاقات العباسيين مع دول جنوب شرق آسيا .

أما الفصل الخامس فقد خصصناه للحديث عن العصر العباسى الثانى (٢٣٢ ـ ٦٥٦هـ) مركزين على ظهور العنصر التركى فى الخلافة العباسية

وبداية نفوذهم من عهد المتوكل حتى المهدى ، ثم نهضة وانتعاش الخلافة فى عصر الخليفة المعتمد على الله وأخيه الموفق طلحة ، إنتهاءً بعصر إمرة الأمراء فى عصر الخليفة الراضى .

وقد خصصنا الفصل السادس للحديث عن الخلافة العباسية فى عصر بنى بويه (٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ) موضحين بداية ظهورهم ثم نفوذهم وسياستهم مع الخلفاء العباسيين، حتى زوال دولتهم على أيدى السلاجقة عام ٤٤٧هـ .

وفى الفصل السابع تناولنا وضع الخلافة العباسية فى العصر السلجوقى (٤٤٧ ـ ٦٥٦هـ) بدءً من ظهور السلاجقة ثم سيطرتهم على العراق وسياستهم مع الخلفاء العباسيين ، كذلك تناولنا أشهر سلاطين السلاجقة وأهم أعمالهم من خلال عصر سلاطين السلاجقة العظام ، ثم انتهينا بعصر إنقسام السلاجقة وسقوط دولتهم على أيدى الدولة الخوارزمية .

أما الفصل الثامن والأخير فقد استعرضنا فيه باختصار ظهور المغول وسقوط الخلافة العباسية على أيديهم عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وأخيراً حاولنا أن نزود الكتاب ببعض الملاحق والخرائط المعينة لدراسة الدولة العباسية ، راجين من المولى عز وجل أن ينال هذا الجهد المتواضع رضا القارئ الكريم .

وفى النهاية لا يسعنى إلا أن أتقدم بوافر الشكر وجزيل العرفان **لأستاذى الفاضل أ. د. عبادة كحيلة** على تفضله للإشراف والمراجعة لهذا العمل ، فجزاه الله عنى كل خير .

د/ محمد أحمد إبراهيم

الهرم فى رمضان ١٤٢٧هـ ـ أكتوبر ٢٠٠٦م

إهـــــداء

إلى حسن أحمد محمود

أستاذًا ... وعالمًا ... وإنسانًا

نهر من العطاء ... في زمان عزَ فيه العطاء

هذا بعض منك ... أرده إليك

محمد أحمد إبراهيم

الفصل الأول

سقوط الدولة الأموية

سقوط الدولة الأموية

شهد عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م سقوط الدولة الأموية فى معركة الزاب الأعلى[1]، تلك المعركة الفاصلة والحاسمة فى تاريخ هذه الدولة ، التى حكمت العالم الإسلامى بعد انقضاء حكم الخلفاء الراشدين .

وقد ظلت هذه الدولة لمدة واحد وتسعين عاما منذ (٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م) وكان عدد خلفائها أربع عشرة خليفة ، كان أولهم الخليفة معاوية بن أبى سفيان المؤسس الأول لها ، وآخرهم الخليفة مروان بن محمد الجعدى .

والحقيقة أن سقوط دولة وقيام دولة أخرى مكانها ، لا يتحدد بالمعركة وحدها ، فهناك الكثير من العوامل والأسباب التى تكمن وراء هذا الحدث[2]، فلم تكن معركة الزاب الأعلى إلا نتيجة ومحصلة طبيعية لمجموعة من الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى أخذت فى النمو منذ أول خلفائها وهو معاوية بن أبى سفيان وشاء لهذه الظروف أن يتم نضجها وتتفاعل خلال عشرات السنين لتكون نهاية هذه الدولة فى عهد مروان بن محمد .

وقد درج أكثر المؤرخين على تحديد بعض الأسباب التى أدت إلى سقوط الدولة الأموية مرجحين البعض منها على البعض الآخر ، دافعهم إلى ذلك إبراز أحد الجوانبَ وتغليب أهميته ، فمنهم من يركز على الجانب السياسى ومنهم من يرجح الجانب الاقتصادى أو الجانب الاجتماعى [3].

---

(١) نهر الزاب الأعلى هو أحد روافد نهر دجلة من جهة الشرق .

(٢) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، دار الكتاب الحديث ١٩٩٦، ص١٦٦ .

(٣) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ، ١٩٧٧ ، ص٣٨ .

والحقيقة أن سقوط الدولة الأموية لا يحدده جانب دون آخر ، إذ إن حركة التاريخ فى مسارها الطبيعى تؤثر فيها جميع العوامل والأسباب ، فقد يقوى عامل على آخر ولكنه فى النهاية لا ينعزل عن بقية العوامل الأخرى، وحتى لا نستطرد فى الحديث عن فلسفة التاريخ ومساراته ، نعود مرة أخرى إلى الحديث عن عوامل سقوط الدولة الأموية وانهيارها ، كمدخل طبيعى قبيل الحديث عن قيام الدولة العباسية .

تأتى المعارضة للحكم الأموى فى مقدمة الأسباب المؤدية لسقوط الدولة ، فإذا كان المسلمون قد ارتضوا بحكم معاوية بن أبى سفيان وقبلوا خلافته على مضض ، فإن غالبية المسلمين انكروا خلافة من جاء من بعده من الخلفاء ، حتى كثرت الثورات وحركات المعارضة خاصة بعد أن ظهرت بعض الأحزاب السياسية كالشيعة والخوارج والمرجئة والمعتزلة ، فكان الأمويون لا يعالجون ثورة إلا ويدخلون فى علاج ثورة أخرى[١] بسبب هذه المعارضة المستمرة لهم من جانب هذه الفرق والأحزاب .

الشيعة :ـ

رأى الشيعة ـ أنصار على بن أبى طالب ـ أن الخلافة هى حق لآل البيت من نسل على والسيدة فاطمة رضى الله عنها ، وأن خلافة الأمويين باطلة من أساسها ، بل كانوا دائماً ما يرددون قول على بن أبى طالب بأنه وأهل بيته الثمرة ، وقريش هى الشجرة ، والثمرة أفضل من الشجرة .

وعلى الرغم من ظهور الشيعة كجماعة سياسية بعد مقتل على ، فإن معركة « كربلاء » ومقتل الحسين بن على عام ٦١هـ/ ٦٨٠م ، قد زاد فى

---

(١) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى ، دار الصحوة ١٩٨٧ ، ص٨٧ .

أعداد المناصرين لهم ، كما ازداد سخط الناس على بنى أمية الذين قتلوا ابن بنت رسول الله (ﷺ) دون مراعاة لنسبه ، حتى أن البعض يعتقد أن مأساة كربلاء كانت بداية النهاية للحكم الأموى ، فقد تمت بهذه الواقعة محنة لعلى فى أبنائه ، لم يمتحن بمثلها مسلم من قبل هذا اليوم ، فقد قتل فى يوم واحد سبعةٌ من أبناء فاطمة ، وخمسة من أحفادها[1].

وكان من نتائج هذه المحنة أن رأى الشيعة وأهل الحجاز بصفة خاصة أن طاعة يزيد بن معاوية لم تعد واجبة بعد هذه المحنة ، بل يجب الخروج عليه وعلى بنى أمية ، فانطلقت حركة التوابين بتأثير مقتل الحسين ، إذ رأى شيعة الكوفة بعد أن خذلوا الحسين أنه لن يغسل عارهم ويريح ضمائرهم إلا القيام بثورة أخرى يقتلون فيها قتلة الحسين أو يقتلون ، وقد تزعم حركتهم سليمان بن صرد الخزاعى ، والتقى بهم جيش عبد الملك بن مروان بقيادة ابن زياد واليه على العراق وتمكن من هزيمتهم[2].

وقد استمرت ثورات الشيعة المطالبين بحقهم فى الحكم والخلافة من جانب أبناء الحسين بن على ، فقام زيد بن على بن الحسين بثورة بالكوفة، وقام بالأخرى ابنه يحيى بن يزيد ، وقد قابل الأمويون هذه الثورات الشيعية بالعنف الشديد ، ولم يشفع لأهلها عندهم قرابتهم لرسول الله (ﷺ)[3]، وعلى الرغم من نجاح الأمويين فى القضاء على ثورات الشيعة ، غير أن نضالهم ظل مستمراً ودعوتهم منشورة فى جميع أرجاء الدولة الإسلامية .

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٥ ، ص٥ .

(٢) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والإنهيار الداخلى ، ص٣٩ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٥ ، ص١٤ .

الخــوارج :

كانت الخوارج عكس الشيعة ، إذ سموا بالخوارج لخروجهم على علىّ بن أبى طالب أثناء معركة صفين وبعد حادثة التحكيم ، وكان هؤلاء قد أجبروا عليا على قبول التحكيم حين لجأ معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص إليه حين أدركتهم الهزيمة ، وعلى الرغم من إجبارهم لعلى لقبول التحكيم ، فإنهم كانوا أول من احتج بعد ذلك لقبوله التحكيم بعد خديعة عمرو بن العاص ، رافعين شعار (ألاّ حكم إلاّ لله) ، كما هجروا جيش على منسحبين إلى قرية تدعى حروراء بالقرب من الكوفة ، واختاروا لهم قائداً عليهم يسمى عبد الله بن وهب الراسبى ، ونظراً لارتباطهم بهذه القرية فقد سموا بالحرورية ، كما سموا أنفسهم ـ أيضًا ـ بالشراة لأنهم على زعمهم أشتروا أنفسهم بأن باعوها فى سبيل الله ، أما أعداؤهم من جماعة المسلمين فقد سموهم الخوارج لخروجهم عن الجماعة وشق عصا الطاعة(١) .

وقد عارض الخوارج الحكم الأموى منذ بدايته ، إذ اعتبروا أن الخلافة حق مباح لكل مسلم حر يبايعه المسلمون ، وأن معاوية بن أبى سفيان مغتصب لهذا الحق ، فضلاً عن تحويله الخلافة إلى مُلك وراثى ، لذلك اشتدت ثوراتهم طوال العصر الأموى ، وقد قاتل الأمويون الخوارج بضراوة بعد أن شكلوا قوة مؤثرة فى هدم الدولة الأموية واستنفاد طاقاتها العسكرية ، خاصة وأنهم كانوا يجيدون الكر والفر ، ولم يدخروا جهداً أو مالاً أو نفساً فى سبيل ما آمنوا به(٢) .

وتعتبر ثورة الضَحَّاك بن قيس الشيبانى من أعنف ما قاموا به من

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٥ .

(٢) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، مكتبة دار العلم بالفيوم ، ٢٠٠٥ ، ص١٦ .

ثورات خاصة فى أواخر عهد الخليفة مروان بن محمد ، فقد ثاروا أولاً بالكوفة عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م ولكنهم انهزموا ، غير أنهم عادوا فيما بعد إلى العراق فى منتصف ١٢٨هـ/ ٧٤٦م وسيطروا على العراق وعلى قسم من فارس ، وقد استطاع الضحاك بن قيس أن يضم إليه عدداً كبيراً من اليمنية ومن غيرهم ، حتى اجتمع تحت لوائه ١٢ ألف رجل ، عندئذ سار مروان ابن محمد بنفسه لقتال الضحاك ، فلقيه عند كفر توثا (من أعمال الجزيرة) فقتله وهزم جيشه فى أواخر عام ١٢٩هـ/ ٧٤٨م ، وحينئذ انسحب الخوارج نهائياً إلى منطقة الجبال فى غربى فارس[1] . ليبدأوا مرحلة جديدة فى بلاد فارس بعد أن نجحوا فى استقطاب عدد كبير من الموالى بعد رفع شعار المساواة ، فاستطاعوا بذلك إثارة شعوب الدولة الإسلامية ضد الدولة الأموية .

المرجئة :-

هى إحدى الفرق التى تقول إن الفرق الثلاث (الأمويين ـ الشيعة ـ الخوارج) مؤمنون ، وبعضهم مخطئ وبعضهم مصيب ، ولا يمكن معرفة المصيب من المخطئ ، لذلك رأوا إرجاء هذا الأمر إلى الله وحده ليفصل فى أمرهم يوم الدين ، كانت أهم مبادئهم ضرورة العودة إلى القرآن والسنة، وانتخاب حكومة ترضى عنها الأغلبية ، ولم تكن ثورة الحارث بن سريج إلا نتيجة لتذمر الموالى فى بلاد ما وراء النهر بعد أن شاعت أفكار المرجئة ودعوتهم للمساواة[2] .

---

(١) عمر فروخ : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٠ ، ص٢٠٢ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٧ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : نفس المرجع ، ص١٠ .

المعتـزلـة :ـ

نشأت فرقة المعتزلة بالبصرة ، وسرعان ما انتشرت فى العراق كله ، والمعتزلة أكثر الفرق استفادة من الفلسفة اليونانية ، بدأت طائفة دينية لا دخل لها بالسياسة ، ثم ما لبثت أن خاضت فى السياسية ، فتكلم المعتزلة فى الإمامة والشروط التى يجب أن تتوفر فى الإمام ، وشرعية تولى معاوية الخلافة ونظام الوراثة الذى أدخله الأمويون ، والشورى وإغفالهم لها ، والتحكيم وموقف معاوية من على ، كل ذلك كان له أثر كبير فى ازدياد المعارضة ضد الحكم الأموى ، خصوصاً وأن آراءهم كانت منطقية ونابعة من سلطان العقل[1] .

مما سبق يتضح أن حركات المعارضة للحكم الأموى شكلت جبهة ضغط على كيان وقوة الدولة الأموية ، وهو بلا شك قد أثر تأثيراً قوياً فى صمودها أو بقائها فترة زمنية أطول من ذلك ، بل كان أحد العوامل المعجلة بنهايتها .

الموالـى [2]:ـ

بالرغم من أن الإسلام سوَّى بين الناس على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3] .

غير أن بنى أمية لم يحققوا مبدأ المساواة الذى نادى به الإسلام ، ذلك المبدأ الذى كان أحد عوامل اعتناق الموالى للإسلام ، فقد انحاز الأمويون

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٩ .

(٢) الموالى هم الشعوب غير العربية التى اعتنقت الإسلام ، كالفرس والترك والروم والهنود .

(٣) سورة الحجرات ، آية ١٣ .

إلى العرب وأساءوا معاملة الموالى ، فلم يسمحوا لهم بأُعطيات ثابتة بالديوان وإنما اقتصروا على منحهم نصيب من الفيء ، كما تمادى بعض ولاة الأمويين فى طردهم من المدن إلى الريف الذى جاءوا منه ، وفى تثبيت الجزية على من أسلم منهم حديثًا خاصة أهالى بلاد ما وراء النهر[1]، بل إن العرب أنفسهم كانوا ينظرون إلى الموالى باستعلاء وأنفة ، لذلك ما لبث هؤلاء الموالى أن أصبحوا أعداءً للعرب أنفسهم ، بل مثلوا قوة ساخطة فى وجه الحكم الأموى ، فكانوا دائمًا على استعداد للثورة وإزالة حكمهم ، فقد قبل الموالى الإسلام ولكنهم لم يقبلوا سيادة العرب والأمويين وعدم المساواة ، لذلك كله كان من الطبيعى أن تقبل الموالى أفكار الخوارج الداعية إلى المساواة بين جميع المسلمين بغض النظر عن أى تفاوت بينهم وبين غيرهم ودون أى تمييز عنصرى ، خاصة وأنهم كانوا يشعرون بخصوصيتهم التى تعود إلى عهود بعيدة قبل الإسلام ، حين كانت لهم دول كبيرة وحضارات أقدم من حضارة العرب وأرقى ، بل كانت حضارتهم رافداً من روافد الحضارة الإسلامية[2].

لذلك انضم الموالى إلى الحركات المعارضة للحكم الأموى وخاصة ثورات الخوارج والمرجئة فى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، فتزعم الحارث بن سريح التميمى ثورة فى بلاد ما وراء النهر استمرت عدة سنوات ، وكان تصدى الأمويون لها استنزافًا آخر لقوتهم وسببًا فى سقوط الدولة .

---

(١) عبد الناصر إبراهيم : تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة ٢٠٠١ ، ص٢٨٦ .

(٢) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص١٦٨ .

العصبيــة القبليــة :ـ

لم يقف تعصب بنى أمية للعرب وانحيازهم لهم عند حد كونهم عرباً، بل امتد ذلك إلى نطاق أضيق إذ اختصوا بعض أقسام العرب بهذا التعصب أيضاً ، فقد كان العرب ينقسمون إلى يمانية وقيسية ، وكان حكام بنى أمية ينحازون إلى أحد الفريقين على حساب الفريق الآخر ، فقد ازداد نفوذ اليمانية فى عهد معاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد ، ويبدو أن سياسة معاوية كانت ترمى إلى جذبهم إليه ليواجه بهم معارضة أهل الحجاز لنظام حكمه الملكى الوراثى ، كذلك سار يزيد على نفس سياسة أبيه ، فكان جيش يزيد ـ أغلبه ـ من اليمانية الأمر الذى أثار حفيظة القيسية[١] .

وفى عهد عبد الملك بن مروان ناصر عبد الملك القيسية ضد اليمانية واعتمد على رجال من بنى ثقيف القيسيين للقضاء على الثورات الخارجية ضدهم ، وكذلك تعصب الوليد بن يزيد للقيسية وكانت أمه قيسية ، وتعصب يزيد بن الوليد لليمانية بالشام للإطاحة بخلافة ابن عمه الوليد بن يزيد ، وهو ما أثار ثائرة العرب القيسية بالشام ، وكان نتيجة ذلك مقتل الوليد بن يزيد عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م[٢] .

ولما ولى مروان بن محمد الخلافة ، تعصب للقيسية فثارت عليه اليمانية ، ولم تقتصر هذه العصبية على عاصمة الخلافة ، بل امتدت إلى الأمصار خصوصاً خراسان وشهد العصر الأموى حروباً أهلية مريرة فى الولايات الإسلامية ، تلك الحروب التى عجلت بنهاية الدولة وأتاحت

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص١٢ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨ ، إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأولى ، ص١٦ .

الفرصة للشيعة والخوارج ليرتعوا فيها ويعملوا ما يشاءون حتى يقضوا على دولة الأمويين داخل بلاد الشام وخارجها[1].

هكذا كانت العصبية القبلية التى اعتمدت عليها الدولة سببًا فى هدم كيان الدولة وسقوطها .

ولاية العهد :-

نجح معاوية بن أبى سفيان فى الوصول إلى حكم الدولة الإسلامية عقب مقتل الخليفة على بن أبى طالب على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم المرادى (١٧ رمضان ٤٠هـ) وبعد تنازل الحسن بن على له عن الخلافة ، وبعد أن بويع فى عام الجماعة (٢٥ ربيع الثانى ٤١هـ) بالخلافة بحضور الحسن والحسين .

وعلى الرغم من رضى المسلمين بخلافة معاوية أملاً فى حقن دماء المسلمين وتحقيق العدل والأمان ، فإن معاوية أراد الاستئثار بالخلافة وتحويلها ملكية وراثية فى أسرته ، وهو نوع آخر من العصبية أضيق من العصبية القبلية وهى عصبية الأسرة ، فقد حمل معاوية الناس على الاعتراف بولده يزيد خليفة من بعده وولى عهد له ، وقد سلك لتحقيق ذلك سياسة الوعد والوعيد والترغيب والترهيب حتى تمت البيعة ليزيد[2]، ويبدو أن مجاورة معاوية للدولة البيزنطية بالشام ، والتى كانت تأخذ بنظام وراثة العرش ، كانت سببًا فى تأثر معاوية فضلاً عن رغبته فى إبعاد أبناء على وأحفاده عن الخلافة .

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص١٣ .

(٢) محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى الشرق ، مكتبة الجامعة الأزهرية ، ١٩٦٢ ، ص١٤٠ .

لم يستجب المسلمون لنظام الملكية الوراثية الذى أدخله معاوية فقد رأى الخوارج أن الخلافة حق لكل مسلم حر يُجْمِع عليه المسلمون ، بينما رأى الشيعة أن الإمامة (الخلافة) يجب أن تنحصر فى آل البيت ، كما أن نظام ولاية العهد لأكثر من واحد أدى إلى قيام النزاع والانقسام بين أفراد البيت الأموى ، وإذا كانت ولاية العهد للأخوة والأبناء من عوامل الشر وأسباب البلاء فإن جعل ولاية العهد لاثنين بعد ذلك ، كان أكثر شراً وأشد بلاء إذ كان عاملاً من عوامل الهدم يتسلط على الأمويين من أنفسهم ، فعلى سبيل المثال عهد مروان بن الحكم بالخلافة من بعده إلى ولديه عبد الملك ثم عبد العزيز ، ولما ولى عبد الملك بن مروان اعتزم خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد وتولية ابنه الوليد بدلاً منه ، ولكن عبد العزيز توفى فى أثناء ذلك بمصر ، وأفسح المجال للوليد ولولا أن الموت عاجل الوليد بن عبد الملك ، لخلع أخيه سليمان من ولاية العهد وبايع ابنه بدلا منه[1].

لقد كانت ولاية العهد سببًا فى انقسام البيت الأموى على نفسه وحدوث الصراعات والفتن للفوز بالخلافة ، وهو ما ساعد على نمو تيار المعارضة بقوة للحكم الأموى ، ولو كان الأمويون قد استطاعوا تطبيق نظام الحكم الإسلامى القائم على الشورى والعدل الكاملين لما تعرض حكمهم لهذا السقوط السريع .

ضعف الخلفاء :-

فى أواخر العهد الأموى تولى الخلافة خلفاء ضعاف ، انصرفوا إلى اللهو والملذات ومعاقرة الخمر والصيد ، ولم يبالوا بما يجرى ضد بنى أمية

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص١٣ .

من مؤامرات ودسائس وثورات تستهدف الخلاص من حكمهم ، إن مجىء هؤلاء الخلفاء الضعاف شجع بلا شك الناقمين والطامعين على الانفضاض، وخصوصًا وأنه سبق هؤلاء الخلفاء الضعاف خلفاء أقوياء سيطروا على الشعب كله وملكوه قسرًا[1] .

ويروى المسعودى عن يزيد بن معاوية : (كان صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب ، وغلب على أصحابه وعماله ما كان يفعله من الفسوق ، وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهى وأظهر الناس شرب الشراب)[2]، كما كان يزيد بن عبد الملك بن مروان رجل لهو ولعب ، حتى أنه فُتِنَ بجاريتين جميلتين هما سلاّمة وحبّابة[3]، ولامه أخوه مسلمة بن عبد الملك[4]، كذلك جمع الوليد ابن يزيد بن عبد الملك المغنين والندماء فى قصور الترف التى أقامها فى بادية الشام وأغفل تمامًا أمور الدولة فتصدعت أركانها وهوت سريعًا لافتقارها إلى شخصية حازمة يقظة .

تلك كانت أهم العوامل والأسباب التى ساعدت على سقوط الدولة الأموية هذا السقوط السريع ، ويرى البعض أن هناك سببًا آخر لم يظهر على سطح الأحداث ولكنه كان يسرى فى جسد الدولة دون أن تشعر ، إذ كان الضعف النسبى للصبغة الدينية التى بدأت بها الدولة الإسلامية ، والتى كانت قادرة دومًا على توحيد العصبيات القبلية واستيعابها ، كان هذا الضعف سببًا آخر فى تصدع أركان هذا البناء ، فقد بدأت الغاية الدينية

---

(١) عمر فروخ : تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص١٩٦ .

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ٣ ، ص١٥ .

(٣) أبو الحسن الروحى : بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ٢٠٠٤ ، ص١٥٧ .

(٤) محمد الطيب النجار : الدولة الأموية فى المشرق ، ص١٤٢ .

العليا تذوى فى النفوس[1]، ويحل مكانها التطلع للرئاسة وحب الدنيا ، وهو سبب فى اعتقادنا كفيل بتعجيل وسقوط وانهيار هذه الدولة .

وإذا كانت عوامل الضعف والانهيار قد تغلبت على هذه الدولة وعجلت بسقوطها ، إلا أنه يبقى للدولة الأموية الفضل فى نشر الإسلام وحمل لواء الجهاد ، فيعد عصرى الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك عصر الفتوحات الكبرى فى قارات العالم القديم ، ففى آسيا فتح الأمويون أقاليم ما وراء النهر ، وثبتوا فتوحاتهم فى خراسان وسجستان وجرجان وطبرستان وأرمينية وأذربيجان ، وفى إفريقيا فتح الأمويون الشمال الإفريقى برقة وطرابلس وإفريقية والمغربين الأوسط والأقصى ، وفى أوروبا فتحوا شبه جزيرة أيبيريا وعبروا ما وراء جبال البرانس ، وحاولوا الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، كما يسجل لحكام هذه الدولة أنهم وضعوا أساس النظم السياسية والإدارية والحكومية لهذه الدولة الإسلامية ، فساهموا فى وضع لبنة من لبنات الحضارة الإسلامية .

---

(١) عبد الحليم عويس : بنو أمية بين الضربات الخارجية والانهيار الداخلى ، ص٤٥ .

الفصل الثانى

الدعـوة العباسيـة



تناولنا فى الفصل السابق أسباب سقوط الدولة الأموية وعوامله ، وقد اتضح من خلال استعراض العديد من المشاكل التى واجهتها الدولة الأموية على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، أن الأمر أصبح يستلزم ثورة تقضى على هذا الفساد فى نظام الحكم الأموى ، ثورة تعيد للمسلمين وحـدتهم وتضـامنهم ، وتسـوى بينهم وتطبق مـبـادئ الإسـلام وحكم الشورى[١].

وقد اعتاد بعض المؤرخين على تصوير قيام الدولة العباسية باعتبارها نتيجة لضعف الدولة الأموية ، وإن كان فى هذا بعض الحقيقة إلا إنها حقيقة ناقصة ، فلم يكن ضعف الدولة الأموية ليؤدى إلى قيام الدولة العباسية لو لم تكن هناك أصلاً دعوة عباسية منظمة أعدت للثورة وجهزت لها ، وأفادت من عوامل النجاح التى تهيأت لها ومن بينها ضعف الدولة الأموية[٢].

إذاً فقد كانت الدعوة العباسية قائمة ومنتشرة أثناء حكم الدولة الأموية وقبل أن تسقط الدولة باثنتين وثلاثين عاما ، إذ بدأت دعوة سرية منذ عام ١٠٠هـ .

الطموح السياسي للعباسيين :

هذه الدعـوة إذا مـا حللنا أهدافـهـا ومـبـادئـهـا وتطورها ، يمكننا أن

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص١٥ .

(٢) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص١ .

نستخلص منها الطموح السياسى المبكر للعباسيين ، وإن كان بعض المؤرخين يجمعون على نفيه .

الحقيقة أن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ﷺ) والذى تنسب إليه الدولة العباسية كان له طموحه السياسى المبكر حتى وإن لم يظهر تطلعاً للخلافة ، فقد كان كثيراً ما يتطلع إلى أن يوليه الرسول (ﷺ) بعض الولايات ، بل وسأله ذلك أكثر من مرة ، فلم يستجب له ، وعندما توفى الرسول دون أن يسمى خليفته تاركًا الأمر شورى بين المسلمين ، أدرك العباس بذكائه أن السابقة فى الإسلام ستكون هى العامل الحاسم فى اختيار الخليفة ، ولما كانت السابقة فى الإسلام تعوز العباس ، الذى لم يعلن إسلامه إلا قبيل فتح مكة[1] . فقد رشح للخلافة ابن أخيه على بن أبى طالب أحد السابقين الأوائل فى الإسلام وزوج بنت رسول الله (ﷺ) .

لقد كان العباس يأمل أن تكون الخلافة فى بنى هاشم لينال بعض السلطان عن طريق على بن أبى طالب ، لذلك ظل العباس يرشح عليًا للخلافة كلما سنحت الفرصة لذلك ، وتتضح أهداف العباس السياسية من وراء تولى على بن أبى طالب الخلافة فيما ذكره الطبرى إذ يروى أن العباس قال لعلى : « إحذر هذا الرهط (أهل الشورى) فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به غيرنا »[2]، وتظهر العبارة بجلاء أن العباس كان يعتبر تولى على للخلافة تولية لبنى هاشم ، فالعباس وعلى من أبناء بيت واحد ، وهو بيت النبى (ﷺ) ، وأن جدهم هو هاشم بن عبد

---

(١) البلاذرى : أنساب الأشراف . تحقيق محمد حميد الله ، بيروت ١٩٥٩ ، جـ١ ، ص٣٥٥ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر ١٩٧٩ ، جـ٤ ، ص٢٠٠ .

المطلب الذى كانت إليه سيادة مكة قبل الإسلام(١).

وبعد أن توفى العباس عام ٣٢هـ فى خلافة عثمان بن عفان ، سار أبناؤه على نهجه فى تقديم على بن أبى طالب وتأييده ، وعندما ارتفعت مكانة عبد الله بن العباس السياسية ، حينما سنحت له الظروف أن يلعب دور الوسيط بين الأطراف إبان فتنة عثمان ، إذ انتدبه عثمان للموسم ليحج بالناس أثناء حصار الثوار لعثمان ، فجعل ذلك عبد الله بن العباس بعيداً عن الاتهام فى دم عثمان ، وكان عبد الله بن العباس على صلة طيبة بأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، حتى أنه مر عليها لزيارتها قبل توجهه إلى مكة ، ومن ثم ندبه على بن أبى طالب لمفاوضة طلحة والزبير على الصلح عشية وقعة الجمل(٢).

وعندما تولى على بن أبى طالب الخلافة اعتمد على أبناء عمه واستعملهم على البلدان فولى عبيد الله بن العباس اليمن ، وولى أخاه قثم بن العباس على مكة وولى عبد الله على البصرة وجعل إليه الصدقات والجند ، فأصبح العباسيون لعلى أشبه بما كان عليه الأمويون لعثمان(٣).

واتهم بعض المؤرخين عبد الله بن العباس بأنه سارع إلى ممالأة الأمويين وسبق الحسن بن على إلى معاوية ليأخذ منه الأمان وإنه اشترط لنفسه على ما أصاب من أموال بيت مال البصرة(٤).

وسواء صح هذا الاتهام أو سقط ، فيبدو أن هذه الأموال التى حازها

---

(١) إبراهيم أحمد العدوى : تاريخ العالم الإسلامى ، معهد الدراسات الإسلامية ١٩٨٢ ، ص١٩٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٤ ، ص٣٠٧ .

(٣) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة الأموية ، ص٧ .

(٤) فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، ترجمة عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص١٠٤ ـ ١٠٥ .

عبد الله بن العباس ، جعلت بنيه فى سعة من العيش ، كما مكنتهم فيما بعد من الإنفاق على الدعوة العباسية بسخاء .

هكذا ظل طموح بنى العباس مستتراً وراء على بن أبى طالب حتى قتل ، وحينما انتقل الصراع إلى صراع بين الأمويين والعلويين ممثلاً فى ولدى على الحسن والحسين ، أظهر عبد الله بن العباس وعياً سياسياً وفهماً عميقًا لطبيعة الأمور ، إذ نصح الحسين بن على بألا يخرج إلى العراق خروجه الذى انتهى بمقتله فى كربلاء فى العاشر من المحرم عام ٦١هـ ، فقد حذره قائلاً : « فإن أبيت إلا أن تخرج فسر إلى اليمن فإن بها حصوناً وشعاباً وهى أرض عريضة طويلة ، ولأبيك (على) بها شيعة وأنت عن الناس فى عزلة فتكتب إلى الناس وترسل وتبث دعاتك ، فإنى أرجو أن يأتيك عند ذلك الذى تحب فى عافية »[١] .

لقد أدرك عبد الله بن العباس أن الوقت لم يحن بعد للقيام بثورة ضد الأمويين ، لذلك تفرغ لرواية الحديث وتفسير القرآن الكريم ، وآثر أن يسالم الأمويين ولزم مدينة الطائف بعد استشهاد الحسين بن على حتى توفى ودفن بها عام ٦٨هـ ، عن عمر يناهز الثمانين[٢] .

وبعد وفاة عبد الله بن العباس لمع من بنيه على بن عبد الله بن العباس المعروف بالسجاد[٣] ، والذى هيأت له الظروف أن يصبح زعيم بيت

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٥ ، ص٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٢) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص١٧٥ .

(٣) سمى بالسجاد لكثرة صلاته ، فكان يصلى كل يوم ألف ركعة ، لأنه كان له خمسمائة شجرة زيتون فكان يصلى تحت كل شجرة ركعتين ، ولد فى حياة على بن أبى طالب فسماه باسمه بعد أن حنكه وكناه أبا الحسن ، وقيل بل ولد ليلة مقتل على فسماه أبوه عبد الله باسم على ، وقد توفى عام ١١٨هـ.

السيد دحلان : تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ٢٠٠٠ ، ص١٥ .

الهاشميين بلا منازع عند نهاية القرن الأول الهجرى ، حينما خلا البيت العلوى من زعيم يباريه بعد أن توفى كل من محمد بن على بن الحنفية عام ٨١هـ[١] ، والحسن المثنى عام ٨٧هـ ، ثم زين العابدين بن على بن الحسين عام ٩٤هـ ، وأخيراً أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية عام ٩٨هـ ، فأصبح على بن عبد الله العباسى شيخ بنى هاشم ، وقد لزم قرية الحميمة[٢] بعد أن أمر الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان باتخاذها سكناً لبنى العباس ، بعد قضائه على ثورة عبد الله بن الزبير ، وذلك ليسهل مراقبتهم هناك وترصد تحركاتهم[٣] .

ورغم تزعم على بن عبد الله العباسى لبنى هاشم وطموحه السياسى فى أن تئول الخلافة إلى بنيه ، إلا أنه سار هو الآخر على نهج أبيه فى مسالمة الأمويين إلى أن مات عام ١١٨هـ[٤] ، فتولى الزعامة من بعده ابنه محمد بن على بن عبد الله العباسى ، الذى لازم أباه فترة طويلة ، إذ لم يكن يصغره بأكثر من أربعة عشر عاماً ، وتوفى بعده بسبع سنين فى عام ١٢٥هـ[٥] .

ويعد محمد بن على بن عبد الله العباسى المنظم الحقيقى للدعوة العباسية ، إذ كانت تطلعاته السياسية تفوق تطلعات أبيه ، فقام بجهد عظيم

---

(١) عرف بهذا الاسم لأن أمه كانت من سبى بنى حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب ، عبادة كحيلة : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢ .

(٢) قرية بمنطقة البلقاء فى بلاد الشام على الطريق بين المدينة ودمشق .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، جـ٢ ، ص٣٠٧ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢١ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان .

(٥) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص١٧٥ .

فى تنظيم الدعوة العباسية أملاً فى انتزاع الخلافة من الأمويين ، فبدأ عمله فى تنظيم الدعـوة منذ عـام ١٠٠هـ حـتى عـام ١٢٥هـ. بعـد أن أدعى العباسيون أن حق الإمامة قد انتقل إليهم من أبناء عمهم الهاشميين العلويين قبل وفاة محمد بن الحنفية ، وذلك على أثر تنازل ابنه أبى هاشم بن محمد ابن الحنفية عن حقه فى الخلافة لابن عمه محمد بن على بن عبد الله العباسى ، فتزعم الروايات العباسية أن أبا هاشم كان قد زار فى أخريات أيامه أبناء عمه العباسيين المقيمين بالحميمة ، بعد زيارة لدمشق على أثر دعوة وجهها له الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك بن مروان ، وقيل أن هشامًا كلف رجاله بأن يدسوا السم لأبى هاشم فى اللبن ، وأنه شرب اللبن المسموم ، وما كاد يصل إلى الحميمة حتى لفظ أنفاسه متأثراً بالسم ، وادعى العباسيون أن أبا هاشم قبل وفاته تنازل عن حقه فى الإمامة لابن عمه محمد ، لأنه لم ينجب ولداً ذكراً يتولى الإمامة من بعده[1]، وقد أعلن العباسيون أن ولاء أنصار أبى هاشم قد انتقل إلى الفرع العباسى الذى بدأ حينئذ جهوداً منظمة فى الدعوة العباسية بقيادة محمد بن على بن عبد الله العباسى .

ويرى البعض أن هذه الإدعاءات من قبل العباسيين ما هى إلا تبريراً لانتزاعهم الزعامة والإمامة من الفرع العلوى ، كما أن هذا التنازل وإن صح ، فإنه تنازل من جانب واحد ، وهو أبو هاشم ولا يعتبر تنازلاً من جانب العلويين جميعاً ، أو على الأقل تنازلا من جانب جماعة الكيسانية[1]

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٢ ، محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص٣٤ .

(٢) الكيسانية : نسبة إلى كيسان مولى محمد بن الحنفيه .

عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص١٧٦ .

الشيعية التى كان يتزعمها أبو هاشم دون باقى الجماعات العلوية ، كما أن تنازل أبو هاشم عن الإمامة لمحمد بن على بن عبد الله العباسى هو تنازل لمحمد فقط ، وليس للعباسيين جميعهم على اعتبار أن العلويين والعباسيين يجمعهما بيت واحد ، وهو البيت الهاشمى .

لكن العباسيين الذين تطلعوا إلى الخلافة ، اعتبروا أن هذا التنازل ـ وإن صح ـ تنازل كلى من أبى هاشم للعباسيين جميعًا ، ومن ثم نشروا الدعوة لأنفسهم متجاهلين العلويين ، يؤيد ذلك أن الشيعة الإمامية لم تعترف بهذا التنازل ، وقد قاموا فيما بعد فى وجه العباسيين وثاروا ضدهم بعد أن تسلموا مقاليد الأمو وتولوا الخلافة(١) .

مما سبق يتضح أن طموح العباسيين وتطلعهم إلى الخلافة ، كان أمراً ظاهراً وغير خفى ، وأنهم كانوا يتحينون الفرصة المناسبة لتحركهم مستغلين الضربات الموجعة التى نزلت بالشيعة من قِبل الأمويين ، ومستفيدين منها فى الوقت نفسه ، وقد خدمهم فى ذلك ضعف الدور العلوى الشيعى فى تحقيق تقدم ثورى حقيقى يطيح بالدولة الأموية .

وهذا كله إن دل فإنما يدل على وعى سياسى عميق وتخطيط منظم وصبور ، أثمر فيما بعد فى نجاح دعوتهم وقيام دولتهم .

تنظيم الدعوة وتطورها :ـ

كان محمد بن على بن عبد الله العباسى شخصية مستنيرة تميزت بالذكاء الحاد ، والنشاط ، والاتزان ، ورجاحة العقل ، وحسن البصيرة ، وقد

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص١٧ ، عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٣ .

أهلته كل هذه الصفات لأن يتخذ منطلقًا جديداً فى الوصول إلى الخلافة بتنظيم دقيق ومحكم اتسم بالسرية المطلقة والتخطيط الجيد .

فقد رأى محمد بن على بن عبد الله العباسى أن نقل الحكم من بيت إلى بيت أمر خطير ، لا بد وأن يسبقه إعداد الأفكار وتهيئة النفوس لهذا التغيير ، لذلك اختار الدعاة والنقباء ووجههم إلى أكثر الجهات ملاءمة لنشر الدعوة وكان أهمها الكوفة وخراسان .

أما الكوفة فكانت مهد التشيع لآل البيت منذ خلافة على بن أبى طالب، وهى مهيئة لأى عمل ضد الدولة الأموية ، أما خراسان فلأن أهلها من الفرس الذين يفهمون فكرة التشيع بسهولة ، ويؤمنون بنظرية الحق الإلهى المقدس فى الحكم ، والتى كانت سائدة فى بلاد فارس منذ أيام حكم الملوك الساسانيين ، إضافة إلى بُعد خراسان عن حاضرة الخلافة الأموية وكراهية الفرس للحكم الأموى[1] .

وقد حرص محمد بن على بن عبد الله العباسى على أن ترتكز الدعوة على ثلاثة محاور : (الحميمة ـ الكوفة ـ خراسان) فتكون الحميمة مكان التدبير والتنظيم ، وتكون الكوفة نقطة الاتصال يلتقى فيها الذين يحملون الأوامر والتوجيهات من الحميمة مع الدعاة الذين عادوا من خراسان ، لينقلوا إلى القادة نتائج كفاحهم وليتلقوا التعليمات الجديدة .

أما مَقر العمل والثورة فيكون فى خراسان ، بعيداً عن أعين الأمويين ولتحقيق عنصر المباغتة .

---

(١) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص١٩ ، عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٤ .

كذلك أمر محمد بن على بن عبد الله العباسى الدعاة برفع شعار (الرضا من آل محمد) أى من يرضى عنه آل محمد ، علوياً كان أم عباسيًا، وهى دعوة غامضة ولكنها مقصودة وتنم عن ذكاء وحذر ، إذ يظنها العلويون المخلصون وانصارهم أنها من أجلهم ، ويعتقد الخراسانيون أصحاب الحق الإلهى المقدس فى الحكم إنها تخدمهم ، وبذلك يحسن العباسيون استخدام الفريقين ، إضافة إلى ذلك فهم بهذا يزيدون فى تعمية الأمر على الأمويين ورجالهم المترقبين دائمًا لكل خارج عليهم[1]، فيعتقدون بأن القائمين على هذه الدعوة المستورة إنما هم بيت على .

رجال الدعوة (*الدعاة*) :-

حمل عبء الدعوة العباسية مجموعة من الدعاة ، تم اختيارهم بعناية ودقة من قبل الإمام محمد بن على بن عبد الله العباسى ، وقد توزع هؤلاء الدعاة بين الكوفة وخراسان .

كان الدعاة ووحدهم هم الذين يعرفون شخصية الإمام ويحتفظون بهذا السر لأنفسهم ، كما كانوا فى الحقيقة جميعهم من طراز واحد ، قدرات عسكرية خلاقة ، وإخلاص للدعوة وفناء فيها ، وقدرة بارعة على الدبلوماسية والدهاء ومداراة الأحوال واجتذاب الأنصار ومنطق فى المخاطبة ، إذ كان أغلب الدعاة بارعين فى العلوم الإسلامية من حديث وفقه ولغة[2] .

---

(١) محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٣٤ ـ ٣٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، الاسكندرية (د. ت) ، ص٢٢ .

(٢) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٩ .

وقد حرص الدعاة على أن يكون الطريق الذى يسلكونه فى ترددهم بين خراسان والحميمة من الطرق الرئيسية التى يكثر استخدامها ، حتى لا ينكشف السر فى كثرة ترددهم ذهاباً وإياباً بين الشرق والغرب ، لذلك اختير طريق الكوفة خراسان التجارى ، كذلك حرص الدعاة على التخفى فى زى التجار وتظاهروا بالاشتغال بالتجارة ، ولم يسمح لأحد منهم بالاتصال بالحميمة إلا عن طريق المشرف على الدعوة بالكوفة(١).

تولى الدعوة بالكوفة ثلاثة من الدعاة هم ميسرة العبدى ، ثم بكير بن ماهان ، ثم أبو سلمة الخلال الذى عرف فيما بعد باسم وزير آل محمد .

أما ميسرة فقد كان مولى لعلى بن عبد الله بن العباس ، وتسلم مهام منصبه منذ عام ١٠٠هـ بتكليف من الإمام محمد بن على بن عبد الله العباسى ، فكانت تأتيه كتب الدعاة فينقلها إلى الإمام بالحميمة ، كما أنه قام بتوجيه الرسل إلى خراسان عام ١٠٢هـ لاستطلاع أحوالها وتنشيط الدعوة بها(٢) .

وبعد وفاة ميسرة عام ١٠٥هـ، اختار محمد بن عبد الله العباسى رجلاً من أهل الكوفة هو بكير بن ماهان ، وكان رجلاً واسع الثراء والجاه ، إذ كان فى أول أمره مرابطاً بثغر السند واقتنى هناك مالاً قدره أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب ، فانفق كل ذلك فى سبيل الدعوة ، فخطت الدعوة العباسية فى عهده خطوة جديدة وحققت بجهوده تقدماً ملموساً عام ١٠٥هـ، كما وجه بكير الدعاة إلى خراسان عام ١٠٨هـ وظل حلقة الوصل

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٦ ، ص٦١٦ ، محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٣٠ .

(٢) الطبرى : نفس المصدر ، جـ٦ ، ص٥٦٢ .

بين دعاة خراسان ومركز الدعوة فى الحميمة حتى توفى الإمام محمد بن على العباسى عام ١٢٥هـ فأبقاه فى منصبه الإمام إبراهيم بن محمد ووجهه إلى خراسان فنعى لشيعته فيها الإمام المتوفى محمد بن على ودعاهم إلى الإمام الجديد ، وكان بكير رجلاً مفوهاً وخطيباً بارع الإقناع ، فاستجابت الشيعة العباسية لدعوته ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة فقدم بها بكير على الإمام إبراهيم[١]، ثم توفى بكير بن ماهان عام ١٢٧هـ، بعد أن رشح أبا سلمة الخلال ليخلفه فى منصبه ، فقبل الإمام إبراهيم هذا الترشيح وأقر أبا سلمة الخلال فى منصب داعى الدعاة بالكوفة.

كان أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال صهراً لبكير بن ماهان ، وقد قيل فى تلقيبه بالخلال ثلاثة أوجه ، الأول أن منزله بالكوفة كان قريباً من محلة الخلالين وكان يجالسهم فنسب إليهم ، والثانى أنه كان له حوانيت يعمل فيها الخل فنسب إلى ذلك ، والثالث أنها نسبة إلى خلل السيوف وهى أغمادها[٢].

كان أبو سلمة الخلال آخر الدعاة بالعراق ، فهو الذى قاد الدعوة فى السنين الخمس الأخيرة ، وقد ظل فى منصبه حتى عاصر قيام الدولة العباسية واستوزره أبو العباس عبد الله السفاح أول خلفاء بنى العباس ولقب بوزير آل محمد .

أما دعاة خراسان فقد بلغ عددهم سبعة ، أولهم أبو عكرمة السراج[٣]

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، دار صادر ، بيروت ٢٠٠٥ ، ص١٢٢ .

(٣) كان اسمه الحقيقى زياد بن درهم ، وكان مولى لهمدان ، ثم أصبح أحد عاة الهاشمية اتباع أبى هاشم عبد الله بن محمد الحنفية ، ثم تبع بعد وفاة أبى هاشم الإمام محمد بن على العباسى ، وقد قتل أبو عكرمة السراج فى خراسان عام ١٠٧هـ على يد واليها حينئذ أسد بن عبد الله القسرى . الطبرى : نفس المصدر ، جـ٦ ، ص٥٦٦٢ ؛ محمد بركات البيلى : الدعوة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق ، ص١٧ .

الذى كان يلقب بأبى محمد الصادق ، أما الثانى فهو من أهل بلخ الذين اشتهروا بالحماسة للدعوة ، وهو حرب بن عثمان مولى بنى قيس بن ثعلبة، ثم زياد الناجى ، ثم كثير الكوفى الذى كان رجلاً أميًا متحمسًا لبقًا ذا نشاط، ثم قدم على هذه الجماعة داع آخر يدعى خداش[1]، الذى أتهم بأنه أظهر دين الخرمية ودعا إليه ورخص للبعض فى نساء بعضهم وأخبر أتباعه بخراسان أن ذلك عن أمر الإمام محمد بن على العباسى ، كذلك أتهم بأنه قال لا صوم ولا صلاة ولا حج ، وأن تأويل ذلك الصوم أن يصام عن ذكر الإمام فلا يباح باسمه ، أما الصلاة فهى الدعاء للإمام ، والحج القصد إليه ، وبعيداً عن الاتهامات التى الصقت بهذا الرجل والتى لا يعقل أن يكون قد اقترفها[2]، فقد لقيت جهوده فى الدعوة قبولاً بين كثير من الخراسانيين وتبعه بعض النقباء والدعاة ، ويرجع سر نجاح خداش فى أنه خاطب الناس على قدر عقولهم وبسط لهم الدعوة ، هذا التبسيط الذى مهد له الداعى كثير الكوفى طيلة عامين قبل مجىء خداش ، ويتضح بُعد تأثير خداش فى الخراسانيين فى أنهم لم يصدقوا بسهولة ما قيل لهم عن انحراف خداش[3]، لذلك استلزم الأمر أن يقوم بكير بن ماهان بالتردد على خراسان أكثر من مرة لجمع كلمة النقباء والاتباع فى خراسان ، كذلك قام بكير بن ماهان باعادة تشكيل المجالس التى أنشأها أبو عكرمة السراج قبل موته ، ثم

---

(١) كان اسمه الحقيقى عمار بن يزيد ، ظفر به والى خراسان من قبل الأمويين ، فقطع لسانه وسمل عينيه ثم أمر بقتله وصلب بآمل . ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص١٩٠ .

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر : محمد بركات البيلى : الدعوة العباسية ، ص٢٠ ـ ٢٤ .

(٣) كان سليمان بن كثير الخزاعى ممن أشاع بعض هذه الاتهامات عندما قدم على الإمام محمد بن على بالحميمة ليعلمه أمر الدعوة بخراسان ، وكان سبب اتهام سليمان بن كثير لخداش تطلعه لرئاسة الدعوة بدلاً منه. محمد بركات البيلى : الدعوة العباسية، ص٢٢ .

أضاف مجالس جديدة ، فأقام مجلساً يسمى نظراء النقباء ، ومجلساً للدعاة وآخر لدعاة الدعاة ، وجدد البيعة لمحمد بن على العباسى ، ثم نصب سليمان بن كثير الخزاعى رئيساً للدعوة فى خراسان ، والذى قام بدور كبير فى الدعوة ، فقد أشاد المنصور به فيما بعد وافتخر له فقال : «هو أحد فتياننا» ، وقد اختاره أبو مسلم الخراسانى فيما بعد إماماً للصلاة عند إعلان الثورة ، ولكن ما لبث أن اختلف مع أبى مسلم حين لجأ إلى العنف فى خراسان ، فاتهمه أبو مسلم وقتله(١) .

النقباء :-

ينسب إلى أبى عكرمة السراج إنه قام بتكليف من الإمام العباسى بتنظيم الدعوة فى خراسان وأنشأ مجالسها ، فاختار من ثقات من استجابوا له مجلس السبعين ثم انتقى من مجلس السبعين اثنى عشر نقيباً أسوة بما فعل النبى (ﷺ) يوم أن طلب ممن بايعه عند العقبة من أهل يثرب أن يختاروا من بينهم اثنى عشر نقيباً ليشاورهم فى شئونهم ، وأسوة بنقباء بنى إسرائيل الذين لم يكن لهم صلاح إلاَّ بهم والذين أشار إليهم القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢) .

---

(١) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٣ .

(٢) المائدة : آية ١٢ .

وقد تولى النقباء أمر الدعوة العباسية إلى جانب الدعاة الذين كانوا يوفدون إليهم من قبل الإمام بالحميمة أو من قبل داعى الدعاة بالكوفة . وكان معظم النقباء من العرب الخراسانيين الذين يأتمرون بأمر الدعاة ، ولم يكن النقباء يقلون عن الدعاة قيمة ، فقد كانت لهم قدراتهم الدعائية والعسكرية ، بل برز منهم شخصيات لعبت دوراً مؤثراً فى الدعوة والثورة ، ويأتى فى مقدمتهم سليمان بن كثير الخزاعى ـ قبل أن يتولى رئاسة الدعوة بخراسان ـ ولاهز بن قريظ التميمى ، وقحطبة بن شبيب الطائى[1].

كان لكل داعية إثنا عشر نقيبا ، وكان النقباء بدورهم تتبعهم طبقات أقل فى مراتب الدعوة وهى طبقة العمال ، وكان لكل نقيب سبعون عاملاً يديرون الجهاز السرى ويساعدون النقباء ، ثم ينتهى التشكيل فى تكوينه ليكون الخلايا السرية التى كانت تنتشر فى جميع الأمصار الإسلامية[2].

كان النقباء يَجْهَلون شخصية الإمام الذى يدعون إليه ، فقد كان العلم به سراً لا يعرفه إلا الدعاة فحسب ، ومع ذلك فقد تَمَيَّزَ النقباء بإخلاصهم الشديد للدعوة ، وتفانيهم فى نشرها ، كما كانوا يتصفون ببعد النظر والقدرة على فهم نفسية الاتباع وتمييز عناصرهم[3].

ابو مسلم *الخراسانى* وقيام *الثورة* :-

توفى الإمام محمد بن على العباسى عام ١٢٥هـ/ ٧٤٢م بعد أن

---

(١) محمد بركات البيلى : الدعوة العباسية ، ص١٨ .
(٢) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٥ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول . ص٢٥ .

أوصى بالإمامة من بعده لابنه إبراهيم ، وفى عهد إبراهيم بدأ دور جديد فى تاريخ الدعوة العباسية وهو دور العمل والنضال الحربى ، الذى تألقت فيه شخصيتان بارزتان كان لهما أكبر الأثر فى نجاح الدعوة وظهور الدولة العباسية ، وهما أبو سلمة الخلال كبير دعاة الكوفة ، وشخصية أبى مسلم الخراسانى الذى تولى قيادة الثورة من ١٢٩هـ إلى ١٣٢هـ .

كان أبو مسلم شاباً فارسياً من خراسان[١]، اتصف بالشجاعة والإقدام وحُب العسكرية ، وقد اتصل أبو مسلم بالإمام إبراهيم العباسى وأخَذَ على عاتقه عبء نشر الدعوة فى موطنه خراسان ، وكان أبو مسلم قد تلقى أصول الدعوة من كبير الدعاة بالكوفة بكير بن ماهان ، وفى عام ١٢٨هـ، تسلم أبو مسلم مقاليد الأمور فى خراسان التى كانت تشتعل فيها آنذاك نيران العصبية والحروب القبلية بين عرب الجنوب اليمانية وعرب الشمال المضرية ، فقد كان أسد بن عبد الله القسرى والى خراسان آنذاك يمانياً ، ثم خلفه على ولاية خراسان نصر بن سيار وكان مضريًا قيسياً ، فزاد بذلك الصراع بين الفريقين ، واستطاعت القبائل اليمانية الإنتصار على نصر بن سيار وطرده من خراسان والإنضمام إلى قوات أبى مسلم ومناصرة دعوته[٢].

وكان الإمام إبراهيم قد أصدر أمره إلى أبى مسلم بأن يبدأ العمل

---

(١) قيل أن أبا مسلم الخراسانى كان حراً من ولد بزر جمهر وأن اسمه إبراهيم بن عثمان بن بشار بن سدوس بن جود زده ، وقيل بل كان عبداً اشتراه بعض شيعة العباسيين واوصلوه إلى الإمام العباسى فاصطفاه ، وقيل إن أصله من أصفهان ونشأ بالكوفة ، وللمزيد من التفاصيل حول شخصيته راجع : محمد بركات البيلى : الدعوة العباسية ، ص٢٥ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٦ .

العسكرى وألا يبرم أمراً من الأمور دون استشارة سليمان بن كثير الخزاعى داعى العباسيين بخراسان ، وأن يستغل أبو مسلم الصراع بين اليمنية والقيسية فى خراسان ، ومما جاء فى وصية الإمام إبراهيم : « وانظر هذا الحى من اليمن فاكرمهم وحل بين أظهرهم ، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم ، وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم فى أمرهم ، وانظر هذا الحى من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت فى أمره ومن كان فى أمره شبهة ومن وقع فى نفسك منه شىء ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربيًا فافعل فأيُّما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ ـ يعنى سليمان بن كثير ـ ولا تعصه ، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به منى »[1].

وقد ظلت الدعوة سرية فى عهد الإمام إبراهيم ، ولم يعلم شخص الإمام إلا الدعاة ، حتى وقع خطاب مرسل من الإمام إبراهيم إلى أبى مسلم فى خراسان فى يد الخليفة الأموى مروان بن محمد ، فانكشف أمر الدعوة وأنها لأحد أفراد البيت العباسى ، لذلك سارع الخليفة بالقبض على الإمام إبراهيم وسجنه فى حران ثم قتله[2]، وقد قيل أن عبد الله بن الحسن المثنى هو الذى وشى بالإمام إبراهيم عند مروان بن محمد ، وقيل أن الواشى هو قريظ بن مجاج التميمى ، وقيل أن مروان بن محمد أرسل رجلاً

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص٣٢٥ ، ابن الأثير : الكامل . جـ٥ ، ص٣٤٨ .

(٢) قبض على إبراهيم الإمام فى الحميمة وحبس فى حران ثم قتل بالسم ، وقيل هدم عليه الموضع الذى حبس فيه ، وكان ذلك عام ١٢٩هـ .

ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٢٩ ؛ السيد دحلان : تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، ص١٨ .

من خاصته إلى عسكر قحطبة من شبيب الطائى فتظاهر بالبيعة وتساءل لمن يبايع فقيل له لإبراهيم بن محمد ، فنقل الخبر إلى مروان بن محمد ، وقيل أن نصر بن سيار هو الذى أخبر مروان بأن الدعوة لإبراهيم بن محمد العباسى ، ويبدوا أن القول الأخير هو الأقرب للصواب ، فقد ذكر الطبرى[1] بأن نصر بن سيار كتب إلى مروان يعلمه حال أبى مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تبعه ويستحثه على إرسال المدد له بخراسان قائلاً :

أرى بين الرماد وميض نار
وأخشى أن يكون له ضرامُ
فإن النار بالعودين تُزكى
وإن الحرب مبدؤها كلامُ
فقلت من التعجب : ليت شعرى
أأيقاظ بنى أمية أم نيامُ؟
فإن يك قومنا أضحوا نيامًا
فقُل : قوموا فقد حان القيام
فَفرى عن رِحَالِك ثم قولى
علَى الإسلام والعرب السلام[2]

على كل الأحوال لم تعد الدعوة أمراً خافيًا على بنى أمية أو عمالهم وولاتهم ، بل أصبح الصدام العسكرى أمراً وشيكاً ومرتقبًا . وكان الإمام إبراهيم قبل مقتله قد جعل ولاية العهد من بعده لأخيه أبى العباس عبد الله

(١) تاريخ الأمم والملوك . جـ٧ ، ص٣٦٩ .
(٢) ابن الأثير : الكامل . جـ٥ ، ص٣١٦ .

ابن محمد بن عبد الله العباسى ، لأنه لم يكن له ولد ذكر ، وأوصى إبراهيم أخاه أبا العباس بضرورة مواصلة الدعوة ونقل مقرها من الحميمة إلى الكوفة ، فسار رسول إبراهيم إلى الحميمة وسلم وصيته لأبى العباس الذى توجه من فوره إلى الكوفة مصطحبا معه كبار بنى هاشم من العباسيين ، وكان من بينهم أخوه أبو جعفر المنصور ، وابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد ، وعمه عبد الله بن على .

من ناحية أخرى بدأ أبو مسلم الخراسانى التحرك العسكرى وإظهار الدعوة ، فواعد شيعة العباسيين من قرب منهم أو بعد ، أن يظهروا أمرهم يوم الخامس والعشرين من رمضان عام ١٢٩هـ.

ففى هذه الليلة عقد أبو مسلم الراية التى كانت تسمى السحاب واللواء الذى يدعى الظل[(١)]، وبدأ الثورة ضد الأمويين فى قرية سفيذنج من قرى مدينة مرو (بينها وبين مرو أربعة فراسخ)[(٢)]، وأوقدت النيران علامة للشيعة على إعلان الدعوة العباسية ، ولبس أبو مسلم السواد هو وسليمان بن كثير ومن تبعهما من أهل سفيذنج ، واشتبكت قوات أبى مسلم مع قوات والى خراسان نصر بن سيار وهزمتها ، ثم نجح أبو مسلم فى دخول مرو فى العام التالى ١٣٠هـ[(٣)] والإستيلاء عليها بعد هروب الوالى الأموى منها ، ثم

---

(١) كان المعنى وراء هذه الأسماء ، أن السحاب يطبق الأرض وكذلك الدعوة العباسية ، وأن الأرض لا تخلو من الظل ، وكذلك لا تخلو من خليفة عباسى أبد الدهر . ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ٢٠٠٥ ، جـ١٠ ، ص٣٠ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان . بيروت ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

(٣) كان استيلاء أبى مسلم على مرو ـ قصبة خراسان ـ خطوة هامة فى طريق نجاح الثورة العباسية ، فقد انهارت مقاومة نصر بن سيار عامل الأمويين ، وتساقطت مدن خراسان الواحدة تلو الأخرى فى أيدى أتباع أبى مسلم ، حتى خلصت له خراسان تماماً . محمد بركات البيلى : الدعوة العباسية ، ص٣٢ .

بدأ الزحف داخل بلاد فارس والعراق بقوات خراسانية كان على قيادتها قحطبة بن شبيب الطائى ، وقد اكتسحت قواته بلاد فارس والعراق ، مما أجبر والى العراق يزيد بن هبيرة على الفرار إلى مدينة واسط ، وتحصن بها إلى أن أسقطه فيما بعد أبو جعفر أخو الخليفة عبد الله السفاح .

أصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات العباسية التى تولى قيادتها الحسن ابن قحطبة خلفاً لأبيه .

أما فى الكوفة فقد نجح أبو سلمة الخلال بعد هزيمة يزيد بن هبيرة وفراره لواسط ، فى دخولها دون مقاومة تذكر فى أوائل عام ١٣٢هـ ، فأظهر السواد (شعار العباسيين) وخلع مروان بن محمد ، ودعا الناس إلى البيعة للرضا من آل محمد دون أن يسميه[١] .

ويقال أن أبا سلمة الخلال أخذ من ذلك الوقت يتغير على العباسيين بعد أن علم أحوالهم ، وعزم على العدول عنهم إلى بنى عمهم العلويين الهاشميين ، فقيل أنه كاتب ثلاثة من أعيان العلويين ليبايع بالخلافة لأحدهم وهم : الإمام جعفر الصادق ، وعبد الله المحصن بن الحسن بن الحسن بن علي ، وعمر الأشرف بن على زين العابدين بن الحسين ، ولكن أحداً منهم لم يجبه لإدراكهم خروج الأمر من أيديهم .

وأثناء محاولات أبى سلمة فوجئ بمقدم الإمام أبى العباس عبد الله بن محمد دون علمه إلى الكوفة ، وقد علم أبو العباس بنية أبى سلمة فحقدها عليه واخفاها فى نفسه[٢] .

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية . ص٢٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٤٧ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية . ص١٢٢ ـ ١٢٣ ، عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٩ .

وعند قدوم أبى العباس إلى الكوفة ، قام كبار أعوان العباسيين بالبيعة له بالخلافة فى مسجد الكوفة الكبير يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الأول عام ١٣٢هـ، وفى صبيحة اليوم التالى لمبايعته خطب خطبة بمسجد الكوفة مدح فيها آل محمد وندد بالأمويين الذين اغتصبوا الخلافة من أصحابها الشرعيين ، ثم ختم خطبته بقوله : (أنا السفاح المبيح والثائر المبير)[١] فلقب بالسفاح[٢] .

أراد أبو العباس أن يقضى على بقايا الأمويين حتى تستقر دعائم دولته ويصفو له الأمر ، فندب عمه عبد الله بن على لقتال الخليفة الأموى مروان بن محمد ، فتتبعه إلى نهر الزاب الأصغر بالعراق وهزم قواته وقتل وأغرق كثيراً من اتباعه ، وكان من بينهم حوالى ثلثمائة أمير أموى ، ثم هرب الخليفة الأموى مروان بن محمد بمن تبقى معه إلى الموصل ، ولكن أهلها لم يسمحوا له بدخولها ، فواصل هروبه من مدينة لأخرى حتى نزل على نهر أبى فطرس بفلسطين ، فلما جاءته الأنباء بسقوط دمشق عاصمة الأمويين ، اتجه غرباً إلى مصر ، لكن صالح بن على العباسى لاحقة فى مصر حتى أدركه عند قرية بوصير من أعمال الفيوم فقتله فى أواخر ذى الحجة عام ١٣٢هـ، فكان ذلك بمثابة الإعلان الأخير عن سقوط الدولة الأموية[٣] .

---

(١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة . القاهرة ١٩٦٩ ، جـ٢ ، ص١٤٥ .

(٢) يذكر بعض المؤرخين أن هذا اللقب الصق بأبى العباس متأخراً منذ القرن الرابع الهجرى ، وقد حاول العباسيون تحسين صورة أول خلفائهم ففسروه على أنه بمعنى الكريم الذى يسفح الدنانير ، وأن هذا المعنى يتفق وما عرف عن أبى العباس من الكرم والعطاء ، وليس لكثرة قتلاه من الأمويين . السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٥١ ؛ محمد بركات البيلى : الدعوة العباسية ، ص٣٥ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٣٠ ، محمد بركات البيلى ، دراسات فى تاريخ الدولة الأموية ، ص٣٥ .

وعندما وصلت رأس مروان بن محمد لدى الخليفة العباسى خر ساجداً ثم رفع رأسه قائلاً : « الحمد لله الذى أظهرنى عليك واظفرنى بك ، ولم يبق ثأرى قبلك وقبل رهطك أعداء الدين »(١).

عوامل نجاح *الدعوة العباسية* :-

يمكن القول بأن نجاح الدعوة العباسية كان مرتبطاً بالكثير من العوامل، بعضها يعود لطبيعة الحكم الأموى ، وبعضها الآخر يرتبط بفكر وتنظيم الدعوة والقائمين على إدارتها .

أما فيما يتعلق بطبيعة الحكم الأموى ، فقد ألمحنا إلى ذلك عند الحديث عن عوامل وأسباب سقوط الدولة الأموية فى الفصل السابق ، تلك العوامل والأسباب التى لا شك وأن الدعوة العباسية قد استفادت منها . أما فيما يختص بفكر وتنظيم الدعوة فيمكن أن نحدد عوامل النجاح فى النقاط التالية :

١ ـ طبيعة الدعوة : كانت الدعوة العباسية دعوة ثيوقراطية (دينية) تمزج الدين بالسياسة ، وكان الهدف الرئيسى لتلك الدعوة الدينية إسقاط الحكم الأموى الجائر ، فلم يكن التسويد الذى أصبح شعاراً للعباسيين مجرد بديل عن البياض شعار الأمويين ، بل كان شعاراً لمحاربة الضلالة والجور، لذلك أعلن العباسيون أن من أهدافهم العمل بالكتاب والسنة وإظهار العدل ودفع الظلم وتحقيق المساواة بين المسلمين ، ومع أن العباسيين لم يكونوا أول من رفع هذه الشعارات من القوى المناهضة للحكم الأموى ، إلا أنهم

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر . جـ٣ ، ص٢٥٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص٣٣٢ .

كانوا أمهر دعاة الإصلاح استخداماً لهذه الشعارات وأكثرهم استفادة منها ، فقد أقبل الكثيرون على الدعوة العباسية ، وخاصة فى خراسان التى كانت متعطشة ، لمثل هذه الدعوة بسبب هذه الشعارات الفضفاضة .

٢ ــ تنظيم الدعــوة : أنشأ العباسيون جهازاً هرَمياً للدعوة ، نظموه تنظيماً دقيقاً لا تتضارب فيه الاختصاصات ولا تتعارض فيه الوظائف ، وكان هذا الجهاز يتكون من ثلاث حلقات رئيسية يأتى على رأسها الإمام العباسى ، ويلى الإمام الحلقة الوسطى ممثلة فى كبير الدعاة بالكوفة والذى كان حلقة اتصال بين الإمام والحلقة الثالثة المتمثلة فى الدعاة بخراسان ، وكانت الحلقة الثالثة ــ حلقة الدعاة بخراسان ــ هى القاعدة العريضة لجهاز الدعوة العباسية ، وكانت تضم عدة مجالس (مجلس النقباء ــ مجلس السبعين ــ مجلس نظراء النقباء ــ مجلس الدعاة) ، يضاف إلى كل هذا السرية المطلقة التى ظلت عماد تلك الدعوة حتى تمكنت وذاعت ، والتى كانت تفرض على الدعاة الحيطة والحذر فى جميع تحركاتهم ، حتى أن الدعاة كانوا لا يأتون إلى الحميمة مقر الإمام ، بل يوافون الإمام فى مكة فى موسم الحج ، دون لفت للأنظار ، ولا شك أن هذا التنظيم المحكم قد أفاد الدعوة وحقق نجاحها ، كما استفادت منه الحركات والدعوات التالية على مر التاريخ كالقرامطة والفاطميين ، بعد أن تعلموا دروسهم ونهجوا خطواتهم وأفادوا من تجاربهم[١] .

٣ ــ إختيار التربة الملائمة : إختار العباسيون خراسان مركزاً رئيسياً

---

(١) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٦ .

لبث دعوتهم ، وكان هذا الاختيار موفقاً إلى أبعد الحدود لعدة عوامل منها :

أ ــ شدة انتشار الإسلام فيها عن غيرها من الأمصار الإسلامية .

ب ــ تجمع طاقة كبرى من السخط على الحكم الأموى ، وذلك لأسباب اقتصادية واجتماعية .

جـ ــ بعدها عن حاضرة الخلافة الأموية وخلوها من الأهواء الحزبية ، وهو ما يوضح وعى العباسيون بأهمية الأطراف ودورها فى إنجاح الثورات .

د ــ كان ميل الخراسانيين إلى أهل البيت ميلاً عاماً ، فهم لا يؤثرون فرعاً على آخر ، لذلك رحبوا بالعباسيين وأخلصوا لهم حين علموا أن الدعوة لهم[١] .

٤ ـ مهارة أبى مسلم *الخراسانى* :ـ

لا شك أن نجاح الدعوة يدين بالكثير لبعض الشخصيات التى حملت عبء نشرها ، والكفاح من أجل نجاحها ، ويأتى دور أبى مسلم الخراسانى على رأس هذه الشخصيات ، فواقع الحال أن براعة أبى مسلم قد تجلت فى كثير من الأعمال التى قام بها ، فبعد إظهار الدعوة وقبل أن تجتمع له القوة الكافية ، انتهج أسلوب المداراة لجميع الأطراف حتى أصحابه ، فاختار سفيذنج قرية سليمان بن كثير من بين القرى لبدء الثورة إعلاءً لشأن ابن كثير ومداراة له ، مع ما كان يحمله فى نفسه لسليمان بن كثير[٢]، ومع

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص٤٥ .

(٢) رفض سليمان بن كثير أن يرأس أبو مسلم الدعوة بدعوى صغر سنة ، كما حرض عدداً من زملائه النقباء ومن الدعاة أن يقفوا نفس الموقف .
الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص٣٦٠ .

ذلك فقد كتم مشاعره وشاركه بدء التسويد وقدمه للصلاة بشيعة العباسيين فى أول يوم فطر أعقب الظهور العلنى لأمر الدعوة .

كما أظهر أبو مسلم براعة فى إختيار المكان والزمان المناسبين لبدء عملياته العسكرية ، فقد تحول عن الماخوان[1] خشية أن يقطع عنه نصر بن سيار ماءها فى وقت لم يكن لأبى مسلم من القوة ما يمكنه من دفعه ، فلما دبت الوقيعة بين أعدائه عاد إلى الماخوان وأمر أصحابه أن يبتنوا المساكن وأن يستعدوا للشتاء ، كأنه سيسكن طويلاً ، لكنه ما إن وجد أعداءه قد أفنى بعضهم بعضاً ، تحرك فى ليلة من ليالى الشتاء الباردة فدخل مرو فى يسر ودون إرقاة دماء[2].

كذلك برع أبو مسلم فى استمالة الخراسانيين إلى الدعوة فتلقب بالخراسانى تقرباً منهم وحرص على هذه التسمية طيلة حياته ، كما أظهر الحلم والوقار ولم يتمايز على أصحابه ولم يحتجب عنهم ، فعظم شأنه عند الناس .

كما كان اتخاذ أبى مسلم من إشعال النار علامة الظهور لأصحابه ليلة ٢٥ من رمضان عام ١٢٩هـ، ينم عن استفادته حينذاك من النحل الفارسية القديمة فى اجتذاب الأتباع ومخاطبة الوجدان الفارسى .

على هذا النحو كان لأبى مسلم براعة فائقة فى قيادة الدعوة فى خراسان واستمر يقودها فى براعة حتى أجهزت الجيوش التى أعدها على الدولة الأموية وأعلنت دولة العباسيين ، لذلك يمكن القول فى اطمئنان شديد أن تولى أبى مسلم الخراسانى رئاسة الدعوة العباسية فى خراسان ، كان نقطة فارقة فى نجاح الدعوة .

---

(١) ماخوان : قرية كبيرة من قرى مرو . ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٣٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص٣٧٨ .

الفصل الثالث

العصر العباسى الأول

(١٣٢ ـ ٢٣٢هـ)



العصر العباسى الأول

(١٣٢ ـ ٢٣٢هـ)

اعتاد المؤرخون على تقسيم الدولة العباسية إلى عصرين ، العصر العباسى الأول الممتد من عام ١٣٢هـ إلى عام ٢٣٢هـ، والعصر العباسى الثانى الممتد من عام ٢٣٢هـ إلى ٦٥٦هـ.

أما الإعتبارات الفاصلة فى هذا التقسيم فتستند إلى ثلاثة عوامل أساسية هى : سلطة الخلفاء ، ووحدة الدولة ، ونفوذ العناصر أو الشعوب الإسلامية فى الدولة .

ويعتبر العصر العباسى الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ) العصر الذهبى للخلافة العباسية ، فهو عصر الخلفاء الأقوياء الذين قبضوا على زمام الأمور فى الدولة ومثلوا السلطة الفعلية فيها ، وانفردوا بالخلافة دون شريك أو منازع ، كذلك هو عصر وحدة الدولة الإسلامية التى ورثها العباسيون عن الأمويين والتى لم يخرج عنها إلا الأندلس الذى تمكن عبد الرحمن بن معاوية الداخل (صقر قريش) أن يحيى فيها مجد الأمويين مرة أخرى .

وقد حكم الدولة العباسية فى عصرها الأول تسع خلفاء جاءوا على التوالى وهم :

١ ـ أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح (١٣٢ ـ ١٣٦هـ/ ٧٥٠ ـ ٧٥٤م) .

٢ ـ أبو جعفر المنصور بن محمد (١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥م) .

٣ ـ محمد المهدى بن المنصور (١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٥ ـ ٧٨٦م) .

٤ ـ موسى الهادى بن المهدى (١٦٩ ـ ١٧٠هـ/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦م) .

٥ ـ هارون الرشيد بن المهدى (١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٩م) .

٦ ـ محمد الأمين بن هارون الرشيد (١٩٣ ـ ١٩٨هـ/ ٨٠٩ ـ ٨١٣م) .

٧ ـ عبد الله المأمون بن هارون الرشيد (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) .

٨ ـ محمد المعتصم (أبو إسحق) بن الرشيد (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤٢م) .

٩ ـ هارون الواثق بن المعتصم (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ ـ ٨٤٧م) .

وسنتناول فى هذا الفصل العصر العباسى الأول من خلال خلفاء هذا العصر مع التركيز على أهم الأحداث التى تمت فى فترات حكمهم ، وأهم القضايا الحيوية التى استغرقتها هذه المرحلة .

أبو العباس *السفاح* (١٣٢ ـ ١٣٦هـ) :ـ

هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، أول خلفاء الدولة العباسية ، ولد بالحميمة عام ١٠٤هـ ، وأمه تدعى ريطة بنت عبيد الله الحارثى[1] ، بويع له بالكوفة فى اليوم الثالث من شهر ربيع الأول عام ١٣٢هـ ، وكان أبو العباس عند توليته الخلافة مريضًا ، لذلك نجده يصعد المنبر بمسجد الكوفة ويلقى خطبة قصيرة ، تحدث فيها عن أحقيتهم للخلافة (العباسيين) وذكر بنى أمية وجورهم وطغيانهم وذكر أهل الكوفة بالخير ، ثم عقب إلقاء هذه الخطبة جلس أبو العباس على المنبر ، ووقف دونه عمه داود بن على ، فألقى خطاباً طويلاً ذكر فيه آل البيت وفضلهم وحقهم ، وقرر أهداف بنى العباس من الخلافة فقال : « إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لنكثر لجيناً ولا عقياناً

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٣٤٩ .
السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٧٠ .

(اللجين الفضة والعقيان الذهب) ولا نحفر نهراً ، ولا نبنى قصراً، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا ... وسوء سيرة بنى أمية فيكم وخرقهم بكم ... وذكر بالخير والثناء أهل خراسان»[1] .

ثم نزل الخليفة وتبعه عمه داود بن على ، وناب أبو جعفر المنصور عن أخيه أبى العباس فى أخذ البيعة له من الناس .

وينظر البعض إلى خلافة أبى العباس على أنها فترة انتقالية من حكم إلى حكم أو من دولة إلى دولة أخرى ، وذلك لأن حكم أبى العباس كان قصير الأمد إذ لم تتجاوز خلافته السنوات الأربع ، كما أن فترة حكمه لم تكن فترة تأسيس وبناء ، بل كانت فترة تصفية للقوى المعارضة للدولة من بنى أمية ، وللشخصيات الكبرى التى قامت الدولة العباسية على أكتافها ، وهى تعبير صادق لمقولة أن الثورة دائماً ما تأكل أبناءها .

لذلك لا نعجب من التصاق لقب السفاح بأبى العباس ، هذا اللقب الذى عبر عنه فى إحدى خطبه : « أنا السفاح المبيح والثائر المبير »[2]. ورغم دفاع بنى العباس وتفسيرات بعض المؤرخين لمعنى هذا اللقب ومغزاه[3]، إلا أنه يظل يحمل فى الأذهان أحداث القتل وسفك الدماء التى قام بها أبو العباس ضد الأمويين وأقرب الأقربين إليه . وأول ما قام به أبو العباس أنه قرر اتخاذ قصر لخلافته يكون قريباً من شيعته وأنصاره بدلاً من دمشق ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص١٢٦ ـ ١٢٨ .

(٢) الطبرى : المصدر نفسه ، جـ٩ ، ص١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذا اللقب ومعناه اللغوى ، انظر أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٦٥ ، ومحمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص٧٣ .

ومن المعروف أنه نزل في أول الأمر بموضع قريب من الكوفة يسمى هاشمية الكوفة ، ثم انتقل منها بعد عامين إلى مدينة الأنبار الواقعة على نهر الفرات إلى الشمال من الكوفة فأقام بجوارها مدينة عرفت بهاشمية الأنبار اتخذها دارا للخلافة(١)، وقد ظلت الأنبار مقرا للدولة العباسية إلى أن قام الخليفة أبو جعفر المنصور ببناء مدينة بغداد عام ١٤٥هـ.

انحصرت أعمال أبو العباس السفاح في القضاء على بني أمية وتصفية أصحاب النفوذ والسلطان في الدولة ، وممن ساعدوا العباسيين في تأسيس دولتهم ، حتى لا يكونوا شوكة في جنب هذه الدولة وحتى لا ينازعوهم الحكم والسلطان(٢).

تصفية الأمويين :-

بدأ أبو العباس السفاح التنكيل بالأمويين فور قيام الدولة العباسية ، ومن أمثلة ذلك ما حدث لمروان بن محمد آخر خلفائهم فقد تتبعه عبد الله ابن على ثم أخوه صالح بن على حتى قتله بمصر وأرسلت رأسه إلى أبي العباس السفاح الذي خر ساجداً لله شكراً ، كذلك أيضًا ما فعله السفاح بسليمان بن هشام بن عبد الملك الذي كان في مجلس السفاح مطمئناً إلى الأمان الذي حصل عليه من الخليفة نفسه ، وإذا بمولى لأبي العباس يدعى سديف ينشده قائلاً :

لا يغرنك ما ترى من رجال

إن تحت الضلوع داء دويا

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسي الأول ، ص٥٤ .

(٢) عطية القوصي : تاريخ الدولة العباسية ، ص٣٧ .

فضع السيف وارفع السوط حتى

لا ترى فوق ظهرها أمويا[1]

فأمر السفاح فى الحال بقتل سليمان رغم أنه أمنه من قبل ، كما تخلص السفاح من نحو سبعين أميراً من أمراء بنى أمية على ضفاف نهر أبى فطرس بفلسطين ، بعد أن أهاج أحد الشعراء ـ أيضًا ـ الخليفة وأعاد عنده ذكريات الماضى الأليم ، وذكره بمقتل أبناء العلويين وبنى العباس قائلاً :

ولقد غاظنى وغاظ رفاقى

قربهم من نمارق وكراسى

أنزلوها بحيث أنزلها الله

بدار الهوان والإتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيدا

وقتيلاً بجانب المهراس

والقتيل الذى بحران أمسى

ثاويًا بين غربة وتناسى[2]

ولم يكتف السفاح بالتنكيل بالأحياء ، بل أمر بنبش قبور خلفاء بنى أمية بدمشق ، معاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد ، وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك ، الذى وجد جسده صحيحاً لم يبل منه إلا أرنبة أنفه ، فأمر بضربه بالسياط ثمانين سوطًا ثم صلبه وحرقه ونثر رماده فى

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٣٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص١٦١ .

(٢) اليعقوبى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص٣٥٩ .

الهواء[1]، مثلما فعل هذا بزيد بن على بن الحسين[2]. ثم أنشد السفاح متشفياً :

بنى أمية : قد أفنيت جمعكم
فكيف لى منكم بالأول الماضى
يطيب النفس أن النار تجمعكم
عوضتم من لظاها شر مُعتاض[3]

ولم ينج من قبور الأمويين سوى قبر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، لما عرف عنه من تقوى وورع ، وبسبب مواقفه الطيبة مع آل البيت سواء أكانوا علويين أو عباسيين ، كذلك لمنعه سب الإمام على وآل البيت من فوق المنابر .

كذلك تتبع عمال السفاح الأمراء من بنى أمية فى الحجاز والشام والعراق ، وكان منهم إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ويزيد بن معاوية بن عبد الملك ، وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك ، وسليمان بن يزيد بن عبد الملك ، كما قتل سليمان بن على بالبصرة جماعة من بنى أمية عليهم الثياب الموشاة ، وأمر بهم فجروا بأرجلهم فالقوا على الطريق لتأكلهم الكلاب[4].

والحق أن المرء ليدهش لتلك القسوة البالغة التى عامل بها العباسيون

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٣٥٧ .
(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٧٣ .
(٣) محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٤٤ ، عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٣٦ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص١٦١ .

الأمويين رغم وصولهم للخلافة ، فلم يقتل بنو أمية من بنى العباس سوى إبراهيم الإمام بعد اشتعال الثورة العباسية ، وإذا كان العباسيون قد استندوا إلى أحقاد العلويين لتبرير تلك المذابح التى أقاموها للأمويين ، فإن التفسير الحقيقى لكل ذلك هو الرغبة الجامحة فى الخلاص من أى منافسة محتملة من جانب الأمويين ، كما أن العباسيين فى هذه الفترة الحرجة من تاريخهم أرادوا أن يشغلوا العلويين بذلك الانتقام عما كانوا يقومون به من الاستئثار بالخلافة من دونهم ، بعد أن كانت الدعوة للرضا من آل محمد شعاراً مرفوعاً من قبل[١] .

يضاف إلى ذلك كله إذكاء الشعراء الموالين للعباسيين للحقد والبغضاء فى نفوس العباسيين على الأمويين وتحريضهم على الإنتقام منهم ، وكان بعض هؤلاء الشعراء من شعراء الأمويين الذين خشوا عقاب العباسيين لمدحهم الأمويين من قبل ، فنظموا القصائد فى التعريض بالأمويين استرضاءً للعباسيين واتقاء شرهم .

هكذا كان الشاغل الأول لأبى العباس السفاح هو تصفية البقية الباقية للأمويين ، ونلاحظ أن السفاح لم يكن يرع مواثيقه التى كان يمنحها لبعضهم أو حتى لأنصاره ، فقد أمر بقتل سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد أن أمنه ، كذلك أمر السفاح بقتل خالد بن سلمة المخزومى من قادة الأمويين ، بعد أن أمنه أبو جعفر المنصور ، ولكن السفاح لم يجز أمان أبى جعفر[٢] .

---

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص٧٢ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٤٤٢ .

التخلص من أبى سلمة الخلال :-

وجه السفاح ـ أيضاً ـ همه ، والمنصور من بعده ، إلى تصفية من ولاهم وساعدهم من الرجال والدعاة فى تأسيس دولتهم ، خشية أن ينازعوهم أو يشاركوهم الحكم والسلطان ، وكان أكبر الشخصيات التى خشى السفاح والمنصور من نفوذها داعيتهم أبو سلمة الخلال ، وعمهما عبد الله ابن على ، وقائدهما أبو مسلم الخراسانى .

وقد بدأت عملية التخلص من أبى سلمة الخلال فى عصر السفاح ، والذى لم ينس له محاولته فى نقل الدعوة إلى العلويين ، فدبر الخلاص منه على يد أبى مسلم الخرسانى .

فقد كتب السفاح إلى أبى مسلم كتاباً يعلمه فيه بما كان قد عزم عليه أبى سلمة من نقل الدولة من العباسيين إلى العلويين ، وعهد إليه بمعاقبته على ذلك ، وأوحى إليه بقتله بقوله فى الخطاب : « إنى قد وهبت جُرمه لك»[1] وأرسل الكتاب مع أخيه المنصور فلما قرأ أبو مسلم الكتاب فطن لغرض السفاح ، ولاقت الفكرة قبولا عنده ، إذ أن قتل أبى سلمة يتيح له التخلص من نفوذه بدار الخلافة ، وتبقى له وحده الحظوة عند الخليفة .

يذكر ابن كثير : « فدعا أبو مسلم مرار بن أنس الضبى فقال : أذهب إلى الكوفة فحيث لقيت أبا سلمة فاقتله ، وانته فى ذلك إلى رأى الإمام ، فقدم مرار الكوفة الهاشمية ، وكان أبو سلمة يسمر عند السفاح ، فلما خرج قتله مرار وأشاع أن الخوارج قتلوه »[2] أبعاداً للتهمة عن العباسيين تلك هى

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص٤٤٨ .
(٢) البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤١١ .

السمات الأساسية لعهد أبى العباسى السفاح أول خلفاء العباسيين ، تصفية الخصوم والتخلص من الشخصيات القوية التى يمكن أن تنازع العباسيين سلطانهم الجديد .

ولم يبق السفاح فى الخلافة سوى أربع سنوات وتسعة أشهر ، ومات بالجدرى فى مدينة الأنبار التى اتخذها قاعدة لخلافته عام ١٣٦هـ ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[١] بعد أن عهد بالخلافة إلى أخيه أبى جعفر المنصور ، وجعل من بعده ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن على ولياً للعهد .

ابوجعفر المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ) :ـ

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، ولد بالحميمة عام ١٠١هـ فى أواخر خلافة عمر بن عبد العزيز ، وأمه سلامة بنت بشير البربرية من قبيلة نفزة البربرية[٢] .

ولاه السفاح عهده وكان حينئذ أميراً للحج بالحجاز ، فأخذ عيسى بن موسى البيعة له بالأنبار ، وبايعه الناس فى كل مكان عقب ذلك إلا عمه عبد الله بن على ومن معه .

أما تلقبه بالمنصور فقد تلقب به أبو جعفر بعد انتصاره على محمد بن النفس الزكية وأخيه إبراهيم ، وقد شارك أبو جعفر أخاه الخليفة أبو العباس السفاح فى إدارة شئون الدولة ، كما كان ساعده الأيمن فى توجيه دفة

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٧١ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٦ ، جـ٢ ، ص٢٨ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى . جـ٢ ، ص٤٢٦ ، السيوطى : نفس المصدر ، ص١٧٢ .

الحكم ، وقد أثبت خلال فترة حكمه قدرة وحنكة وسياسة فى معالجة العديد من المشاكل التى واجهت الدولة فى بداية تكوينها ، لذلك يذهب المؤرخون إلى أنه المؤسس الحقيقى للدولة العباسية ، وذلك على الرغم من أن السفاح كان أول خلفاء العباسيين .

وقد وصفه السيوطى بقوله : « كان فحل بنى العباس هيبة وشجاعة وحزمًا ورأيا وجبروتا ، جماعًا للمال ، تاركًا للهو واللعب ، كامل العقل ، جيد المشاركة فى العلم والأدب ، فقيه النفس ، وكان فصيحًا بليغًا مفوهاً خليقًا للإمارة ، وكان غاية فى الحرص والبخل ، فلقب أبا الدوانيق لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات »[١] .

سار المنصور على نهج أخيه السفاح فى التخلص من الخصوم وتصفية أصحاب النفوذ فى الدولة ، وكانت أهم الشخصيات التى تخلص منها المنصور من البيت العباسى نفسه ، وهو عمه عبد الله بن على ، الذى كان فضله كبيراً فى إقامة الدولة واستئصال شأفة الأمويين فى بلاد الشام ، فقد تطلع عبد الله بن على لانتزاع الخلافة من بنى أخيه ، وكان عبد الله بن على حينما بلغته خلافة المنصور بمدينة حلب بالشام ، فجمع الناس ودعا إلى نفسه وخطب فى الناس قائلاً : « إن السفاح ندب بنى العباس لقتال مروان ، فلم ينتدب غيرى ، وإنه قال لى : إن ظهرت عليه وكانت الغلبة لك فأنت ولى العهد بعدى »[٢] ، وقد شهد له جماعة بذلك منهم أبو غانم الطائى ، وخفاف المروزى ، وغيرهما من القواد ، فبايعه جيشه كما بايعه أهل الشام والجزيرة نكاية فى أبى جعفر[٣] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ، ص١٧٢ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية . جـ١٠ ، ص٤١٩ .

وكان عبد الله بن على قد خرج غازيًا فى عهد أبى العباس السفاح على رأس جيش ضخم ضم عدداً كبيراً من العرب ، فلما بلغته وفاة السفاح وبيعة المنصور توقف عن الزحف ورحل إلى حران ، ثم بعد أن رشح نفسه للخلافة وبايعه أهل الشام والجزيرة قرر الزحف بجيشه هذا إلى العراق .

ويذكر ابن طباطبا فى ذلك : « لما اتصل الخبر بالمنصور أقامه ذلك وأقعده »[1] ، وفكر المنصور أنه ليس هناك خيراً من أبى مسلم الخراسانى ليخلصه من خطر عمه ، ويوجهه لقتاله فإن تخلص منه فقد كفاه ، وإن تخلص عبد الله من أبى مسلم فقد كفاه ذلك أيضًا ، أى أنه أراد أن يضرب عدوا له بعدو آخر ، ولما عرض المنصور الأمر على أبى مسلم وجد ترحيباً، فيذكر ابن الأثير أن أبا مسلم قال للمنصور : « لا تخفه فأنا أكفيك أمره إن شاء الله ، إنما عامة جنده ومن معه من أهل خراسان ، وهم لا يعصوننى »[2] .

وقد استطاع أبو مسلم أن يوقع الهزيمة بقوات عبد الله بعد عدة شهور فى معركة نصيبين عام ١٣٧هـ ، فهرب عبد الله إلى البصرة ونزل على أخيه سليمان بن على الذى كان واليًا عليها من قبل المنصور ، فشفع سليمان فى أخيه عند المنصور وطلب له الأمان ، فأمنه المنصور وكتب له كتابًا بليغًا التزم فيه بكل شىء لعمه [3]، إلا أن المنصور لم يف بهذا الأمان، إذ دبر أمر التخلص نهائيًا من عبد الله بن على بأن استقدمه إليه فى عام ١٣٩هـ فحبسه مدة تسع سنين ثم أمر بقتله عام ١٤٩هـ، وقيل إنه

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦٨ .

(٢) الكامل ، جـ٥ ، ص١٧٥ .

(٣) ابن طباطبا : نفس المصدر ، ص١٦٨ .

جـعله فى دار وضـع فى أسـاسـهـا ملحًـا ثم سلط عليـه الماء فـذاب الملح وانهدمت الدار عليه(١).

هكذا تخلص المنصور من أكبر الشخصيات الخطرة على حكمه وعلى الدولة ككل ، فلو كـان عـبد الله بن على قد نجح فى اقتناص الخلافـة من المنصور ، لأحـدث تحولاً فى الخلافة العباسية أشبه بتحول الخلافة الأموية من الفرع السفيانى إلى الفرع المروانى(٢).

لم يبق أمـام المنصور من الشـخصيـات الخطرة على حكمـه سوى أبى مـسلم الخراسانى ، إذ كـان يرى فيـه دائماً خطراً على الخلافة ، وكثيراً مـا حرض أخاه أبا العباس على قتله(٣). وقد حـرص المنصور بعد قضـاء أبى مسلم على ثورة عبد الله بن على ، فى عدم رجوع أبى مسلم إلى خراسان، حتى لا يفلت منـه وتضيع هذه الفرصة للخـلاص منه ، فصرفه أولاً عن ولاية خراسان ، وعـهد إليه بمصر والشام ، لكن أبا مسلم فطن لما يراد به فحاول العودة إلى خـراسان ، لكن المنصور نجح بذكائه وحسن تدبيره فى إقناع أبى مسلم بالقدوم إليه ، وقد اضطر أبو مسلم أن يرضخ للمنصور بعد أن سدً فى وجـهه طريق العودة إلى خراسان ، فقد عـهد المنصور إلى أبى داود خـالد الذهلى بولاية خـراسـان ، وكـان أبو مـسلم قد أنـابه عليـهـا حين خروجـه ، فكتب أبو داود إلى أبى مـسلم ينصحـه بألا يخالف أمر إمامه وألا يرجع إلى خراسان إلا بإذنه(٤)، فوقع فى يد أبى مسلم وقدم للقاء أبى جعفر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٢١٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٢٠ .

(٢) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص٨٠ .

(٣) الطبـرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص٤٥٠ ؛ ابن طبـاطبـا : الفـخـرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٢٣ .

الذى دبر لاغتياله بخطة محكمة ، إذ قام بتجهيز رئيس حرسه وأربعة رجال أشداء معه بأسلحتهم وأمرهم بالوقوف خلف ستارة بقاعة الإستقبال ، وكانت إشارة التنفيذ تصفيق الخليفة بيديه ، وفى نفس الوقت أمر حراسه بنزع سلاح أبى مسلم عند دخوله على الخليفة[1] ، وقد حرص المنصور قبل إعدام أبى مسلم أن يعدد له خطاياه وذنوبه[2] والمخالفات التى ارتكبها ، ولم تجد - بالطبع - ردود أبى مسلم وتبريراته لدى الخليفة حتى عندما استعطفه أبو مسلم بقوله : « استبقنى لعدوك يا أمير المؤمنين ، فقال المنصور : لا أبقانى الله إذا ، أعدو أعدى إلىّ منك ، ألست الذى بايعتنا على أن من خرج علينا قتلته ، وأنت الخارج علينا »[3] ثم ضرب المنصور بيده على الأخرى فخرج رجال الحرس الأربعة من وراء ستارهم ، فضربوه بالسيوف حتى قتل ، ثم لفوه فى بساط[4] ، وكان ذلك فى شعبان عام ١٣٧هـ .

وقد أنشد المنصور بعض أبيات من الشعر أثناء عملية قتل أبى مسلم منها :

زعمت أن الدّين لا ينقضى
فاستوف بالكيل أبا مجرم
سُقيت كأسًا كنت تَسْقى بها
أمــر فى الحلقْ من العلقم[5]

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٠٨ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٣٦٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص١٧٧ ؛ المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٢٥ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٢٤ .
(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢ ، جـ٨ ، ص١٤ ؛ اليعقوبى : نفس المصدر ، جـ٢ ، ص٣٦٨ .

ويقال أن بعض الأمراء قال للمنصور بعد مقتل أبى مسلم ، يا أمير المؤمنين الآن صرت خليفة ، فأنشد المنصور عند ذلك :

فألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عينا بالإياب المسافر[1]

أما عن التهم والمخالفات التى نسبت إلى أبى مسلم فقد جاءت خلاصتها لدى أغلب المؤرخين فيما يلى :

١ ـ عدم تحية أبى مسلم للمنصور حين زار أبا العباس بالهاشمية وذكره باسمه لا بكنيته فى بعض الرسائل .

٢ ـ تقديم اسمه على اسم الخليفة فى الرسائل المتبادلة بينهما .

٣ ـ تقدمه على المنصور فى طريق الحج وعدم انتظاره .

٤ ـ تأخره فى بيعة المنصور بعد وفاة السفاح .

٥ ـ تحريض عيسى بن موسى على التمرد وطلب الخلافة .

٦ ـ تدخله فى شئون أبى العباس السفاح نفسه .

٧ ـ قتله لداعى الدعاة بخراسان سليمان بن كثير دون استشارة الإمام، وقتله لـ ٦ آلاف من المسلمين صبراً .

٨ ـ أخذه بعض متاع وجوارى عبد الله بن على لنفسه بعد هزيمته .

٩ ـ إدعاؤه النسب لبنى العباس (أدعى أنه من نسل سليط بن عبد الله العباسى) .

١٠ ـ مراوغته ومحاولته الخروج إلى خراسان رغم استدعاء الخليفة له .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٢٤ .

هكذا نجح أبو جعفر المنصور فى القضاء على رأس الجناح العسكرى للدولة العباسية وقائدها البارز ، فلم يعد بين رجاله من يتطلع إلى ما تطلع إليه أبو مسلم من النفوذ والسيطرة ، خاصة وأنه بعد القضاء على أبى مسلم خطب فى الناس قائلاً : « إن من نازعنا هذا القميص أجزيناه خبى هذا الغمد ، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه لنا ، ثم نكث بنا هو فحكمنا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا ، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه »[1].

وقد كان لمقتل أبى مسلم الخراسانى نتائج بعيدة المدى فى تاريخ الدولة العباسية ، وفى أحداث الصراع بين العرب والفرس ، فقد أصبحت شخصية أبى مسلم لدى الفرس مع الأيام شخصية أسطورية ، إذ أصبح البطل القومى والشعبى فى خراسان ، ورفع عدد كبير من الثوار فى فارس شعار الثأر لأبى مسلم كمبرر للثورة على العباسيين ، وهذا إن دل فإنما يدل على ما ناله أبو مسلم من عظم شأن وقوة سلطان فى تاريخ العباسيين .

أبو جعفر المنصور والقضاء على الحركات الفارسية :

صحب قيام الدولة العباسية يقظة فارسية ، انطلاقًا من الدور الذى أسهم به الفرس فى إسقاط بنى أمية وتصعيد بنى العباس ، حتى أن كثير من المؤرخين يميل إلى تصوير هذا الدور بأنه انتصار للفرس على العرب ، ذلك الإنتصار الذى جاهد الفرس لتحقيقه منذ أن قضى الإسلام المنطلق من شبه الجزيرة العربية على أمجادهم وسيطر بنجاح على أوطانهم[2]، وقد

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٢٩ .

(٢) محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٣٩ .

أثار هذا الدور أو الانتصار الفارسى فى نفوسهم آمالاً عريضة فى أن يستحوذوا على النفوذ والسلطة فى الدولة العباسية ، وأن يقاسموا العباسيين الغنيمة ، لكن العباسيين وأن كانوا يدينون للفرس بدورهم فى الدعوة والثورة ، فما كانوا ليسمحوا لهم بأن يشاركوهم بعد ذلك سلطانهم على الإطلاق ، ومن ثم فقد ضرب العباسيون بشدة على أيدى الطامعين وتخلصوا ممن حاول الإنتقاص من سلطة الخليفة كأبى سلمة الخلال وأبى مسلم الخراسانى .

ويبدو أن انتشار الإسلام بين الفرس لم يصاحبه فهم عميق لأفكاره ومبادئه ، فحتى قيام الدولة العباسية لم يكن قد تم القضاء على الهرطقات الفارسية القديمة فى نفوس الفرس ، كما يبدو أن مبادئ هذه الهرطقات كانت قد كمنت فى المناطق الجبلية فى شمالى وغربى فارس ، وهى مناطق بطبيعتها النافرة كانت أقل قبولاً للإسلام وأقل فهما له ، وبالرغم من انتظام أهل الجبال فى جماعات ذات مسميات جديدة كالراوندية والخرمية ، فإن هذه الجماعات ظلت تستقى أفكارها من معين الهرطقات الفارسية القديمة كالزرادشتية والمانوية والمزدكية[1]، وتعتنق الكثير من مبادئها ، وإن كانت قد أحدثت فيها مبدأ جديد هو تعظيم أبى مسلم الخراسانى ، هذا التعظيم الذى تراوح بين التقديس والنبوة والتأليه ، فلما قتل أبو مسلم هبت تلك الجماعات فى ثورات عارمة لتثأر لمقتله .

وبالرغم من أن هذه الثورات كانت ترمى إلى أهداف سياسية ، إلا أنها

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول أفكار هذه الفرق انظر : أحمد شلبى : حركات فارسية مدمرة ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨ ، ص١٦ إلى ١٨ .

كانت أيضًا ترتكز على عقائد مجوسية قديمة ، اتخذت من أبى مسلم زعيماً سياسياً ورئيساً دينياً كأحد خلفاء زرادشت .

حركة سنباذ (١٣٧هـ/ ٧٥٦م) :ـ

كانت ثورة سنباذ أول رد فعل فارسى لمقتل أبى مسلم ، فقد كان سنباذ رجلاً مجوسيًا من بعض قرى نيسابور يقال لها أهراوانة[١] ، وكان من أصحاب أبى مسلم وصنائعه ، فلما قتل أبو مسلم أعلن سنباذ الثورة ضد العباسيين فى منطقة الجبال الواقعة جنوبى بحر قزوين ، وقد نجح بفضل أتباعه من التغلب على نيسابور وقومس والرى ، وقام بضم العديد من بلاد خراسان إليه ، وأشاع فيها الفساد ، وسبى كثيراً من النساء المسلمات ، كما أعلن أنه يريد أن يمضى إلى الحجاز ويهدم الكعبة[٢] ، ويبدو أن حركة سنباذ وإن كان فى ظاهرها الثأر لأبى مسلم إلا أن حقيقتها كانت محاربة الإسلام ومحاولة القضاء عليه ، فقد أخبر أتباعه بأن أبا مسلم لم يمت ، وأنه تلا اسم الله قبل أن يقتل فتحول إلى حمامة بيضاء وطار إلى السماء وسكنها ، ثم قال بنبوة أبى مسلم ثم بألوهيته[٣] .

وصلت أخبار تحركات سنباذ واتساع نفوذه وكثرة أتباعه إلى الخليفة المنصور ، فأسرع بإعداد حملة عسكرية ضخمة قوامها عشرة آلاف مقاتل، بقيادة جهور بن مرار العجلى ، يقول ابن الأثير : « فلما التقوا قدم سنباذ السبايا من النساء المسلمات على الجمال أمام عسكره حواسر ، وصحن

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص٣٥٧ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٧١ ؛ أحمد شلبى : حركات فارسية مدمرة ، ص٩٩ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٦٩ .

صيحة واحدة : وامحمداه ، ذهب الإسلام ، ووقفت الريح فى أثوابهن فنفرت الجمال وعادت إلى عسكر سنباذ فتفرق العسكر ، وكان ذلك سبب الهزيمة ، وتتبع جيش المنصور الجمال ووضع السيف فى المجوس ومن معهم ، فقتلوهم كيف شاؤا ، وكان عدد القتلى نحواً من ستين ألفاً »[1] وتدل كثرة القتلى فى ثورة سنباذ على مدى ما تجمع له من قوة وأتباع وممن دانوا له بالولاء .

حركة *الراوندية* ١٤١هـ/ ٧٥٨م :ـ

تنسب هذه الحركة إلى مدينة راوند[2] القريبة من أصفهان ، وهى إحدى الحركات الهدامة التى ظهرت فى عهد المنصور وأكثرهم خطراً ، فقد نادوا بتألية أبى جعفر المنصور لا حبًا فى إرضائه وإعلاء شأنه وإنما لهدم أبى جعفر المنصور فى نظر جمهور المسلمين وإثارتهم ضده وهدم الدين عن طريق إدخال هذه الأفكار الوثنية .

نشأت هذه الحركة عقب مقتل أبى مسلم ، ودعى إليها رجل يسمى أبو الحسين أحمد الراوندى ، وكان من أتباع الأبلق زعيم هذه الطائفة فى أواخر العصر الأموى ، فقد ذكر الطبرى : « أن رجلاً من الراوندية كان يقال له الأبلق وكان أبرص ، تكلم بالغلو ودعا بالراوندية إليه ، فزعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم صارت فى على بن أبى طالب ، ثم فى الأئمة فى واحد بعد واحد إلى إبراهيم بن محمد وأنهم آلهة ، واستحلوا

---

(١) الكامل ، جـ٥ ، ص١١٦ .

(٢) أصل كلمة (راوند) راهاوند ، ومعناها الخير المضاعف ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص١٩ .

الحرمات ، فكان الرجل منهم يدعو الجماعة منهم إلى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته ، فبلغ ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم ، فلم يزل ذلك فيهم إلى اليوم ، فعبدوا أبا جعفر المنصور ،[1] .

وقد غالت هذه الطائفة فى عهد زعيمها الجديد أبى الحسين أحمد الراوندى ، وقالت بأن أبا جعفر هو الإمام القادر الإله ، وأن نبيه هو أبو مسلم الذى حلت به روح آدم ، وكانت هذه الفرقة ـ الجديدة ـ تلتف حول المنصور وتقول له (أنت أنت) بمعنى (أنت الله) ، كما كانوا يطوفون حول قصره ويقولون « هذا قصر ربنا » ، وكانوا يصعدون إلى قصر المنصور (الخضراء) ويلقون بأنفسهم منه كأنهم يطيرون[2] ، وقد إستطاع المنصور القبض على رؤسائهم وحبسهم ، وكان عددهم مائتين ، فثار الباقون وأخرجوا أصحابهم من السجن ، وهجموا على قصر المنصور يريدون قتله ، وشاء القدر ألا يكون فى ذلك الوقت حرس كاف بالقصر ، فكادوا أن يقتلوا المنصور لولا أن انقذه القائد العربى معن بن زائدة الشيبانى ، أحد قواد الأمويين الذى كان مختفياً حتى ذلك الوقت خوفاً من انتقام العباسيين ، وكانت لهذه اليد البيضاء من معن أحسن الأثر فى نفس الخليفة الذى عفى عنه وأجزل له العطاء وقربه إليه وولاه اليمن[3] .

ورغم أن المنصور قتل عدداً كبيراً من الراوندية ، إلا أنه مع ذلك لم يستطع أن يقضى تماماً على دعوتهم وأفكارهم الهدامة ، إذ انتقلت وظهرت فى حركات أخرى قامت بها شخصيات استغلتها وتسترت ورائها .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٨٣ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٧١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص١٨٧ ، عطية القوصى : نفس المرجع ، ص٧١ .

حركة استاذ سيس ١٥٠هـ/ ٧٦٧م :-

كان أستاذ سيس قائداً من قواد الدولة على الجيوش الفارسية ، وعقب مقتل أبى مسلم ، انتفض لمقتله وثار فى خراسان ، فاستولى على هراة وسجستان ومرو عاصمة خراسان ، وقد التف حول هذا الرجل عدد كبير من الأتباع بلغ ـ فيما يقال ـ ثلاثمائة ألف ، بعد أن ادعى النبوة وأظهر الفسق(١) .

وقد تصدى المنصور لهذه الثورة واختار ابنه المهدى وأعرقْ قواده خازم بن خزيمة التميمى للقضاء على هذه الثورة ، بعد أن استطاع أستاذسيس هزيمة عدد من قادة العباسيين ، فخرج خازم بن خزيمة على رأس جيش كبير من بغداد متجهًا إلى خراسان ، وبالقرب من مدينة نيسابور وقعت معركة كبرى بين جنود أستاذ سيس وجيش الخلافة ، واستطاعت جنود خازم بن خزيمة هزيمة جيش أستاذ سيس ، وقتل ثمانين ألف رجل من أتباعه ، وأسر نحو أربعة عشر ألفا منهم ، بينما فر الباقون من أرض المعركة هرباً (٢) ، أما أستاذ سيس زعيم الثورة فقد هرب من المعركة واعتصم بالجبال مع عدد من جنوده ، فلحق بهم خازم بن خزيمة وحاصرهم مدة ، حتى استسلم أستاذ سيس وقبض عليه وسيق إلى بغداد حيث قتل وصلب على شاطئ نهر دجلة ، وقد عفى المنصور بعد ذلك عن ثلاثين ألف رجل من أتباع أستاذ سيس ، بعد أن استسلموا وأعلنوا توبتهم(٣) .

لم تنته ثورات الفرس وحركاتهم الهدامة بموت أستاذ سيس ، فقد استمرت هذه الحركات الفارسية الهدامة تتوالى بعد ذلك طيلة العصر العباسى ، وفى عهود بعض الخلفاء العباسيين .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٣١ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص١٢٢ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٧٠ .

هكذا شهد عصر المنصور عدة حركات مناهضة للحكم العباسى ، جاهد المنصور فى القضاء عليها لتثبيت أركان حكمه .

بناء بغداد :-

ساعدت طول فترة خلافة المنصور (٢٢ سنة) على التفرغ لعملية بناء الدولة بما تتطلبه من تنظيم إدارة الحكم وعمران البلاد وإصلاح اقتصادها ، وكان بناء مدينة بغداد من أهم الأعمال التى قام بها الخليفة أبو جعفر المنصور وظلت مرتبطة بعهده فى التاريخ العباسى .

كانت هناك مجموعة من الأسباب جعلت المنصور يفكر فى تأسيس عاصمة جديدة للخلافة العباسية ، بعد أن ظل يقيم فى هاشمية الكوفة ، ثم انتقل إلى المدائن .

يأتى فى مقدمة هذه الأسباب إدراك المنصور بالمخاطر التى أحاطت بدولته الناشئة والتى تهدف إلى تقويض حكم الأسرة العباسية ، لذا عمد إلى البحث عن مكان يكون ملائماً لعاصمة جديدة تكون تعبيراً عن سيادة أسرته واسم العباسيين ، مثلما ارتبط اسم بنى أمية بمدينة دمشق[١] ، سبب آخر يذكره الطبرى فيقول : « لما ثارت الراوندية بأبى جعفر فى مدينته التى تسمى الهاشمية ، كره سكناها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الراوندية »[٢] ، كما كان وجود الهاشمية قريباً من الكوفة وهى مركز التشيع للإمام على وأبنائه ، يشكل خطراً على رجال دولته والتأثير عليهم ،

---

(١) إبراهيم فرغلى : العصر العباسي الأول ، ص٥٨ .
(٢) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٧ ، ص٦١٦ ، ٦١٧ .

يضاف إلى ذلك رغبة المنصور فى بناء مدينة تجمع حصانة الموقع وسهولة الاتصال بأطراف الدولة[١].

خرج المنصور بنفسه لاختيار مكان مدينته الجديدة ، فوقع اختياره على منطقة خصبة يرويها ماء دجلة والجداول التى تأخذ ماءها من الفرات، فى منطقة يسهل فيها الاتصال بالشام والرقة والهند والبصرة وواسط والموصل وأرمينية ، وكان موضع هذه المدينة قرية صغيرة قديمة كان قد بناها بعض ملوك الفرس على شاطئ نهر دجلة[٢].

وعندما عزم المنصور على بناء بغداد أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم والمساحة والهندسة ليتولوا تخطيط المدينة ، ويذكر الطبرى : « إن المنصور لما عزم على بناء بغداد أحب أن ينظر إليها عياناً ، فأمر أن تخط بالرماد ثم دخل من وضع كل باب ومر فى طرقات المدينة ورحابها وهى مخطوطة بالرماد ، ثم أمر أن يوضع على تلك الخطوط حب القطن ويصب عليه النفط ، وتوقد فيه النار ، فنظر إليه والنار تشتعل ، وبذلك أمكنه الوقوف على رسم مدينته »[٣].

أمر المنصور بحفر أساس المدينة على الرسم الذى أعد عام ١٤٥هـ، ثم وضع المنصور بيده أول لبنة فى بنائها قائلاً : « بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »[٤]، وقد جعل

---

(١) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص٥٩ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول . ص٦٤ ؛ عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٥٠ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص٢٤١ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٥٥ ؛ ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦٣ .

المنصور بغداد على شكل مستدير ، وجعل لها سورين أحدهما داخلى والآخر خارجى، فبلغ سمك السور الأول فى أعلاه خمسة وثلاثين ذراعًا وعليه أبراج ضخمة ، بينما جاء السور الثانى أكثر سمكًا وعلوًا ، كما جعل للمدينة أربعة أبواب كل اثنين منهما متقابلان[1] وبنى فى وسط المدينة قصره والمسجد الجامع ، وبنى فوق القصر قبة خضراء عالية ترى من أطراف بغداد ، ووضع فى أعلاها تمثال لفارس بيده رمح يتحرك فى اتجاه الريح ، وقد أحاط المنصور بقصره قصور الأمراء والدواوين الحكومية [2]، وتم الإنتهاء من بناء بغداد عام ١٤٦هـ وسكنها المنصور فى شهر صفر من هذا العام[3].

أما عن أسماء بغداد فيقال لها : مدينة المنصور ، والزوراء (لانحراف قبلتها إلى اليسار) ، ودار السلام ، والروحاء (لطيب هوائها) ، والمدورة (لاستدارة بنائها) .

وكان اسم مدينة السلام من الأسماء التى اختارها المنصور لمدينته تيمنًا بجنة الخلد ، وهو الاسم الرسمى الذى كان يذكر فى الوثائق الرسمية ، لكن غلب اسم بغداد على اسم دار السلام فيما بعد ، وصار علمًا على هذه المدينة الخالدة[4].

---

(١) أبواب بغداد هى : باب خراسان فى الشمال الشرقى ، وباب البصرة فى الجنوب الشرقى، وباب الكوفة فى الجنوب الغربى ، وباب الشام فى الشمال الغربى ، وعلى كل باب منها مجالس وقباب مذهبة يصعد إليها على الخيل . اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٣٧٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٢٠٨ .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦٣ .

(٤) ابراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص٦٣ .

أما عن الأصل اللغوى لكلمة بغداد ، فهى كلمة فارسية تتكون من مقطعين : باغ ومعناها الله ، وداد من فعل دادن بمعنى أعطى ، فيكون معناها بذلك المدينة التى اعطاها الله أو مدينة الله[1] .

لم يمض على إنشاء بغداد فترة طويلة حتى أصبحت عامرة بالسكان الذين أقبلوا عليها من شتى البلاد ، واحتلت بغداد بسرعة مكان الصدارة فى السياسة والاقتصاد والنشاط الاجتماعى ، وقد اتصل ببناء بغداد بعد ذلك بناء مدينة الرصافة ، وكان المنصور قد اتخذها فى الأصل سكناً لفرق الجيش ، وسميت رصافة بغداد ، ثم بغداد الشرقية لأنها تقع فى الجهة الشرقية من دجلة المقابلة لبغداد ، وسرعان ما عُمرت الرصافة حتى قاربت بغداد فى الاتساع فظهرت فيها الحدائق والمنتزهات والميادين الواسعة والمبانى الفخمة والحمامات والأسواق[2] ، وصارت بغداد والرصافة مدينة واحدة ، وفى عام ١٥٧هـ بنى المنصور فى داخل بغداد الكرخ ، وهو السوق الرئيسية لبغداد فى الجهة الغربية منها ، وقسمه إلى أسواق متخصصة ، فكان لكل حرفة وتجارة سوقها الخاص ، وصارت الكرخ من أعظم أسواق الدنيا فى عالم العصور الوسطى بفضل السلع والبضائع المصنوعة بالداخل والمجلوبة من الخارج[3] .

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٥٠ ؛ إبراهيم أحمد العدوى : العالم الإسلامى ، ص٢٠١ .

(٢) عطية القوصى : نفس المرجع ، ص٥١ .

(٣) إبراهيم أحمد العدوى : تاريخ العالم الإسلامى ، ص٢٠٢ .

المنصور وثورات العلويين :

كانت العلاقات بين العباسيين والعلويين أثناء الدعوة العباسية علاقات حسنة ، وعندما انتهت الدعوة بانتقال الخلافة إلى العباسيين رغم رفعهم لشعار (الرضا من آل محمد) أحس العلويين بخديعتهم وتأكد لهم خيانة العباسيين ، لذلك فقد اعتبر العلويون وخاصة الفرع الحسنى منهم (أحفاد الحسن بن على) أن العباسيين قد اغتصبوا حقهم فى الخلافة كالأمويين من قبل[١] .

وقد جهر بهذا العداء فى بداية عهد الدولة العباسية كل من محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وأخيه إبراهيم ، فقد امتنعا عن مبايعة أبى العباس السفاح ، على أن أبا العباس لم يعاملهما بعنف، بل أظهر التودد لهما وعمل على رفع شأنهما ومصانعتهما ، مستعيناً عليهم فى ذلك ببعض أقاربهما من العلويين ، فلم يخرجا فى عهده على طاعته[٢] .

ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة جدد الأخوان محمد بن عبد الله (النفس الزكية)[٣] وإبراهيم رفضهما لمبايعة المنصور[٤]، لذلك رأى المنصور أن الخطر كل الخطر على دولته فى بقاء النفس الزكية وأخيه إبراهيم دون التخلص منهما ، فلم يكن المنصور ليقبل وجود شخصيات تثير

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٩٨ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٢٨ .

(٣) النفس الزكية : عرف محمد بالنفس الزكية لدماثة خلقه وزهده ونسكه وسمو فكره . ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٤ ، ص٣٧٠ .

القلق والاضطراب فى البلاد ، خاصة بعد أن تتبع أخبار ذى النفس الزكية، الذى بايعه أهل المدينة ، وعمد إلى التخفى . وفى شهر رجب من عام ١٤٥هـ ، وبعد اشتداد إيذاء المنصور لآل الحسن لمعرفة مكان ذى النفس الزكية ، رأى محمد ذو النفس الزكية الخروج من مخبئه حماية لأهله من الإضطهاد ، فظهر فى المدينة معلنا دعوته ، وأفرج عن المسجونين ، وعزل الوالى العباسى وعيَّن واليا من قبله على المدينة ، وتلقب بأمير المؤمنين ، فذاع صيته وعظم إحترام الناس له ، وازدادت أعداد المناصرين لدعوته خاصة بعد فتوى الإمام مالك بن أنس فقيه المدينة بنقض بيعتهم للمنصور ، حيث قال : « إنما بايعتم مكرهين ، وليس على مكروه يمين»[1] .

وأرسل محمد النفس الزكية أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر الدعوة وأخذ البيعة له بالعراق ، وكان المنصور حينئذ منشغلاً ببناء بغداد ، فأمر بوقف البناء وتوجه إلى الكوفة ، وأمر بإغلاق أبوابها حتى لا يخرج منها أو يفد إليها أحد ، فقد كان المنصور يخشى من انضمام شيعة على بها إلى دعوة محمد ذى النفس الزكية[2] .

وقد حاول المنصور أن يلجأ إلى الحيلة والمناورة السياسية مع محمد ذى النفس الزكية ، فدعاه إلى حل الخلافات بينهما سلميًا ، وعرض عليه عروضًا سخية فى مقابل العودة إلى الطاعة والكف عن الثورة ، قائلاً : «فلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ، إن أنت أقلعت إلى الطاعة لأؤمننك ومن اتبعك ، ولأعطينك ألف ألف درهم ، ولأدعنك تقيم فى

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٤١ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٧٤ .
(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٢٩ .

أحب البلاد إليك ، ولأقضين لك جميع حوائجك »[1]، فرد عليه ذو النفس الزكية بكتاب قائلاً : « وإنى أعرض عليك من الأمان ما عرضت علىّ ، فأنا أحق بهذا الأمر منكم ، وأنتم إنما وصلتم إليه بنا ، فإن علياً كان الوصى وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته ، وولده أحياء ؟ فأنا أولى بالأمر منك ..... وأولى بالعهد وأوفى به منك ، فإنك تعطى العهد ثم تنكث ولا تفى ..... ولو أعلم أنك تصدق لأجبتك لما دعوتنى إليه ، ولكن الوفاء بالعهد من مثلك لمثلى بعيد والسلام »[2].

إن المحلل لنص الخطابين ليدرك للحظة الأولى إستحالة التفاهم والمصالحة بين الرجلين ، إذ كان لكل منهم غاية وهدف لن يحيد عنه[3]، لذلك واصل محمد ذى النفس الزكية ثورته وواصل المنصور استعداداته للقضاء عليه .

وقع إختيار المنصور على ابن أخيه وولى عهده عيسى بن موسى ليكون قائداً للجيش الذى أرسله إلى الحجاز لمواجهة محمد النفس الزكية ، لسببين مهمين : **أولهما** أن عيسى كان عسكرياً من الطراز الأول ،**وثانيهما** أن ثورة محمد كانت فرصة مناسبة للخليفة ، فسواء قُتل محمد أم عيسى فإن ذلك نصر للخليفة ، لأنه كان عازمًا على عزل عيسى بعد ذلك من ولاية العهد وجعلها لابنه محمد المهدى[4].

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ١٠ ، ص٤٤٤٣ .

(٣) لمزيد من التفاصيل وتحليل المراسلات المتبادلة بين المنصور وذو النفس الزكية انظر : محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٥٢ ـ ٥٣ .

(٤) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص٤٥ .

ولما قاربت قوات عيسى بن موسى المدينة لحصار محمد النفس الزكية وأتباعه ، ساد الاضطراب وروح الإنهزام فى عسكر النفس الزكية ، وأخذ رجاله ينفضون من حوله حين شاهدوا كثافة العسكر[1]، واضطر النفس الزكية إلى الفرار من المدينة إلى مكة فتبعه إليها عيسى بن موسى وفرض الحصار عليها ، وحدثت المعركة الفاصلة بين الطرفين فى صبيحة اليوم الثانى عشر من شهر رمضان عام ١٤٥هـ، فانتهت بانتصار الجيش العباسى ومقتل محمد النفس الزكية بيد حميد بن قحطبة ، الذى احتز رأسه وحملها إلى المنصور فى الرابع عشر من رمضان[2]، وبعد الخلاص من ثورة النفس الزكية توجهت قوات عيسى بن موسى إلى العراق للإجهاز على ثورة أخيه إبراهيم بالبصرة ، بعد أن بايعه أهلها وتمكن من السيطرة على الجهات القريبة منها والأهواز وواسط ، وما إن وصلت قوات عيسى بن موسى إلى البصرة فى مكان يقال له (باخمرى)[3] حتى دارت الحرب بين الطرفين ، وحلت الهزيمة بقوات إبراهيم وقتل فى أواخر ذى القعدة عام ١٤٥هـ[4]، لذلك عرف إبراهيم بقتيل باخمرى ، وقد قتل فى معارك النفس الزكية وأخيه إبراهيم عدد كبير من أفراد البيت العلوى ، وقبض على الكثير منهم وأودعوا سجون الكوفة ، ولم يكتف المنصور بذلك بل إمتد انتقامه إلى

---

(١) كان جيش عيسى بن موسى فوق أربعة آلاف ، وعلى مقدمته حميد بن قحطبة ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٤٧ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٣٧٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٤٧ .

(٣) باخمرى : موضع بين الكوفة وواسط ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٣١٦ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص١٦٩ ، ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٦٧ .

كل من ساعد أو ناصر العلويين فى ثورتهم ، فضرب الإمام مالك بن أنس بالسياط بسبب فتواه للنفس الزكية وأهل المدينة ، كذلك استقدم الإمام أبا حنيفة من الكوفة إلى بغداد ، وحدد إقامته بها مدة خمس عشر يومًا ، ثم أرسل بعد ذلك ـ فيما يقال ـ من دس له السم فمات بسببه(1) .

كانت ثورة النفس الزكية وأخيه إبراهيم هى أول ثورات العلويين وأكبرها فى العصر العباسى ، وكان من الممكن أن تسفر عن سقوط الدولة الناشئة فى عهد المنصور ، لولا أنه أخطأ بالتعجيل بثورته قبل أن يقوى أمره ، لذلك فإذا أردنا أن نحدد أسباب فشل هذه الثورة فعلينا أن نجملها فى عدة نقاط هى :

١ ـ أن محمداً وأخاه إبراهيم تعجلا فى الخروج على المنصور بعد أن بايعه عامة المسلمين بالخلافة .

٢ ـ استند النفس الزكية فى ثورته إلى بلاد الحجاز وحدها ، والحجاز حينئذ لم تعد صالحة من الناحية العسكرية والسياسية ، لأن تقوم بها ثورة ناجحة .

٣ ـ لم يقم الأخوان بالثورة فى وقت واحد ، الأمر الذى كان من الممكن معه أن تتوزع جهود الخلافة وتتشتت فى جبهتين ، فقد أجل إبراهيم الثورة فى البصرة بعض الوقت بسبب مرض ألم به .

٤ ـ كانت الدولة العباسية فى أوائل أيامها قوية فتيه يحظى فيها الخليفة بالهيبة والتأييد .

هكذا حلت بالعلويين نكبة أخرى بمقتل الأخوين محمد النفس الزكية وإبراهيم ، وهكذا نجح المنصور فى التخلص من خطر آخر ، تطلع إلى الخلافة ، فأصبح جديراً بالانفراد بالسلطة والحكم .

---

(1) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٠١ .

المنصور وولاية العهد:

كان أبو العباس السفاح قد ولّى أخاه أبا جعفر المنصور العهد من بعده، على أن تكون الخلافة بعد أبي جعفر إلى عيسى بن موسى بن محمد، وبناء على ذلك أصبح عيسى بن موسى وليًا لعهد المنصور، ولكن انشغال المنصور بالعديد من المشاكل الداخلية في البلاد جعله ينصرف عن التفكير في مشكلة ولاية العهد، فلما فرغ من هذه المشكلات واستقرت أمور الدولة بدأ يفكر في نقل ولاية العهد من ابن أخيه إلى ابنه محمد المهدي، بعد أن شغف به شغفاً شديداً[1]، وقد بدأ المنصور في تنفيذ خطته بأن قام بإعداد ابنه محمد المهدي ليكون ولي عهده، فأرسله إلى خراسان ليرأس حملة عسكرية لقمع ثورة رجل يدعى عبد الجبار الأزدي[2]، ثم أمره بغزو طبرستان حتى يتمرس بالشئون العسكرية، وحتى يحقق شهرة في ميادين القتال، وفي المقابل أرسل ولي عهده عيسى بن موسى للقضاء على الثورات الخطيرة لعله يقتل في أحد الميادين.

فقد أوفده لمحاربة العلويين وفي نيته أن يتخلص إما من ولي عهده ليُحوِّل الخلافة لابنه المهدي أو من محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، ولذلك قال المنصور: « لا أبالي أيهما قَتَلَ صاحبه »[3].

وعلى الرغم من أن عيسى بن موسى قد نجح في القضاء على ثورة النفس الزكية وأنقذ للمنصور ملكه، إلا أن المنصور أصر على أخذ البيعة

---

(1) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص١٧٢.

(2) كان عاملاً للمنصور على خراسان وتمرد عليه. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة، جـ٣، ص١١٦.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٧، ص٥٧٧.

لابنه المهدى ، وواجه عيسى بن موسى بالأمر وطلب منه وفاوضه فى خلع نفسه ، لكن عيسى تمسك بحقه وأعلن رفضه قائلاً : « يا أمير المؤمنين كيف أصنع بالأيمان التى فى رقبتى وفى رقاب الناس بالعتاق والطلاق والحج والصدقة ، ولئن فعلت لتكونن حجة لمن ترك الوفاء وخان العهد ، ليس إلى ذلك سبيل »[1]. عندئذ بدأ المنصور يتغير فى معاملة عيسى بن موسى ، فبعد أن كان يكرمه ويجلسه إلى يمينه[2]، باعده وصار يأذن للمهدى قبله ، ويجلسه دون عيسى ، ثم صار يتعمد أذاه ، فإذا جلس عيسى فى مجلس يطلب المنصور أن يُحفر الحائط الذى يليه ، وينثر التراب على رأسه ، فيقول لبنيه : تنحوا ثم يقوم هو فيصلى والتراب عليه ، ثم يؤذن له فيدخل على المنصور والتراب عليه لا ينفضه ، فيقول له المنصور: يا عيسى ما يدخل أحد على بمثل ما تدخل به من الغبار والتراب ، أفكل هذا من الشارع ؟ فيقول عيسى : أحسب ذلك يا أمير المؤمنين ولا يشكو[3].

اضطر المنصور أن يستخدم أسلوب الضغط ووسائل الترهيب بعد أن فشلت سياسة اللين مع عيسى بن موسى ، فأرسل إليه خالد بن برمك فأخذ معه جماعة من أهل المنصور نحو ثلاثين رجلاً ومضى إلى عيسى فخاطبه فى أن يخلع نفسه فأبى ، فقال خالد للجماعة : نشهد عليه أنه قد خلع نفسه ونحقن بذلك دمه ونسكن هذه الفتنة ، فشهدوا عليه بذلك فقامت البينة به ، وأنكر عيسى ذلك فلم يلتفت إليه ، وتم خلعه وبويع للمهدى ،

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٧٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٢٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٤٦٣ .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٧٣ .

فكان بعض المُجان من أهل الكوفة إذا مر بهم عيسى بن موسى يقولون : « هذا الذى كان غداً فصار بعد غدٍ »[١].

شخصية المنصور :

لا شك أن المنصور كان أعظم الخلفاء العباسيين شدة وبأسًا ويقظة وحزمًا وصلاحًا واهتمامًا بمصالح الرعية فى بلاطه ، وهو يعتبر المؤسس الحقيقى للدولة العباسية ، كما كان عبد الملك بن مروان بالنسبة للدولة الأموية . يقول الطبرى : « كان المنصور أسمر طويلاً نحيفًا خفيف العارضين »[٢]. اشتهر بالجد فى بلاطه ، فلم يعرف عنه ميل إلى اللهو والعبث ، فقد كان عالماً قبل توليه الخلافة ، خالط العلماء وتجول فى البلاد لحضور المناظرات والحلقات الفكرية والدينية[٣]، كما كان على علم بالحديث والأخبار والمغازى ، وقد طلب من محمد بن إسحاق وضع السيرة النبوية التى وضعها لتثقيف ابنه المهدى ، كما طلب من مالك بن أنس وضع الموطأ[٤].

وقد عُرف عن المنصور فصاحته فى القول ، خطب ببغداد فى يوم عرفات عام ١٥٠هـ، فقال : « أيها الناس إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وأنا خازنه على فيئه ، أعمل بمشيئته ، وأقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلنى الله عليه قفلاً ، إذا شاء أن يفتحنى

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ١٩٨٠ ، ص١٢٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص٢٩٩ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٧٤ .

(٤) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٥٣ .

لأعطياتكم وقسم فيئكم وأرزاقكم فتحنى ، وإذا شاء أن يقفله اقفلنى...)[1].

وقد يؤخذ على المنصور ميله لسفك الدماء وغدره بمن أمنه ، وفى ذلك يقول : « لأن بنى مروان لم تبل رممهم وآل أبى طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقة ، واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا فى صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة »[2].

توفى أبو جعفر المنصور من مرض بمعدته فى السادس من ذى الحجة عام ١٥٨هـ وهو فى الطريق إلى مكة حاجًا ، وقد كتم الربيع بن يونس وزيره أمر موته حتى يأخذ البيعة لابنه محمد المهدى ، فيقال إنه أجلسه وسنده وجعل على وجهه غلالة خفيفة ، يرى وجهه منها ولا يفهم أمره ، وأذن لوجوه بنى هاشم ، فلما دخلوا ووقفوا بين يديه وهم يحسبون إنه حى ، تقدم الربيع إليه كأنه يشاوره ثم عاد إليهم وأبلغهم أن أمير المؤمنين يأمرهم بتجديد البيعة للمهدى فبايعوه[3].

وقد وزر للمنصور وزيره الفارسى الأصل أبو أيوب الموريانى ، لكن المنصور نكبه وقتله وقتل أقاربه وصادر أموالهم لدسيسة دسها أعداء الموريانى ضده عند الخليفة اتهموه فيها بالخيانة[4]، ثم وزر له الربيع بن يونس (أبو الفضل) .

هكذا كان دور أبى جعفر المنصور فى تاريخ العباسيين من أهم الأدوار، فقد استطاع أن يجعل مُلك بنى العباس راسخ الأساس قوى

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص٣١٠ ـ ٣١١ .
(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٧٧ .
(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٣٧ .
(٤) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٨١ .

الدعائم، وأن يترك لابنه المهدى مملكة عريضة مهيبة الجانب فى الداخل والخارج .

محمد المهدى (١٥٨ ـ ١٦٩هـ) :

هو أبو عبد الله محمد المهدى بن أبى جعفر المنصور ، ولد بالحميمة عام ١٢٦هـ، وأمه أروى بنت منصور بن عبد الله الحميرى[١]، نشأ فى بيت الخلافة وعنى أبوه المنصور بتربيته وتثقيفه فعهد به إلى المفضل الضبى صاحب (المفضليات) و (أمثال العرب) ، فنشأ المهدى فصيحاً يقول الشعر ويجيده ويحفظ كثيراً منه[٢]، كان المهدى فى العاشرة من عمره حين آلت الخلافة إلى أبيه المنصور ، ولما بلغ الخامسة عشرة أرسله المنصور على رأس جيش كبير للقضاء على فتنة عبد الرحمن بن عبد الجبار الازدى بخراسان ، كما استعان المنصور بابنه المهدى فى القضاء على فتنة أستاذ سيس ، لقد أراد المنصور أن يكتمل إعداد المهدى ثقافيًا وعسكرياً ليكون جديراً بتولى شئون الخلافة من بعده ، لذلك استعان به أبوه فى إدارة شئون خراسان ، ولما عاد من الرى بنى المنصور له ولجنده مدينة الرصافة عام ١٥١هـ ، ثم جعله أميراً للحج عام ١٥٣[٣]، وفى عام ١٥٨هـ ذهب المنصور ليحج وترك المهدى نائبًا عنه ببغداد ، فمات المنصور فى رحلته فبويع للمهدى بالخلافة بمكة فى العام نفسه[٤].

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٨٠ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٣٨ .

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١١٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص٢٧٦ .

(٤) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٧٩ .

وتعد الفترة التى تولى فيها المهدى الخلافة فترة مميزة على امتداد العهد العباسى ، فهى فترة استقرار وهدوء تكاد تخلو من مظاهر الثورات الكبرى ، ولذلك يمكن القول إن المنصور كان يبنى دولة ويؤسس مُلكاً ، أما المهدى فقد اهتم بالإصلاحات الداخلية فى البلاد والبناء والعمران ، علاوة على رد المظالم ومحاربة الزندقة وحماية الدين[1] .

اصلاحات المهدى :

قضى المهدى فى الخلافة عشر سنين ، تعتبر فترة إنتقال بين عهد الشدة والقمع الذى ساد عهد من سبقه من خلفاء بنى العباس ، فكان المهدى أول خليفة عباسى ينظر فى المظالم ، وكان إذا جلس قال : « أدخلوا علىّ القضاة حتى يتحتم علىّ ردُّ المظالم ولو بدافع الحياء منهم »[2] .

وقد بدأ المهدى عهده بسلسلة من الإصلاحات ، واستعان فى ذلك بما تركه له أبوه من بيت مال عامر يكفى الدولة عشر سنين[3] ، فمن أعماله أنه أمر بالافراج عن المسجونين ، وبنى الأبنية والقصور فى الطريق المؤدية إلى مكة لحراسة المسافرين وإيوائهم ، كذلك أمر ببناء الأحواض التى يستقى منها رجال القوافل ودوابهم[4] ، كما اجرى على أهل السجون وعلى المجذومين حتى يمتنعوا عن السؤال ، كذلك زاد فى المسجد الحرام ومسجد الرسول (ﷺ) غير أنه محا اسم الوليد بن عبد الملك من حائط

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٣٩ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٧٩ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٤٠ .

(٤) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١١٨ .

الحرم وكتب اسمه بدله ، وجدد الأميال وأقام البريد بين مكة والمدينة واليمن ، وعين الأمناء فى الولايات ليوافوه بأخبار الولاة والعمال[١]، ومن أفضل مآثر المهدى أنه رفع الظلم عن دافعى الضرائب ، فقد كان الناس حتى عهد المنصور يؤدون الخراج بالدرهم الوافى وهو ثمانية دوانيق لا بالدرهم المستعمل بين الناس وهو ستة دوانيق ، فلما ولى المهدى قال : « معاذ الله أن ألزم الناس ظلمًا ، فقيل له : إن أسقط أمير المؤمنين هذا خسرت بيوت المال الآلاف من الدراهم كل عام ، فقال : على أن أقرر حقاً وأزيل ظلماً مهما نقصت بيوت الأموال »[٢]، وليس هذا كل ما فعله المهدى مع أهل الخراج ، بل أمر أن يطالبوا باللين واليسر وكانوا من قبل يعذبون بصنوف العذاب[٣].

ويبدو أن المهدى بدأ من خلال إصلاحاته وكأنه يبتغى التكفير عن المظالم والقوة التى صبغت عهدى السفاح والمنصور ، وبالرغم من ميله إلى الحياة المترفة إلا أنه كان يجل الدين إجلالاً كبيراً ويميل إلى اتباع السنة ، وكان من خلقه الحياء والعفو والجود والحلم ، لم يشرب النبيذ ولكنه أجازه لجلسائه وسماره[٤]، وهو مع ذلك كان سريع التأثر بالقرآن محبًا لسماعه يصلى الصلوات الخمس فى المسجد الجامع[٥].

---

(١) يذكر أن المنصور ترك له ببيت المال حوالى ستمائة ألف ألف درهم وأربعة عشر ألف ألف دينار ؛ المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

(٢) الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٥ ، ص١٣٨ .

(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٤) كان وزيره يعقوب بن داود ينهاه عن ذلك ويعظه ويقول له : ليس على هذا استوزرتنى ولا عليه صحبتك . ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٢٤ .

(٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٨٤ .

المهـدى والعلويين :

سلك المهدى مسلكاً جديداً مع ابناء البيت العلوى ، فقد قرب العلويين إليـه واطلق المسجونين منهم ، وأوقف اضطهادهم الذى عانوه فى عهد أبيه، يقول ابن الأثير : « فى سنة ١٦٠هـ استخلف المهدى على بغداد ابنه موسى وخاله يزيد بن المنصور واصطحب معه جماعة من أهل بيته وابنه هارون الرشيد وذهب يحج بالناس ، وكان معه يعقوب بن داود فأتاه بمكة بالحسن بن إبراهيم بن عبد الله العلوى ، الذى كان استأمن له فوصله المهدى واقطعه »[١]، كما ولى كثيراً من الزيدية أعمالاً للدولة فى الشرق والغرب[٢]، هكذا عفا المهدى عن بعض آل البيت ومنحهم الإقطاعات والأموال ، وهذا العفو والعطاء يبدو أنه يرجع إلى شخصية المهدى المتسامحة العادلة[٣].

المهـدى والمقنـع الخراسانـى (١٦١ـ١٦٣هـ) :

تتابعت حركات الفرس المناهضة للحكم العباسى ، والمطالبة فى ظاهرها بالثأر لأبى مسلم الخراسانى ، فظهرت فى عهد المهدى حركة أخرى تسمى بالمقنعية نسبة إلى رجل يدعى بالمقنع ، كان رجلاً قصيراً أعوراً ظهر بمدينة مرو ، وقد سمى نفسه بالمقنع لأنه صنع لوجهه قناعًا من الذهب ليغطى به عَوَره ، ورحمة بعباده الذين يقول عنهم أنهم لا يطيقون رؤيته على صورته الالهية ، لأن من رآه احترق بنوره[٤]، كان

---

(١) الكامل ، جـ٦ ، ص٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٥٨ .

(٣) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص٧٤ .

(٤) محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٧٩ .

هذا الرجل يؤمن بتناسخ الأرواح وبأن الله خلق آدم ثم تحول فى صورته ثم خلق نوحًا وتحول فى صورته وهكذا إلى إبى مسلم الخراسانى ومنه انتقلت إلى المقنع نفسه ، وأسس هذه الحركة ، كما نرى تشبه أسس سابقتها من الحركات الفارسية ، والتى كان من أهمها فكرة الحلول ، أى حلول روح الله فى أجساد البشر وألوهية الأئمة ، كذلك التخلى عن الواجبات والالتزامات الدينية ، فقد خفف المقنع عن اتباعه الواجبات الدينية ، فاسقط الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وجعل الأموال والنساء مباحة لمن آمن به ، لذلك بايعه عددٌ كبير من الاتباع فى بخارى وسمرقند من خراسان وبعض جماعات الأتراك المقيمين عند بحر قزوين ، وكان أتباعه يسجدون ناحيته أينما كانوا من البلاد ، كما كانوا يقولون له فى الحرب « يا هاشم أعنا »[1] وكان قد سمى نفسه هاشماً .

وقد أقلق المهدى ظهور هذا الرجل خاصة وأن اتباعه بدأو فى الازدياد وأحرزوا بعض الانتصارات ، وأسروا كثيراً من نساء المسلمين ، فأضطر المهدى إلى أن يرسل إليه جيشًا كبيراً بلغ سبعين ألف مقاتل بقيادة سعيد الحرشى[2]، فاعتصم المقنع منهم بقلعة هناك وظل محاصراً إلى أن يئس من النصر وقد قيل أنه شرب شراباً مسموماً[3] ثم أمر بإشعال نار عظيمة وأحرق جميع من بالقلعة ، ثم جمع نساءه وأولاده وقال لأصحابه : « من أحب منكم الارتفاع معى إلى السماء فليلق نفسه فى هذه النار)[4] ثم ألقى

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٨٠ .
(٢) محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٧٩ .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص١٤٤ .
(٤) ابن طباطبا : المصدر نفسه ، ص١٨٠ .

بنفسه فيها وأولاده ونسائه ، خوفًا من أن يظفر بجيشه أو بحرمه ، فلما احترقوا فتحت أبواب القلعة ، فدخلها عسكر سعيد الحرشى فوجدوها خالية خاوية ، وكان ذلك فى عام ١٦٣هـ[١] .

المهدى وحركة الزندقة :

لم تقتصر المعارضة الفارسية على تلك الثورات والحركات التى غلب عليها طابع العنف والحرب ، بل اتخذ بعضها أسلوباً فكرياً تمثل فى حركة الزندقة ، والزندقة كلمة ليست عربية بل فارسية الأصل ، يذكر آدى شير : « الزنديق فسر بالقائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان ، قال البعض أنه معرب عن زن دين أى دين المرأة ، وقيل أنه تعريب زنديك ، وهو الذى يعمل بموجب ما هو مسطور بكتاب الزند »[٢] وهو تأويل أو شرح كتاب زرادشت المسمى (آفستا زرادشت)[٣] .

وقد أخذ مدلول الكلمة يتسع فى العصر العباسى الأول ليشمل كل من اعتنق نحلة من نحل المجوس ، ثم اتسعت أكثر فشملت كل إلحاد بالدين الحنيف وكل مجاهرة بالفسق والأثم ، وصارت تطلق على كل من اعتنق أفكاراً تحررية لا تقيم وزنا للقيم الدينية وتدعو إلى الإسراف فى التمتع بالحياة والانغماس فى ملذاتها أو التظاهر بالظرف[٤] .

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٨٠ .

(٢) الألفاظ الفارسية المعربة ، دار العرب للبستانى ، ١٩٨٨ ، ص٨٠ .

(٣) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٢ ؛ محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٠٤٤ .

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٩٦ ، عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٧٤ .

وتكمن خطورة الزندقة فى أنها كانت حركة متشعبة امتدت إلى مجالات الأدب والحياة الاجتماعية والسياسية ، ولم تقتصر خطورتها على أهدافها البعيدة فى تقويض الإسلام ، ولكن أيضاً لاتصالها بحركة الشعوبية التى انتشرت فى العصر العباسى لإعلاء شأن الفرس والحط من قيمة العرب وتراثهم . •

لقد انتشرت الزندقة فى العصر العباسى بسبب النشاط التحررى الذى حدث فى المجتمع الإسلامى على أيدى الفرس ، وذلك عن طريق تقليد الفرس فى مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ومجالسهم ، يذكر العقاد : « الزندقة كانت تتستر بستار الفلسفة أينما كانت ، ولكنها فى ناحية من نواحيها ثورة مجوسية ترمى إلى هدم الدولة الإسلامية من أساسها وإقامة الدولة الفارسية مكانها »[1]، فقد سعى الزنادقة إلى الطعن فى الإسلام ، وبخاصة فى المحافل الأدبية المنتشرة فى العراق ، فصار يأتى إليها الشعراء وأهل الكلام والصعاليك ويخوضون فى أبحاث منطقية وفكرية ودينية ، بل انصرف عدد من هؤلاء الزنادقة إلى تأليف بعض الكتب ، التى روجوا فيها لفكرهم المضطرب ، فيونس بن أبى فروة يضع كتابا فى مثالب العرب وعيوب الإسلام ، ويذهب به إلى ملك الروم فيأخذ منه مالاً[2]، وعبد الكريم بن أبى العوجاء يصرح حين أخذه الجند وهموا بقتله : « لئن قتلتمونى ، لقد وضعت فى أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة »[3].

لقد تنبه المهدى إلى خطر الزندقة وما قد تسفر عنه من زعزعة لعقائد

---

(١) التفكير فريضة إسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨ ، ص٦٧ .
(٢) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٢ .
(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٤ ، جـ١ ، ص١٨٧ .

المسلمين فى دينهم ، وقد بدأ المهدى مقاومة هذه الحركة فى أول الأمر بتصنيف الكتب للرد على كتب الزنادقة[1]، ولكن هذه الخطوة لم تقضى على هذه الحركة ، فلم يبق أمام المهدى إلا استخدام العنف إذ جند نفسه لمحاربة الزنادقة فتعقبهم بنفسه ، وأنشأ ديوانًا لمطاردتهم أطلق عليه اسم (ديوان الزنادقة)[2] وعهد به إلى رجل يطلق عليه (صاحب الزنادقة)، كانت مهمته القضاء عليهم ومحاربة تعاليمهم الهدامة ، وممن شغل هذا المنصب عمر الكلوداني ثم محمد بن عيسى بن حمدويه الذى قتل من الزنادقة خلقاً كثيراً[3].

وقد صار المهدى يقتل على الظنة كل من رُمى عنده بالزندقة ، حتى أنه قتل أصحاب أسماء شهيرة ككاتبه صالح بن عبد القدوس الذى كان يعتنق المذهب المانوى ويحاضر ويناظر فيه ، فقام المهدى بصلبه على جسر دجلة تنكيلا به وعظة للناس[4]، كذلك قتل المهدى الشاعر الشهير بشار بن برد ، وبلغ من تحمسه لقتله أن خرج بنفسه إلى البصرة ليشهد مقتله ، كما قتل المهدى داود بن على ابن عمه لاتهامه بالزندقة[5].

لقد بذل المهدى جهدا فى القضاء على هذه الحركة فى عهده ، كما أوصى ابنه الهادى ـ أيضًا ـ أن يتعقب هذه الطائفة[6]، على أن هذه الحركة لم تكن ليقضى عليها تماماً فى عصر المهدى أو الهادى فقد ظلت ممتدة تقوى تارة وتضعف تارة أخرى حتى نهاية العصر العباسى الأول .

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٥٥٥ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٦٥ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٦٢ .
(٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٠٠ .
(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص١٩٠ .
(٦) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٢١٣ .

المهدى وولاية العهد :

عادت مشكلة ولاية العهد إلى الظهور مرة ثانية فى خلافة المهدى ، فقد اتجه المهدى إلى جعل الخلافة لابنيه الهادى والرشيد ، ولكن عيسى بن موسى الذى كان وليًا للعهد بعد المهدى بوصية المنصور ، وجد نفسه ـ لسوء الحظ ـ مرة أخرى مضطراً للتخلى مرة أخرى عن ولاية العهد ، يقول الجهشيارى : « ولما حال الحول على المهدى فى الخلافة تقدم إلى أبى عبيد الله بمناظرة عيسى بن موسى على أن يخلع نفسه من ولاية العهد ، فناظره وقال له : إن المنصور قدم المهدى عليك وعوضك ، فإن أخرجت نفسك من هذا الأمر عوضك المهدى ما هو أنفع لك وابقى عليك ، وإن أبيت استحل منك المحظور بمعصيتك وخلافك أمره ، وقد لزمتك طاعته ووجب عليك القول منه »[1]، ولكن عيسى بن موسى رفض أن يذعن لهذه الرغبة فأوعز المهدى إلى رجاله وبعض أهل بيته أن يشتموه وينكلوا به متظاهراً بإنكاره ما صنعوا ، ثم أحضر جماعة من الفقهاء فأفتوا بأن على المهدى استرضاءه وابتياع ما له من البيعة فى أعناق الناس ، بما يكون له رضا وعوضًا ، فأعطاه المهدى عشرة آلاف درهم[2]، وإزاء هذا التعنت والإصرار لم يجد عيسى بدا من الاستسلام فخلع نفسه ، واستطاع المهدى بذلك أن يجعل ابنه الهادى وليًا للعهد عام ١٦٠هـ، وفى عام ١٦٦هـ أخذ المهدى البيعة بولاية العهد لابنه هارون الرشيد ليكون خليفة بعد أخيه موسى الهادى[3] .

---

(١) الوزراء والكتاب ، ص١٤٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص١٢٤ .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٨٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص١٥ .

هكذا انتهج العباسيون سياسة الأمويين فى ولاية العهد ووراثة الخلافة، وكانوا قد عابوا ذلك من قبل على الأمويين .

وفـاة المهـدى :

اختلفت الروايات التاريخية فى الطريقة التى توفى بها المهدى ، يذكر ابن طباطبا أنه : « طارد ظبيًا فى إحدى مرات خروجه للصيد ، فدخل الظبى إلى باب خربة ، فدخل فرس المهدى خلفه دون أن يتمكن المهدى من رده ، وكانت عتبة الباب عالية ، فاصطدم بها الخليفة وسقط فمات لساعته »[1]، وقيل إن إحدى جواريه جعلت سمًا فى بعض المأكل لجارية أخرى فأكل المهدى منه وهو لا يعلم فمات[2] .

وكانت وفاة المهدى فى الثامن من محرم عام ١٦٩هـ، قال أبو العتاهية يصف جواريه وقد برزن بعد موته يبكينه وعليهن المسوح :

رحن فى الوشى واقبلـ
ـن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهـ
ـر له يوم نطوح
لست بالباقى ولو عمـ
ـرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نُح إن
كنت لا بد تنوح[3] .

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٨١ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٤١ .
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٨٥ .

موسى الهادى (١٦٩ ـ ١٧٠هـ) :

هو أبو محمد موسى بن المهدى بن المنصور ، ولد بالرى عام ١٤٧هـ ، وأمه أم ولد بربرية تسمى الخيزران[١] .

كان موسى الهادى أكبر من أخيه هارون ، وقد ولاه أبوه المهدى عهده ، وعهد لهارون بالخلافة من بعده ، ثم فكر فى تقديمه عليه ، بسبب إيثاره إياه ومشاركة أمه الخيزران له فى محبته ، لولا أن عاجلته المنية ، وكان هارون من العقل بحيث لم يتردد فى البيعة لأخيه حين سمع بوفاة أبيه ، وقد قضى الهادى قبل أن يعتلى عرش الخلافة أكثر أيامه فى بلاد المشرق ، وأتته البيعة وهو يحارب فى طبرستان وجرجان[٢] .

كان الهادى شجاعًا بطلاً سخيًا متيقظًا غيوراً شديد البطش ، جرئ القلب ، ذا إقدام وعزم وحزم [٣] ، وقد كان الهادى يميل إلى سماع الأدب والتاريخ فضلاً عن حبه للشراب ومجالسه ، ولكن حبه للشراب واللهو لم يشغله عن واجبه ، فقد كان يعطى للجد وقته ويدع للهو مجالسه[٤] ، وقد سار الهادى على نهج أبيه فى مقاومة حركة الزندقة ومحاولة القضاء عليها، وكان أبوه قد أوصاه بذلك ، فعمل على قتل جماعة منهم كانوا يجاهرون بالزندقة ويستهزئون بشعائر الإسلام .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٨٥ .
(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، ص١٣٤ .
(٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٥٧ ، ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٨٩ .
(٤) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٣٢ .

الهادى وثورات العلويين :

يذكر الطبرى أن الخليفة الهادى قدم العون لبعض العلويين ، ومنهم الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن على (كان يكنى أبا عبد الله) وذلك عندما زاره ببغداد ، حيث منحه الهادى أربعين ألف دينار فرقها الحسين على الناس ببغداد والكوفة(١) ، ويبدو من كلام الطبرى أن الهادى سار على نهج أبيه فى حسن معاملة العلويين والإحسان إليهم ، على أن اليعقوبى فى حديثه عن الهادى يختلف مع الطبرى إذ يصفه بأنه اتخذ موقفًا عدائيًا ضد العلويين مما جعلهم يعلنون ثورتهم وسخطهم عليه ، فاندفعوا يؤيدون الحسين بن على ويقفون إلى جانبه(٢) .

كان من أسباب ثورة العلويين بالمدينة تلك المعاملة السيئة التى عامل بها والى العباسيين على المدينة أحد العلويين (عمر بن عبد العزيز بن عبد الله) ، فقد قام بالتشهير به فى حد الخمر حيث جمعه هو وأصحابه وأَوْقَعَ بهم العقوبة ، وأَمَرَ أن يطاف بهم فى المدينة حاسرى الظهور حتى يفضحهم بين أهلها(٣) ، فاجتمع العلويون تحت زعامة الحسين بن على ومعه يحيى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن الحسين ، بعد أن أحسوا بكراهية أهل المدينة لهم واعتزموا الخروج منها ، وقد انضم إلى الحسين كثير من الناس وقصدوا دار الإمارة ، فتحصن عنهم عاملها ، فكسروا السجون وأخرجوا من فيها وبويع الحسين بن على(٤) .

أقام الحسين بن على وأصحابه بالمدينة أحد عشر يومًا ، ثم خرج فى

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص١٩٠ .
(٢) تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٠٤ .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص١٩٢ ـ ١٩٣ .
(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١١٥ .

اليوم السادس من ذى القعدة عام ١٦٩هـ متوجهًا إلى مكة ، وفى موضع يقال له فخ[1] التقى بهم جيش الخليفة الهادى بقيادة قائده محمد بن سليمان، ودارت معركة عنيفة بين الفريقين كانت نتيجتها هزيمة العلويين ومقتل زعيمهم الحسين بن على وعدد كبير من أتباعه وآل بيته ، بعد أن أبلى بلاءً شديدًا فى القتال[2].

لقد كانت موقعة فخ نكبة أخرى للعلويين ، فلم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأقبح منها ، وقد كثُر شعْر الشيعة فى رثاء قتلاهم بها ، ومن ذلك قول أحدهم :

فلأبكين على الحسين
بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذى
واروه ليس بذى كفن
تركوا بفخ غدوة
فى غير منزلة الوطن
كانوا كرامًا هُيجوا
لا طائشين ولا جُبُن
غسلوا المذلة عنهم
غَسْل الثياب من الدرن
هُدىَ العباد بجدهم
فلهم على الناس المنن[3]

(١) فخ : قرية على مسيرة ثلاثة أميال من مكة ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢٣٧ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١١٥ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٥٧ .

ويذكر الطبرى أن الخليفة الهادى قد بكى عندما جاءه جماعة برأس الحسين وزجرهم قائلاً : « أتيتمونى مستبشرين ، كأنكم أتيتمونى برأس رجل من الترك أو الديلم ، إنه رجل من عترة رسول الله (ﷺ) ، ألا إن أقل جزائكم عندى آلا آتيكم شيئاً »[1] .

وكانت موقعة فخ بعيدة الأثر فى تاريخ العباسيين ، فقد نجا منها رجلان كانا شوكة فى حلق العباسيين فيما بعد ، هما يحيى بن عبد الله صاحب الديلم ، وأخوه إدريس الذى فر إلى بلاد المغرب ليؤسس دولة الأدارسة[2] .

الهادى والخيزران :

بعد أن تسلم الهادى سلطة الخلافة ، وجد أن هناك نفوذاً كبيراً لأمه الخيزران ، فكانت تأمر وتنهى وتستبد بالأمور دون الهادى ، فلم تمضى أربعة أشهر حتى كان الناس خلالها يتوافدون إلى بابها وكانت المواكب تغدو إليها وتروح[3] . وقد كان الهادى متمسكاً بالتقاليد العربية التى ترفض تدخل النساء فى شئون الحكم وإدارة الدولة فحذرها قائلاً : « لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادى أو أحد من خاصتى أو خدمى لأضربن عنقه ولأقبضن ماله ، ما هذه المواكب التى تغدو وتروح إلى بابك فى كل يوم ، أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك »[4]، فانصرفت دون أن تنطق بكلمة وبدأت حينئذ الجفوة بينهما ، فلم يعد أحد يستطيع أن يسعى إليها .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص١٩٢ ـ ١٩٣ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٦٩ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٣٣ .
(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٢٠٦ .

وقد تأزمت الأمور أكثر بين الخليفة وأمه عندما أصر على خلع أخيه الرشيد ، والرشيد كان هو الأمل الباقى للخيزران ، إذ كانت تريد أن تستعيد فى ظله نفوذها ومكانتها الذابلة[1]، لذلك امتلأ القصر بالجواسيس لكل منهم، فاللهادى عيون على أمه من خدمها ، وللخيزران على ابنها عيون من خدمه ، ويزداد الأمر سوء عندما يعلم الهادى أن أمه تؤلب الرشيد عليه، وتحثه على ألا يخلع نفسه فيزداد غضبه عليها ويصر على أن يفعل شيئًا ، فيرسل لها طعاماً مسموماً ، ولكنها تختبر الطعام قبل تناوله فتلقى بعضاً منه إلى كلب فيموت ، وتدرك الخيزران ما ينويه الهادى ، فتسارع إلى التخلص منه قبل أن يتخلص هو منها ، فقد أصبحت المسألة بالنسبة لها دفاعًا عن النفس ، خاصة وأن لها رغبة فى أن تضع مكانه أبناً آخر وهو الرشيد ، الذى عرف بالبر والرحمة والحنان[2].

تُجمع بعض المصادر التاريخية على أن الخيزران دبرت أمر التخلص من الهادى بأن أوعزت إلى بعض الجوارى بالجلوس على وجهه وهو مريض ، وظللن يكتمن أنفاسه حتى زهقت روحه ، فأرسلت إلى يحيى بن خالد البرمكى تُعلِّمه بموته[3]، كان ذلك فى ربيع الأول عام ١٧٠هـ، هكذا لم تطل مدة خلافة الهادى لأكثر من عام ، وقيل أن الليلة التى مات فيها هى ليلة مات فيها خليفة وجلس خليفة وولد خليفة ، فالخليفة الذى مات هو الهادى ، والذى جلس على عرش الخلافة هو الرشيد ، والذى ولد فيها هو المأمون[4].

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٩١ .

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٤١ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٨٦ ؛ ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٩١ .

(٤) ابن طباطبا : المصدر نفسه ، ص١٩٢ .

هـارون الرشيـد (١٧٠ـ١٩٣هـ) :

هو أبو جعفر هارون بن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد ابن على بن عبد الله العباسى ، ولد بالرىّ عام ١٤٨هـ حين كان أبوه أميراً عليـها وعلى خراسـان ، أمـه أم ولد وهى الخيـزران[١]، ولى المـهـدى ابنه هارون العهد بعد أخيه الهادى وفكر فى العدول عن عهده السابق ، وهم أن يرشحـه للخلافة مباشرة ، وساعدته على ذلك أمه الخيزران لولا أن حالت منية المهدى دون ذلك[٢]، ولى الرشيد الخـلافة فى الليلة التى توفى فيـها أخوه الهادى وهى ليلة الجمعة ١٤ ربيع الأول عام ١٧٠هـ. وقد أعده أبوه إعداداً جيداً إذ القى به المهدى فى خضم الأحداث فجعله أميراً للصائفة عام ١٦٣هـ، وفى عـام ١٦٤هـ ولاه المغـرب كله ، من الأنبـار حـتى أطراف إفريقية فكان الرشيد يرسل من قِبَلِه الولاة لهذه البقاع[٣].

ويعتبر عصر هارون الرشيد واسطة العقد بالنسبة للخلافة العباسية ، فـقـد اكـتـملت للدولة فى عـهـده ألوان من العظمـة والقـوة والمجـد العلمى ، وكانت الدولة فى عهده مهيبة الجانب فاحترمتها الدول المجاورة وهابتها ، وفى الداخل كان الرشيد أقوى من كل الأحداث ومن الفتن التى ثارت هنا وهناك ، فكان الاسـتـقـرار طابع الدولة والعظمـة طابع الخليـفـة . يقـول السيـوطى عن عصـر الرشيد : « كـانت أيام الرشـيد كلها خـيراً كأنـها من حسنها أعراس »[٤].

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٨٨ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٤٦ .
(٣) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص٩٣ .
(٤) تاريخ الخلفاء ، ص١٨٩ .

شخصية الرشيد :

لم ينل خليفة من الخلفاء مثل ما ناله الرشيد من اهتمام المؤرخين فى الشرق والغرب فيذكر هارى سبنت : « إن هارون الرشيد كان من بين تلك القلة القليلة من الرجال الذين ولدوا عظماء »[1]، ويذكر ابن طباطبا : « كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم ... كان يتشبه فى أفعاله بالمنصور إلا فى بذل المال ، فإنه لم ير خليفة أسمح منه بالمال ... وكان يحب الشعر والشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه ويكره المراء فى الدين)[2].

ويذكر السيوطى : « كان الرشيد أول خليفة يرتحل فى طلب العلم ، قال القاضى الفاضل : ما أعلم أن لملك رحلة قط من طلب العلم إلا الرشيد ، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك ، وقد حفظت نسخة من الموطأ بسماع الرشيد فى خزانة المصريين »[3].

كما كان الرشيد حليما واسع الصدر مع كل من يحدثه من الخاصة أو العامة ، وكان يحب الطعام ويحتفل بموائده ، ولكن دون إسراف[4]، والرشيد أول خليفة لعب بالكرة ولعب بالشطرنج ، بقى أن نشير أن شخصية الرشيد عند المؤرخين كانت تجمع بين الأضداد ، فهو كالريح العاصفة حيناً، وكالنسيم الهادئ حينا آخر ، كان يجمع بين الجد والهذل ، فقد اتخذ له مضحكاً فكيها هو ابن أبى مريم المدنى الذى كان لا يصبر عن لقائه

---

(١) هارون الرشيد ، ترجمة د. صبرى محمد حسن ، كتاب الهلال ، ١٩٥١ ، ص٥٧ .
(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٩٣ .
(٣) تاريخ الخلفاء ، ص١٩٥ .
(٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٨٦ .

ولا يمل محادثته حتى إنه أسكنه معه فى قصره[1]. وهو مع ذلك كان يحج عاماً ويغزوا عاماً ، وكان يصلى فى اليوم مائة ركعة ، وقيل أنه حج ماشياً ولم يحج ماشياً خليفة قبله[2].

وكان أهم ما أكسب الرشيد شهرة وصيتًا رعايته للعلم وتأسيسه لبيت الحكمة ، ذلك المعهد الذى كان المنارة للثقافة والفكر فى العالم آنذاك ، والذى انبعثت منه الشعلة التى أضاءت الطريق للنهضة الأوروبية فيما بعد[3]، كذلك كتاب ألف ليلة وليلة الذى صور سحر الشرق أجمل تصوير وتُرْجِمَ إلى معظم لغات العالم ، ومن الواضح أن بعض المؤرخين قد تأثروا بما كانوا يذكره الأصفهانى فى كتابه الأغانى من روايات عن لهو الرشيد وجواريه ومجالسه فى الغناء والطرب جعلت منه شخصية أسطورية مبهرة .

هارون الرشيد والعلويين :

حاول الرشيد فى الأعوام الأولى من خلافته مسالمة العلويين والعفو عنهم ، وكان ذلك بمشورة وزيره يحيى البرمكى ، فأخرج المسجونين منهم فى بغداد وأكرمهم وأعادهم إلى موطنهم الأول فى الحجاز ، وأجرى عليهم أرزاقًا وافرة ، من ناحية أخرى كان هناك بعض العلويين الذين فروا من موقعه فخ عام ١٦٩هـ، وعلى رأسهم إدريس ويحيى اللذين إستطاعا الفرار ، أما إدريس فقد استطاع أن يؤسس له دولة فى المغرب الأقصى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٧١ ـ ٧٢ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٣٤٧ ؛ ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص١٩٣ .
(٣) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٤٧ .

بمعاونة البربر ، أما يحيى فقد هرب إلى بلاد الديلم حيث استطاع أن يجمع حوله المتشيعين لآل البيت .

وقد شعر الرشيد بالخطر من قيام دولة الأدارسة ، خاصة بعد أن رأى إتجاهاتها التوسعية ونجاحها فى السيطرة على تلمسان التى تعد مفتاح الطريق إلى المغرب الأدنى حيث يرتكز الوجود العباسى ، وقد فكر هارون الرشيد فى إرسال جيش للقضاء على الأدارسة ، ولكنه عدل عن فكرته لخوفه من البربر وبُعد المغرب عن بغداد ، كما أن هذا الجيش لو هزم لكان فى ذلك إغراء لإدريس وحثاً له على مواصلة الهجوم على الدولة فى مصر والشام(١)، لذلك إستبدل الرشيد بالحل العسكرى الحل السياسى ، فاستقر الرشيد ووزيره يحيى البرمكى على إرسال رجل يسمى سليمان بن جرير عرف بالشماخ ، تظاهر بالتشيع لآل على فاطمأن له إدريس وقربه إليه حتى استطاع الشماخ دس السم له فتوفى فى مستهل ربيع الآخر من عام ١٧٧هـ، وهكذا نجح الرشيد فى القضاء على أحد العلويين الذى كان يشكل خطراً محققاً على ممتلكات الدولة فى المغرب(٢).

أما يحيى بن عبد الله فقد سار إلى بلاد الديلم ودعا لنفسه بها ، فاشتدت شوكته وكثرت جموعه وأتاه الناس من الأمصار فاغتم الرشيد بذلك ، وحاول أن يستخدم معه سلاح التهديد تارة وسلاح الترغيب تارة أخرى ، وقد أشار يحيى بن خالد البرمكى على الرشيد بأن يرسل إليه ابنه الفضل بن يحيى لقتاله ، فوجهه الرشيد فى ٥٠ ألف مقاتل ، فكاتب الفضل

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٢٠٩ .

(٢) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص١٠٣ ؛ عبادة كحيلة : محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص٨٦ .

يحيى بن عبد الله وتلطف به وحذره ، فأجاب يحيى إلى الصلح ولكنه اشترط أن يكتب له الرشيد أمانا بخطه ، يشهد عليه فيه القضاة والفقهاء وشيوخ بنى هاشم ، فأجابه الرشيد إلى ذلك وسيرَّ إليه الأمان مع الهدايا والتحف ، وقدم يحيى مع الفضل إلى بغداد فى أوائل عام ١٧٦هـ[١]، وأحسن الرشيد إستقباله ورحب به ومنحه مائتى ألف دينار ، ثم ما لبث الرشيد أن انقلب عليه وسجنه بعد أن استفتى الفقهاء فى نقض الأمان ، بحجة أنه أعطاه لكى يستدرجه[٢].

وقد اختلفت روايات المؤرخين فى الطريقة التى مات بها يحيى بن عبد الله ، فمنهم من يقول إنه سُقِىَ سماً [٣]، ومنهم من قال إن يحيى مُنع من الطعام أياماً فمات جوعاً عام ١٨٠هـ[٤].

هكذا نجح الرشيد فى أن يقضى على زعيمين كبيرين من زعماء الأسرة العلوية وتثبيت أركان حكمه .

الرشيد ونكبة البرامكة :

ارتبط تاريخ الدولة العباسية بالكثير من الأحداث المهمة فى علاقتهم بالفرس ، وتُعد نكبة البرامكة من أكثر الأحداث ارتباطاً بهم وبعصر هارون الرشيد ، فهو موضوع كتب فيه الكثير من المؤرخين والباحثين فى محاولة لفهم وتفسير الأسباب والعلل التى دعت الرشيد للقيام بهذه الواقعة .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٤١ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٢٧ .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص١٩٨ .
(٤) الأصفهانى : مقاتل الطالبين ، بيروت ١٩٨٧ ، ص٣٠٨ .

ينسب البرامكة إلى جدهم برمك ، الذى كان كاهناً لبيت النار بمدينة بلخ ، والبرامكة بهذا ينتمون إلى أصل فارسى عريق ، إذ كان جدهم يقوم بأجل عمل فى دولة الفرس قبل الإسلام(١) .

وقد ظهر من أبناء برمك خالد ، الذى كان يجمع الخراج والغنائم فى جيش قحطبة بن شبيب الطائى فى زحفه على العراق ، وقد أظهر خالد كفاية وأمانة للقائد العباسى فزاده تقديراً ، وحضر إلى العراق فشهد مبايعة السفاح ثم تولى ديوان الخراج والجند فى العراق بعد مقتل أبى سلمة الخلال، وقد قرب المنصور خالداً إليه وكان ساعده فى تثبيت دعائم حكمه والقضاء على الفتن .

وحينما اعتلى الرشيد عرش الخلافة ولى يحيى بن خالد وزارة التفويض ، وولى ابنه الفضل المشرق كله عام ١٧٨هـ(٢)، وهو منصب لم يكن يتولاه إلا أبناء الخلفاء والأمراء ، كما ولى جعفر بن يحيى المغرب كله عام ١٨٦هـ .

لقد كان الرشيد شديد الثقة فى يحيى مقدراً له مساندته ضد أخيه ، ويتضح ذلك من قول الرشيد ليحيى : « يا أبت أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى إليك ، فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، وافرض لمن رأيت ، وأسقط من رأيت ، فإنى غير ناظر معك فى شىء »(٣).

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٢٨٠ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٩٦ .
(٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٢٦٧ ، الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص١٧٧ .

والحقيقة أن الرشيد منح يحيى من النفوذ والسلطان ما جعله يتصرف في كل شئون الدولة حتى شئون الرشيد الخاصة ، كما كان يتصرف في أموال الدولة وكأنها أمواله الخاصة[1]. فعاش البرامكة عيشة البذخ والسلطان، وقصد أبوابهم الشعراء والكتاب دون الخليفة ، وفجأة حلت نقمة الرشيد على البرامكة في آخر ليلة من المحرم عام ١٨٧هـ، في العام السابع عشر من خلافة الرشيد ، بعد أن عاد الرشيد من حجه ووصل الأنبار ، دخل فراشه مبكراً على غير عادة ، فلما انصرف جعفر بن يحيى من عنده أرسل وراءه مسروراً كبير خدمه وأمره بضرب عنقه[2]، وقبل أن تنقضي تلك الليلة أمر الرشيد ـ أيضاً ـ بالقبض على يحيى وابنه الفضل ، وحبسهم وصادر أموالهم وقبض على أنصارهم ومواليهم ، وأعطى الأوامر والتحذيرات بعدم إيواء أحد منهم وأعلن في البلاد أن لا أمان لمن آواهم[3].

هكذا كان الإنقلاب المفاجئ من الرشيد على البرامكة ، بعد أن تألقوا مدة سبعة عشر عاماً في إدارة دولة الخلافة العباسية ، فقد وصف ابن طباطبا هذه الأسرة بقوله : « أن هذه الدولة كانت غرة في جبهة الدهر ، وتاجاً على مفرق العصر ، ضربت بمكارمها الأمثال ، وشدت إليها الرحال، ونيطت بها الآمال ، وبذلت لها الدنيا أفلاذ أكبادها ، ومنحتها أوفر إسعادها ، فكان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة ، والبحور زاخرة ، والسيول دافعة ... والدنيا في أيامهم عامرة ، ولهم يقول أبو النواس :

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم

بني برمك من رائحين وغاد[4].

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٩٦ .
(٢) ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، ص٢١٠ .
(٣) المسعودي : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٧٩ .
(٤) الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٩٧ .

اراء المؤخين فى نكبة البرامكة :

اختلف المؤرخون فى تحديد أسباب نكبة البرامكة ، فيذكر ابن خلدون أن نكبة البرامكة كانت ناشئة عن استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى أن الرشيد كان يطلب القليل من المال فلا يصل إليه ، فغلبوه على أمره وشاركوه فى سلطانه[1]، وقد غضب الرشيد على يحيى بن خالد وأبنائه لإسرافهم فى أموال الدولة ، خاصة عندما علم أن جعفر بن يحيى أنفق فى بناء داره عشرين ألف ألف درهم[2].

ويروى الطبرى قصة العباسة أخت الرشيد ويعدها سببًا من أسباب نكبة البرامكة ، فقد كانت العباسة تتمتع بجمال وثقافة واسعة جعلت الرشيد يحب مجالستها ولا يصبر عنها ، كما كان يحب مجالسة صديقه جعفر بن يحيى ، ولكى يجمع بينهما فى مجلسه زوجهما زواجاً صورياً ، ولكن حدث أن التقت العباسة بجعفر فحملت منه وولدت غلاماً ، علم الرشيد بأمره عن طريق إحدى الجوارى ، فغضب غضباً شديداً وقرر الإنتقام من البرامكة[3].

ويعلق حسين مؤنس على هذه القصة بقوله : « فأنت تقرأ هنا خبراً مهيناً حقًا للمسلين ، وأنت إذا تأملته وجدته لا يستقيم ، فما الذى يجعل الرشيد يتمسك بأن يحضر جعفر مجلسه مع أخته ، وإذا كان لا يريد أن تكون هناك علاقة بين الاثنين ، فلماذا عقد بينهما الزواج أصلاً ... الحقيقة هى أن الخبر غير أصيل بل غير ممكن »[4]، ويضيف (أمثال هذه

---

(١) المقدمة ، ص١١ ، ١٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٢٥٩ .

(٣) نفس المصدر ، جـ٨ ، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(٤) تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥ ، ص١٢٥ .

التشويهات كثيرة فى كتب التاريخ الإسلامى ومصدرها دائمًا هم الفرس»[1].

كذلك كان من التهم التى وَجهتْ للبرامكة ميلهم للعلويين ومحاولة نقل الخلافة إليهم[2]، وقد نفى بعض المؤرخين المحدثين هذا الإتهام عنهم[3].

ويذكر ابن طباطبا : «أن أعداء البرامكة مثل الفضل بن الربيع مازالوا يسعون بهم إلى الرشيد ، ويذكرون له أنهم ملاحدة وثنيون يحنون إلى دين أجدادهم ، وأنهم يعملون على نقل الخلافة إليهم »[4].

ويبدو أن هذا التفسير هو الأكثر منطقية والأكثر قبولاً إلى حد ما ، لأن الفضل بن الربيع وغيره من الوشاة والحاقدين على أسرة البرامكة نجحوا بالفعل فى جعل الرشيد يَذمْ البرامكة بعد أن كان يمدحهم[5]، وذلك عن طريق دسهم للمغنيين شعراً كان يثير عامل المنافسة والحقد فى نفس الرشيد ضد البرامكة ، يضاف إلى ذلك إيقان الرشيد باختلال التوازن فى العلاقة بينه وبينهم ، وإدراكه لمخططهم فى عزله والوصول إلى السلطة ، فكان على الرشيد أن يعيد هذا التوازن خاصة وأن العباسيين دأبوا منذ نشأة دولتهم على قتل كل الذين عملوا معهم بإخلاص وتفانوا فى خدمتهم عندما يشعرون منهم خطراً ، فقد سبق لأبى العباس أن اغتال أبا سلمة وقام المنصور بقتل أبى مسلم الخراسانى .

---

(١) حسين مؤنس : تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، ص١٣٧ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٢٩٥ .
(٣) شاكر مصطفى : دولة بنى العباس ، الكويت ١٩٧٣ ، جـ١ ، ص٤٧٢ .
(٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٠٩ .
(٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٥١ .

ويفسر البعض نكبة البرامكة من هذا المنطلق أى فى ضوء طبيعة الحكم ونفسية الحكام ، ذلك أن الحاكم أى حاكم يحب أن يستعين بالمخلصين من رجاله ، ولكنه يكره أن يرى أحدهم وقد ازداد نفوذه إلى درجة تنتقص من مكانة الحاكم نفسه[1]، إذاً فقد كانت نكبة البرامكة ، فصلاً جديداً من فصول العلاقة بين العباسيين والعناصر الفارسية التى حكمتها تطلعاتها السياسية .

على كل حال ، فقد كانت نكبة البرامكة وصمة عار فى جبين الرشيد والعباسيين أيا كان سببها ، ولقد ظل الرشيد بعد النكبة حزيناً نادماً على ما فعل متحسراً على ما فرط فيه نحوهم ، وأخذت صحته تعتل وتَملَّكه الأرق فى جوف الليل ، وصار يحتاج إلى الوعظ والزهد فى الدنيا فيخشع قلبه وتفيض عيونه بالدمع ، وقد أدت نكبة البرامكة إلى فتور العلاقة بين الرشيد ورعيته ، فأصبح الناس يخافونه ويرهبونه بعد أن كانوا يُجلونه ويحبونه ، وصاروا يشبهونه بالدهر فى غدره وتقلبه[2] .

وقد أدى القضاء على البرامكة إلى ثورة غضب فى بلاد فارس ، وبخاصة فى خراسان ، فقد اختلفت الأمور فيها بعد إنقضاء أمرهم واضطر الرشيد أن يلى شئون الدولة بنفسه وأن ينتقل بين أطراف الدولة ليحارب الثائرين عليه حتى قُبيل وفاته .

---

(١) إبراهيم أيوب : التاريخ العباسى السياسى والحضارى ، الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٩ ، ص٦٥ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٩٠ .

الرشيد وولاية العهد :

يقول أحمد شلبى : « إذا جاز لنا أن نلتمس العذر للخلفاء السابقين فى سياستهم الخاصة بمشكلة ولاية العهد ، فإنه لا يجوز لنا أن نلتمس العذر للرشيد ، ذلك أن المشكلة كانت محصورة فى أولاده دون أى دخيل يزعجه»[1].

وكان الرشيد قد عقد ولاية عهده إلى أبنائه الثلاثة : الأمين ، فالمأمون ، فالمؤتمن ، وكتب بذلك صحيفة أشهد فيها القضاة والفقهاء وأكابر بنى هاشم ، وعلقت فى الكعبة ، وعلى الرغم من ميل الرشيد إلى ولده عبد الله المأمون لكفاءته وحسن سياسته إلا أنه قدم عليه أخاه الأمين، البالغ من العمر عشر سنوات ، على المأمون البالغ من العمر أربعة عشر عاماً ، وذلك بتأثير من أمه العربية العباسية زبيدة والفضل بن يحيى[2]، وحرص الرشيد على أن يستوثق للمأمون من أخيه الأمين ، فكتب كتاباً بولاية العهد نص فيه على أنه لا يحق للأمين خلع المأمون من ولاية العهد أو عن خراسان ، فإذا أقدم على ذلك تصير الخلافة للمأمون دون الأمين[3]، ويعلق حسين مؤنس على ذلك قائلاً : « هذا فى الحقيقة ليس بنص ولاية عهد أو وثيقة تنظيم داخلى للدولة ، وإنما هو فى الحقيقة تقسيماً للدولة قسمين ، بين رجلين ... ويمكن أن يقال إنه كان هو نفسه أكبر أسباب الخلاف بين ابنيه »[4].

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٥٦ .
(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٩٢ .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٢٨٨٠ .
(٤) تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، ص١٤٠ .

لقد كان هذا العهد سبباً فى الفتنة بين الأمين وأخيه المأمون وسبباً فى قتل أحدهما للآخر ، فقد قتل المأمون أخاه الأمين عندما نكث الآخير بالعهد والميثاق الذى أخذه عليه أبوه الرشيد ، وحاول هو الآخر أن يخلع المأمون ويولى ابنه موسى العهد[١].

ويذكر السيوطى عن الرشيد : « فلما قسم الدنيا بين هؤلاء الثلاثة قال بعض العقلاء : لقد ألقى بأسهم بينهم ، وغائلة ذلك تضر بالرعية »[٢].

على هذا النحو كانت ولاية العهد فى عهد الرشيد بهذه الكيفية سبباً فى الإضطراب وسفك الدماء بين الأخوين وجموع المسلمين .

وفاة الرشيد :

مات الرشيد بخراسان ودفن بطوس[٣] فى الثالث من جمادى الآخر عام ١٩٣هـ[٤]، بعد أن اشتد عليه المرض أثناء قضائه على ثورة رافع بن الليث بن نصر بن سيار ، وكان رافع قد خرج عليه وخلع الطاعة وتغلب على سمرقند وملكها ، وقويت شوكته بها ، فخرج الرشيد بنفسه إليه ، وكانت مدة حكم الرشيد ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر ، ومات وهو ابن أربع وأربعين سنة وأربعة أشهر[٥].

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٥٧ .
(٢) تاريخ الخلفاء ، ص١٩٢ .
(٣) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٤٩ .
(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٩٦ .
(٥) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص١١٢ .

محمد الأمين (١٩٣ـ١٩٨هـ) :

هو أبو عبد الله محمد الأمين ولد عام ١٧٠هـ بعد مولد أخيه المأمون بستة أشهر ، وأمه هى زبيدة بنت جعفر المنصور ، يذكر ابن طباطبا : «وليس فى خلفاء بنى العباس من أمه وأبوه هاشميان سواه»(١).

بويع للأمين بعد وفاة الرشيد بطوس ، وكان فى الثالثة والعشرين من عمره ، وقد وصفه المسعودى بقوله : « كان الأمين عاجز الرأى ، ضعيف التدبير ، غير مفكر فى أمره »(٢) كما وصفه السيوطى بقوله : « كان سيئ التدبير ، كثير التبذير ، أرعن لا يصلح للخلافة»(٣) . وقال عنه ابن الأثير : « لم نجد فى سيرته ما يستحسن ذكره »(٤) .

ويبدو من كلام المؤرخين السابق أن محمد الأمين كان أضعف من تولى الخلافة من العباسيين الأوائل ، وهذا ما أكده ـ أيضاً ـ الطبرى حين قال : « لما ملك الأمين ابتاع الخصيان وغالى بهم وصيرهم لخلوته ورفض النساء والجوارى ، ولما ملك وجه إلى البلدان فى طلب الملهين وضمهم إليه، وأجرى لهم الأرزاق ... واتخذ الوحوش والسباع والطير وغير ذلك ... وأمر بعمل حراقات(*) فى دجلة على خلقة الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ، وأنفق فى عملها مالاً عظيماً »(٥) .

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٢ .
(٢) مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٣١٢ .
(٣) تاريخ الخلفاء ، ص١٩٧ .
(٤) الكامل ، جـ٥ ، ص٤٠٦ .
(*) حراقات : جمع حراقة ، وهى نوع من السفن الحربية التى ترمى بالنيران ، كذلك توصف بأنها من السفن الخفيفة للنزهة والتنقل ، درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤ ، ص٣٢ .
(٥) تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص٢١٥ .

هكذا كان الأمين قد جعل حياته لإضاعة الوقت والمال ، ويبدو أن أباه الرشيد كان يدرك ما فيه من نقائص ولكنه لم يستطع أن يغير عهده الذى كتبه بولاية العهد له ، مجاملة وإرضاء لأمه زبيدة وأخواله من بنى هاشم ، وكان الرشيد نفسه يقول عن الأمين : « إنى لأعلم أنه منقاد لهواه مبذر لما حوته يده ، يشاركه فى رأيه الإماء والنساء ولولا أم جعفر وميل بنى هاشم لقدمت عبد الله عليه »[1]، ويعلق أحمد شلبى على من يشكك فى كل ما كتب عن الأمين وأنه مصنوع فى عهد المأمون وبمساعدة الفرس ، قائلاً : « لا أقبل هذا الرأى لأن فيه تشكيكاً فى التراث الضخم الذى بين أيدينا ، ثم إن ما كتب عن الأمين لم يكتب كله فى عهد المأمون ، وإذاً فلا نفوذ للمأمون فى توجيه هذا التاريخ ، وقد كتب عن الأمين من ثقات المؤرخين والكتاب ، وكلهم أجمع على خلاعته وإسرافه فى التهتك والمجون ، مع إنهم استقوا معلوماتهم من مصادر مختلفة ورواة متعددين ، ولا يمكن أن نعتقد أن هذه المصادر قد أجمعت على باطل »[2].

النزاع بين الأمين والمأمون :

كان النزاع الذى حدث بين الأمين والمأمون من أهم أحداث العصر العباسى الأول ، ويرجع تاريخ هذا النزاع إلى حياة الرشيد ، وذلك أنه لما ثار رافع بن الليث بخراسان وعجزت جيوش الخلافة هناك عن إخماد ثورته ، اضطر الرشيد أن يغادر الرقة ومعه جيش كبير ليواجه بنفسه تلك الثورة ، لكن الرشيد مرض فى الطريق ، فأرسل ابنه المأمون مع بعض

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤ .
(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٧٢ .

الجند إلى خراسان وبقى هو ومعه وزيره الفضل بن الربيع ، وأكثر أمواله ومتاعه وبقية جيشه إلى أن يزول عنه المرض ، فيلحق بالمأمون ، ولكن المرض إزداد عليه فأحضر وزيره وقواده وكبار رجاله وأوصى أمامهم للمأمون بجميع ما فى عسكره من مال وسلاح(١)، كما أوصاهم بأن يسير الجيش من طوس إلى خراسات لمساعدة المأمون ، ويبدو أن الرشيد كان يحاول أن يقوى جانب المأمون حتى لا يستخف به الأمين ، ولكن الفضل ابن الربيع خان وصية الرشيد بأن يتبع المأمون إلى خراسان وهو ومن معه، وعاد الفضل بعد موت الرشيد إلى بغداد بإيعاز من الأمين ، ومعه الأموال التى أوصى الرشيد بأن تؤول إلى المأمون(٢)، وبايع الأمين فعظمت مكانة الفضل عند الأمين فاستوزره الأمين ، ثم انشغل باللهو واللعب .

وخوفًا من انتقام المأمون حاول الفضل بن الربيع أن يشعل الفتنة بين الأخوين ، فزين للأمين خلع أخيه من ولاية العهد وجعلها لابنه موسى ، ويعلق أحمد شلبى على موقف الفضل قائلاً : « والفضل هنا أنانى بعيد العمق فى الأنانية ، لقد أراد أن يضمن لنفسه النجاة ولو أدى ذلك إلى الدمار والحرب والخراب »(٣).

استجاب الأمين لنصيحة وزيره الفضل بن الربيع وقام بخلع أخيه والبيعة لابنه موسى الذى سماه (الناطق بالحق) ، وكان ممن أجاب الأمين إلى خلع أخيه من قواد الدولة رجل من الموالى الفرس يدعى على بن

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٣٦٦ ؛ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٧٣ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٣ .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، ص٣٠٩ .

عيسى بن ماهان ، والذى كان الأمين يلقبه بشيخ الدعوة ونائب الدولة، وبهذا يتحمل هذا الرجل المسئولية فى إقناع الأمين بعزل أخيه والإستجابة له ومساندته ، وقد ذكر السيوطى أن خازم بن خزيمة ـ أحد جلساء الأمين وحاشيته ـ نصحه قائلاً : « لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك »[1]، فلم يستجب الأمين واتخذ قراره الخاطئ الذى فتح به باب العاصفة عليه وعلى ملكه .

وقد قال بعض الشعراء مصوراً هذا الوضع :

أضاع الخلافة غش الوزير

وفسق الأمير وجهل المشير[2]

أمر الأمين بالدعاء لولده موسى على المنابر وقطع ذكر المأمون والمؤتمن فى ربيع الأول من عام ١٩٥هـ، وأرسل إلى الكعبة بعض الحجبة فأتوه بكتابى العهد اللذين وضعهما الرشيد فى الكعبة ببيعة الأمين والمأمون فمزقهما[3] .

واشتدت العداوة بين الأخوين ، وقطع المأمون الخطبة عن أخيه بخراسان ، بعد أن شجعه ـ أيضاً ـ وزيره الفضل بن سهل وضمن له تأييد الفرس ، وقد حاول الأمين أن يستدرج أخاه بالقدوم من فارس إلى بغداد ، لكن المأمون لم ينخدع وكتب له يعتذر عن الحضور ، وترددت المراسلات والمكاتبات بينهما دون فائدة .

---

(١) تاريخ الخلفاء ، ص١٩٨ .
(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء . ص١٩٨ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٧٧ ؛ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٩٢ .

هكذا ازداد النزاع بين الأخوين ولم يبق بينهما حكمًا إلا السيف بعد أن عمل الفضل بن سهل (الفارسى) والفضل بن الربيع (العربى) على توسيع هوة الخلاف بين الأخوين ، لقد أصبحت الفتنة نزاعًا بين الفرس أنصار المأمون والعرب أنصار الأمين[1].

أرسل الأمين جيشاً كبيراً بقيادة على بن عيسى بن هامان قدر بحوالى ٥٠ ألف مقاتل فالتقى بقوات المأمون بقيادة طاهر بن الحسين عند الرى ، وعلى الرغم من قلة جيش طاهر المكون من ٤ آلاف فقط ، إلا أنه استطاع إحراز النصر على قوات ابن ماهان الذى قتل فى المعركة وأرسلت رأسه إلى المأمون[2]، وواصلت قوات طاهر بن الحسين انتصاراتها المتلاحقة ، ولم تكد أنباء النصر تصل إلى المأمون فى مرو حتى بايع الناس له بالخلافة[3]. ووصلت أنباء الهزيمة إلى الأمين فى بغداد فغضب وجهز جيشاً آخر بقيادة عبد الرحمن بن جبلة الأنبارى وأرسله إلى خراسان ليقاوم زحف طاهر بن الحسين ، والتقى الجيشان فى همذان فانتصر جيش المأمون مرة أخرى[4]، وسيطر طاهر على المدينة وبدأ الزحف باتجاه بغداد، يرافقه القائد هرثمة بن أعين الذى تمكن من محاصرة بغداد من الجانب الشرقى ، أما طاهر بن الحسين فتولى حصار الجانب الغربى ، وقد دام حصار بغداد مدة ١٥ شهراً كثرت فيها الفوضى والخراب والهدم والإحراق[5].

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٧٥ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٤١١ .
(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٩٢ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٢٤٨ .
(٥) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٩٩ .

وقد تحرج موقف الأمين عندما خذله كثير من أعوانه وقواده ، وترتب على ذلك سقوط أسواق الكرخ فى يد طاهر ، فاضطر الأمين التحصن بمدينة المنصور(١)، وتولى الدفاع عنه العيارون (قطاع الطرق واللصوص) وأهل السجون ، ونصحه بعض أصحابه بالخروج إلى الشام وإعادة جمع قواته من هناك ، فاقتنع بنصحهم وعزم على ذلك ، ولكن طاهر بن الحسين علم بذلك فكتب إلى عدد من أصحاب الأمين يأمرهم بإقناع الأمين بالعدول عن عزمه وأثنوه عما أقدم عليه ، ونصحه بعض الناصحين بأن يستسلم لأخيه ويتنازل له عن الخلافة ، فقبل أن يسلم الخاتم والقضيب والبردة (هى من مخلفات الرسول وشعار الخلافة) لطاهر بن الحسين ويسلم نفسه إلى هرثمة بن أعين لكبر سنه ، ولما عرفه من قسوة طاهر ، غير أن طاهر خشى ألا يكون الأمين جاداً فى تنفيذ ما اعتزمه ، لا سيما وقد بلغه من قبل أنه كان ينوى الخروج من بغداد إلى الجزيرة وبلاد الشام ، فوضع حول القصر كمينا بالسلاح ، فلما أرسل هرثمة إلى الأمين حراقة على باب خراسان ، ونزل الأمين بالحراقة ، أرسل طاهر جماعة من السباحين خرقوها بالسهام ، وقيل قلبوها بمن فيها فسبح الأمين إلى الشاطئ(٢)، فقبض عليه بعض عساكر طاهر وقاموا بذبحه فى المحرم عام ١٩٨هـ، وطافوا برأسه فأرسلها طاهر إلى المأمون(٣)، وقد حزن المأمون لقتل الأمين وكان يرغب فى أن يُرسل إليه حياً ليرى فيه رأيه ، لكن طاهر بن الحسين كان للأمين بالمرصاد وأراد أن يحظى بشرف النصر(٤)، لذلك

---

(١) هى بغداد التى بناها المنصور وكانت فى عهد الأمين تمثل جزء من العاصمة التى اتسعت اتساعاً كبيراً .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٤١٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٢٨٦ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص١٩٩ .

(٤) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٣١٨ .

حقد المأمون على طاهر وظل فى نفسه شيء منه ، فأهمله إلى أن مات طريداً بعيداً[١] .

هكذا قُتلَ الأمين بسبب الفتنة التى أشعلها الفضل بن الربيع بين الأخوين ، والعجيب أنه ظل مختفياً حتى قتل الأمين ، وظل مختفياً إلى أن قدم المأمون بغداد واستقر له الأمر ، فتوسل إليه الفضل أن يغفر له جريمته الكبرى ، فغفر له ، واكتفى بأن أهمله ولم يستعمله ، فكانت مرتبته منحطة فى دار المأمون ، وظل كذلك إلى أن مات عام ٢٠٨هـ[٢] .

كانت مدة خلافة الأمين أربع سنين وثمانية أشهر ، وكان عند مقتله فى الثامنة والعشرين من عمره[٣] .

ويذكر بعض المؤرخين أن الصراع على السلطة بين الأمين والمأمون تحول إلى صراع بين العرب والفرس ، لأن الأمين كانت أمه عربية (زبيدة) بينما كانت أم المأمون (مراجل) فارسية ، فالتف العرب حول الأمين والتف الفرس حول المأمون ، والحقيقة أن النزاع كان نزاعاً من أجل السلطة والنفوذ ، وساعدهما على ذلك كبار رجال الدولة من أجل الإبقاء على نفوذهم وسلطانهم أيضاً[٤] .

المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) :

هو أبو العباس وقيل أبو جعفر[٥] عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ،

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٧٩ .
(٢) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٣٠٢ .
(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٥٧ .
(٤) لمزيد من التفاصيل حول تلك القضية انظر حسين مؤنس : تنقية أصول التاريخ الإسلامى، ص١٥٧ حتى ١٦٨ .
(٥) تكنى بأبى جعفر وكان يحب هذه الكنية لأنها كنية المنصور ، وكان لها فى نفسه جلالة وتفاؤل بطول العمر . السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤ .

ولد عام ١٧٠هـ فى الليلة التى مات فيها عمه الخليفة الهادى ، وأمه أم ولد (فارسية) تسمى مراجل ، وقد ولاه أبوه العهد وهو فى الثالثة عشرة من عمره بعد أخيه الأمين ، وأسند إليه ولاية خراسان وما يتصل بها إلى همذان[١] .

بويع المأمون بالخلافة وهو فى الرى ، وظل بخراسان حتى قدم بغداد فبويع له البيعة العامة عام ١٩٨هـ[٢] .

كان المأمون من أفاضل خلفاء العباسيين وعلمائهم وحكمائهم وحلمائهم ، يقول عنه السيوطى : « كان من أفضل رجال بنى العباس حزماً، وعزماً ، وحلماً ، وعلماً ، ورأياً ، ودهاء ، وهيبة ، وشجاعة ... وله محاسن طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس فى القول بخلق القرآن »[٣] ويصفه ابن طباطبا : « واعلم أن المأمون كان من عظماء الخلفاء ومن عقلاء الرجال وله اختراعات كثيرة فى مملكته ، منها أنه هو أول من فحص منهم عن علوم الحكمة (الفلسفة) وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية ، وهو الذى استخرج كتاب إقليدس من بلاد الروم وأمر بترجمته)[٤] .

كان الخليفة المأمون حافظاً للقرآن الكريم ، ويهتم بعلوم الفقه والعربية، ويرجع الفضل فى ذلك إلى هارون الرشيد الذى اهتم بتربيته تربية علمية ، وكان من أبرز صفات المأمون حبه للعفو وتسامحه مع كل من أساء إليه ،

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٥٨ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٦ .
(٣) تاريخ الخلفاء ، ص٢٠٤ .
(٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٦ .

ومثال ذلك عفوه عن الفضل بن الربيع الذى عمل على عزل المأمون من ولاية العهد وحرض الأمين عليه ، وعفا عن عيسى بن أبى خالد الذى كان يعمل أيضاً على عزله، وعفا عن عمه إبراهيم بن المهدى الذى نصب نفسه خليفة فى بغداد ثم انتهى أمره بالفشل ، فقال المأمون لحرسه : « أطلقوا عن عمى حديده ، وردوه إلى مكرماً »[1]، ويبدو أن المأمون كان يجد فى العفو والسماحة سعادة ، فكان يقول : « لو عرف الناس حبى للعفو لتقربوا إلى بالذنوب »[2] وقال أيضاً : « لا معنى لعقوبة بعد قدرة »[3].

لقد ضرب المأمون فى العطف والتسامح المثل الأعلى بين جميع خلفاء بنى العباس ، كما كان المأمون لا يشرب النبيذ ، قليل اللهو لا يسمع الغناء إلا قليلا[4].

المشكلات التى صادفها المأمون :

انتصر المأمون على أخيه وأصبح خليفة ، ولكن التركة التى تسلمها كانت مثقلة ، مليئة بالمتاعب والأحداث ، فانشغاله فى حروبه ضد أخيه هيأ الفرصة للساخطين وأعداء الدولة ، وانتصاره بسيوف الفرس أثار العرب، وانتقاله من خراسان إلى بغداد أثار الفرس ، وهكذا هبت حركات متعددة فى وجه المأمون فرضت عليه أن يبذل جهداً كبيراً طيلة خلافته .

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٣٠٣ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٩ .
(٣) فريد رفاعى : عصر المأمون ، القاهرة ١٩٢٧ ، جـ١ ، ص٣٥٠ .
(٤) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص٢٥٦ .



١ـ ثورة بغداد :

فى عام ٢٠١هـ كان المأمون مقيمًا بمرو ، فمال إلى العلويين وبايع بولاية العهد للإمام العلوى (على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق)[١] ولبس المأمون الثياب الخضراء شعارهم وطرح السواد شعار العباسيين[٢].

كانت هذه الخطوة ـ الغريبة ـ من المأمون قد أحدثت إنقسامًا داخل بغداد ، فقال فريق منهم نبايع ونلبس الثياب الخضر ، وقال فريق آخر نبايع ولا نلبس الثياب الخضر ولا نخرج هذا الأمر من ولد العباس ، وإنما هذا من عمل الفضل بن سهل ، يذكر أحمد شلبى : « عمل الفضل على تعيين ولى العهد من العلويين ، فهيأ بذلك للسلطان أن ينقل من بنى العباس إلى العلويين ، وكل هذا أثار ثورة بغداد فتمردت على الحسن بن سهل ، وحاول هذا أن يتغلب على هذه الصعاب فلم يستطع ، وزاد فى دقة موقف المأمون أن الحسن بن سهل مرض مرضًا أبعده عن مسرح الأحداث ، فانتهز أهل بغداد هذه الفرصة ، فاجتمعوا وقرروا عزل المأمون وتولية عمه إبراهيم بن المهدى »[٣]، وأدرك المأمون أن الخلافة سوف تنزع منه وتحول إلى عمه ، فانتقل إلى بغداد وتخلص من الفضل بن سهل فى الطريق ، وعند طوس توفى على الرضا فى أوائل عام ٢٠٣هـ ، وقيل أن للمأمون يداً فى موته ، ثم تابع المأمون سيره إلى بغداد فوصلها فى صفر عام ٢٠٤هـ ، فهرب منها

---

(١) هو الإمام الثامن عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ، اشتهر والده موسى الكاظم بزهده وورعه ، ولقب بالكاظم لأنه كان يحسن إلى من أساء إليه . إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص١٣٢ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٧ .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٧٧ .

إبراهيم المهدى ، ودخل المأمون بغداد وكان لا يزال يرتدى الملابس الخضراء ، فما لبث أن عاد إلى لبس السواد بعد أن رأى الإحتجاجات من بنى هاشم وأنصارهم ، وأدرك عمق المشاعر التى يكنها بنو العباس تجاه العلويين[1] .

وظل إبراهيم المهدى مختفيًا حتى ربيع الآخر من عام ٢١٠هـ فقبض عليه حرس المأمون ، واقتادوه إليه فعفا عنه ولم يؤاخذه ، بل أحسن إليه وصار من نُدَمَائِه[2] .

ب ـ ثورة نصر بن شبث :

قامت القبائل العربية فى الجزيرة وشمالى الشام بثورة ضد النفوذ الفارسى فى الدولة العباسية ، ومن الذين قاموا بالثورة هناك نصر بن شبث، وهو عربى من بنى عقيل كان يسكن كيسوم شمالى حلب[3] ، كان نصر متعصبًا للأمين لأنه يمثل العنصر العربى وناقم على المأمون لميله إلى الخراسانيين ، ولما رأى كفة الفرس ترجح بعد مقتل الأمين ، قاد ثورة يدافع بها عن العنصر العربى وذلك عام ١٩٨هـ[4] .

وقد زاد نفوذ نصر وكَثُرَتْ أتباعه وتوالت انتصاراته ، فتغلب على شمالى الشام وملك سميساط من مدن الجزيرة[5] ، وقد رأى فيه العلويون رمزاً من رموز المعارضة للحكم العباسى فحاولوا استغلاله ، وإقناعه بالبيعة

---

(١) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص١٣٤ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٩ .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٥٩٨ .
(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٦٠ .
(٥) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٥٦ .

لأحد العلويين إلا أنه رفض قائلاً : « إنما هواى فى بنى العباس ولكنى أحاربهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم »[1].

ووصلت أخبار ثورة نصر إلى المأمون فطلب من طاهر بن الحسين أن يخرج إليه ، ودارت عدة معارك بين الاثنين دون نتيجة حاسمة ، ويبدو أن طاهراً لم يكن جاداً فى حربه ضد نصر[2]، فلما قدم المأمون بغداد عين لحربه عبد الله بن طاهر ، أما طاهر بن الحسين فقد جعله على خراسان ، ونشط عبد الله فى حرب نصر حتى ضيق عليه ، فاضطر إلى طلب الأمان فأعطاه المأمون كتاب الأمان فى شهر صفر عام ٢١٠هـ[3].

وانتهت بذلك حركة نصر بن شبث ، التى حاول العلويون استغلالها ضد العباسيين لتقف إلى جانبهم .

حركة الزط :

من الحركات التى قامت فى عهد المأمون حركة الزط ، وكلمة الزط هى تعريب للفظ الفارسى « جت »[4]، والزط قوم من أخلاط الناس يرجع أصلهم إلى الهند ويعرفون بالنّور أو الغجر[5].

وقد قوى أمر الزط فى فترة النزاع بين الأمين والمأمون ، فغلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها فسادا ، وازدادت سطوتهم فى عهد المأمون

---

(١) الطبـــرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٥٧٩ ؛ ابن الأثيـــر : الكامل ، جـ٦ ، ص٣٠٨.

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٧٦ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٦٠ .

(٤) عبادة كحيلة : الزط والأصول الأولى لتاريخ الغجر ، القاهرة ١٩٩٤ ، ص٣٣ .

(٥) عبادة كحيلة : المرجع السابق ، ص٢٧ .

لأنهم جنحوا إلى مهاجمة السفن التى تعبر البطيحة فى طريقها من البصرة إلى بغداد ، فحاول المأمون بعد عودته إلى بغداد أن يتغلب عليهم فعهد إلى عيسى بن يزيد الجلودى حربهم ، فأرسل عدة حملات ضدهم فى عام ٢٠٥هـ و ٢٠٦هـ، ولكن هذه الحملات لم تتمكن من القضاء على ثورتهم تمامًا ، لأنهم كانوا يتفرقون فى الصحارى والأماكن الخالية كلما شعروا بالخطر ، فإذا خف ضغط الجند عادوا إلى فسادهم وتجمعاتهم[1] .

وفى السنوات التالية لا نشاهد للمأمون محاولات أخرى لقمع هؤلاء الزط ، وربما كان السبب هو شغله بفتنة بابك الخرمى ، التى امتدت سنوات طويلة[2]، وقد ظل الزط على فسادهم حتى خلافة المعتصم الذى تغلب عليهم عام ٢١٩هـ، بواسطة قائده عجيف بن عنبسة ، الذى سار إليهم فى عشرة آلاف ، حتى وصل إلى واسط شمالى البطيحة فسد أنهارها ، ثم شرع فى حربهم وأنهى خطرهم[3] .

حركة بابك الخُرَّمى :

من الحركات التى حدثت فى عهد المأمون واستمرت حتى عهد المعتصم حركة بابك الخُرَّمى ، جاء اسم الخرمية فى رأى بعض الباحثين من (خرم) اسم إحدى بلاد ميديا (فارس القديمة)، أو من كلمة خرم الفارسية بمعنى سعيد أو منتشى[4]، وقد وجدت هذه الطائفة قبل بابك بزمن طويل ، فهى إمتداد لأفكار مزدك صاحب الديانة المزدكية الفارسية

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٧٨ .
(٢) عبادة كحيلة : الزط والأصول الأولى لتاريخ الغجر ، ص٦٣ .
(٣) عبادة كحيلة : المرجع السابق ، ص٦٥ .
(٤) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٧٦ .

القديمة، والتى انتشرت أيام الملك الفارسى قباذ الأول والد الملك كسرى أنو شروان[١]، ويقول المؤرخون أن المزدكية هى الخرمية الأولى ، وأن الخرمية الثانية هى الخرمية التى نادى بها بابك الخرمى عام ٢٠١هـ فى عهد خلافة المأمون فى المنطقة الجبلية الواقعة بين أرمينية وأذربيجان وشمال بلاد فارس ، واعتنق بابك مبادئ الخرمية على يد جاويدان أحد رؤساء الخرمية[٢]، وبعد وفاة جاويدان إدعى بابك أن روحه قد حلت فيه فخلف جاويدان فى زعامة الخرمية ، وقد إدعى بابك الألوهية وأنه من نسل أبى مسلم الخراسانى الذى انتقلت إليه الألوهية بالتناسخ من الأئمة العلويين[٣]، كما دعى إلى استباحة النساء على الرضا منهن وإسقاط بعض التكاليف الدينية التى فرضها الإسلام[٤].

وقد ساعد النزاع الذى حدث بين الأمين والمأمون على قيام بابك بإعلان حركته المعادية للدولة العباسية عام ٢٠١هـ، فنجح فى الإستيلاء على منطقة أذربيجان وفرض نفوذه فيها ، كما حدث تحالف بينه وبين ملك أرمينية المسيحى وامبراطور الدولة البيزنطية ، فأرسلوا إليه القوات لمساعدته على حرب قوات الخلافة ، لذلك استفحل أمر بابك وأوقع الهزيمة بالجيوش التى وجهها له كل من المأمون والمعتصم ، وقد توفى المأمون عام ٢١٨هـ، وقبل وفاته أوصى أخاه المعتصم بضرورة القضاء على هذه الحركة ، فاستعد المعتصم استعداداً كبيراً للقضاء على هذا الثائر ، وكان الأفشين آنذاك قائد جيوش المعتصم ، فاستطاع أن ينزل ببابك الهزيمة

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٩١ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص٩١ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٣٢٨ .
(٤) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٧٧ .

الأخيرة عام ٢٢١هـ، وأن يقبض على بابك وأخيه عبد الله وبعض آل بيته، ويدخل بهم مدينة سامراء وهم أسرى ، وقتل بابك وأخيه وصلبا ببغداد(١) .

لا شك أن حركة الخرمية قد عكرت صفو الدولة العباسية فى عهد خلافة المأمون ، وأيما كان الأمر فإن الدولة العباسية فى عصرها الأول ، برغم قضائها عسكرياً على هذه الحركات الفارسية الهدامة ، إلا أنها لم تنجح فى استئصال هذه التعاليم لاستقرار جذورها فى نفوس بعض الفرس المتطلعين إلى التحرر من السيادة العربية وتحقيق الإستقلال القديم واستعادة أمجاد آل ساسان(٢) .

المأمون وثورة المصريين :

اضطربت أحوال مصر بسبب النزاع بين الأمين والمأمون ، حيث نشبت الخلافات بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، فناصرت القيسية الأمين وناصرت الكلبية (اليمنيون) المأمون ، واستغل رجل يسمى السرى ابن الحكم هذا الخلاف وبادر بحركة استقلالية عام ٢٠٦هـ(٣)، فانتدب المأمون قائده عبد الله بن طاهر للقضاء على هذه الحركة ، وقد تمكن عبد الله من ذلك ، إلا أنه بعد أن ترك مصر عادت الثورة مرة أخرى ، وزاد على ذلك أنّ والى مصر فى ذلك الوقت عيسى بن منصور تعسف فى جباية الجزية على أقباط مصر ، فقام الأقباط والعرب عام ٢١٦هـ بثورة استمرت ثمانية أشهر(٤) .

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٢١٧ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٧٨ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٢١١ .
(٤) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٢٣ .

وقد أدرك المأمون خطورة الموقف فى مصر ، فاضطر إلى الخروج بنفسه إلى مصر لتهدئة الموقف وإخماد الثورة ، فأقام بها ٤٧ يوماً[١]، وقد وجه المأمون اللوم الشديد للوالى وعزله ، وبعد أن أقر المأمون الأمن والهدوء فى مصر عاد إلى بغداد[٢].

المأمون والعلويين :

نال العلويين فى عهد المأمون رعاية وعطف ، فقد حاول أن يحسن علاقته بهم وأن يعوضهم بعض ما أصابهم من ضرر فى العهود العباسية التى سبقته ، وقد أرسل أحد نوابه إلى المدينة يحث العلويين بها على الرحلة إلى مرو ، حيث كان المأمون يقيم ، ففعلوا ، فاستقبلهم المأمون بترحيب وإجلال ، وخص زعيمهم عليا الرضا بن موسى الكاظم بالإجلال والتكريم[٣].

وقد زاد المأمون على هذا بأن بايع على الرضا بولاية العهد وزوجه ابنته أم حبيب عام ٢٠٢هـ، كما زوج ابنته الثانية من محمد الجواد بن على الرضا ، ولم يكفه ذلك تكريماً للعلويين فضرب الدراهم باسم على الرضا وأمر بذكر اسمه على المنابر ولبس الخضرة وخلع السواد[٤].

يذكر البعض أن المأمون كان مخلصًا فى تودده للعلويين وتقربه إليهم، جاداً فى ولاية العهد من بعده لعلى الرضا ، وبذلك يعيد الحق للعلويين كما يدعون[٥]، ويذكر البعض الآخر أن هذا الإتجاه من المأمون

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٨٧ .

(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٧٩ .

(٣) محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٥٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٣٢٦ .

(٥) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٠٩ .

كان خطوة سياسية يقصد بها اكتساب ولاء الخراسانيين الشيعيين ، الذين كان المأمون يقيم بين أظهرهم فى فترة النزاع بينه وبين أخيه الأمين ، حتى يضمن بذلك فوزه فى هذا النزاع[1].

وقد واصل المأمون سياسته الودية نحو العلويين حتى بعد وفاة على الرضا وبعد أن دخل بغداد فى ملابسه الخضراء ، مغضبًا العباسيين أهل بيته ، بسبب هذا العمل ، وقد نسبت بعض المصادر إلى المأمون تدبيره إغتيال الفضل بن سهل بدَسْ من قتله فى الحمام[2]، ووضع السم فى العنب لعلى الرضا مما أدى إلى نهايته عام ٢٠٢هـ، مبررين ذلك بندم المأمون حين رأى التفاف الناس حول العلويين وثورة العباسيين لما فعله واختيارهم عمه إبراهيم بن المهدى ومبايعته بالخلافة دونه[3]، ولكن حزن المأمون وبكاءه عليه وجزعه الشديد لفقده (على الرضا) يبرئانه من هذه التهمة ، فيذكر اليعقوبى : « حدثنى أبو الحسن بن أبى عباد قال : رأيت المأمون يمشى فى جنازة الرضا حاسراً فى مبطنة بيضاء ، وهو بين قائمتى النعش يقول : إلى من أروح بعدك ، يا أبا الحسن ! وأقام عند قبره ثلاثة أيام يُؤتى فى كل يوم برغيف وملح ، فيأكل ، ثم انصرف فى اليوم الرابع »[4]، ومما يؤكد رأى اليعقوبى وحديثه أن المأمون أوصى أخاه المعتصم عندما حانت ساعته قائلاً : هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين على صلوات الله عليه، فأحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم ، واقبل من محسنهم ، ولا

---

(١) محمد حلمى محمد أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ص٥٧ .
(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٥٢ .
(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٠٩ .
(٤) تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٥٣ .

تغفل صلاتهم فى كل سنة عند محلها ، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى»[1]، كذلك لا يعقل أن يكون القتل هو الوسيلة التى يتخلص بها المأمون من أحد أفراد البيت العلوى ، وهو ما عرف عنه من العفو والتسامح فضلاً عن أنه لا يوجد ما يبرر التخلص من على الرضا ، يؤيد ذلك أيضاً موقفه من خروج محمد بن جعفر الصادق بعد ذلك والعفو عنه .

ثورة محمد بن جعفر *الصادق* :

ثار محمد (الجواد) بن جعفر الصادق بمكة ضد الخليفة المأمون ، وبويع له بالخلافة وسموه أمير المؤمنين ، وكان بعض أهله قد حسن له ذلك حين رأى كثرة الاختلاف ببغداد ، وما حل بها من الفتن وخروج الخوارج[2]. وكان محمد بن جعفر شيخاً من شيوخ آل أبى طالب يُقرأ عليه العلم ، كما روى عن أبيه علمًا جمًا ، فمكث بمكة مدة وكان الغالب على أمره ابنه وبعض بنى عمه ، فلم يحمد سيرتهما .

أرسل المأمون جيشًا كبيراً لقتاله إستطاع أن ينتصر عليه ويأسره ، ولكن المأمون عفى عنه لكبر سنه ولحبه للعفو[3].

هكذا قدر للحركات الثورية العلوية ضد العباسيين أن تجهض فى العصر العباسى الأول ، الأمر الذى أدى بالعلويين بعد ذلك إلى العمل فى الخفاء واتخاذ دعوتهم طابع السرية المطلقة فى جميع الأمصار ، حتى نجح العلويون أخيراً فى إقامة خلافة لهم فى المغرب هى الخلافة الفاطمية ، ثم

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٤٣١ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٢٠ .
(٣) نفس المصدر ، ص٢٢٠ .

انتقلوا بعد ذلك لمصر والشام فى محاولة للقضاء على الخلافة العباسية من جديد .

المأمون ومحنة خلق القرآن :

من القضايا التى أُثيرت فى عهد المأمون مسألة خلق القرآن ، أو محنة خلق القرآن ، وقد كان القول بخلق القرآن فكرة قديمة ظهرت فى أواخر حكم بنى أمية ، وأول من جهر بها هو الجعد بن درهم معلم الخليفة مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، الذى يلقبه البعض بمروان الجعدى ، وقد لقى حتفه لقوله هذا على يد حاكم الكوفة خالد بن عبد الله القسرى ، وقد ظلت الفكرة تثار وتختفى فى عهد الرشيد ، ثم عاد علماء المعتزلة إلى القول بها فى عهد المأمون حينما ازدهر أمرهم فى أيامه ، فقد شجع المأمون المعتزلة وعلماء الكلام أن يتناولوا بالبحث كل شىء من أمور الدين، ليجيئ إعتقادهم عن نظر وتفكير .

ففى عام ٢١٨هـ كلف المأمون القاضى إسحاق بن إبراهيم بالشروع فى إمتحان إيمان الفقهاء ، يذكر حسين مؤنس : « الحقيقة أن الإمتحان فى ذاته كان سطحياً وبغير معنى ، لأنه كتب إلى القضاة عن طريق قاضيه يطلب إليهم أن يسلموا بأن القرآن مخلوق وليس قديماً ، وعندما نفكر فى الموضوع نجد أن السؤال فى ذاته لا معنى له ، لأننا حتى لو قلنا إن القرآن قديم ـ أى خلق قبل الأرض والكواكب ـ فهو مخلوق ، وإلا فمن أين أتى؟... إذاً لا قضية هناك ، فسواء كان القرآن قديماً أو أنزل فى أيام رسول الله (ﷺ) ، فالأمر سيان ، وهو مخلوق وخالقه هو الله »[1].

---

(١) تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، ص١٩٧ ـ ١٩٩ .

وقد وقف علماء المعتزلة موقف المؤيد للمأمون ضد أهل السنة وذهبوا إلى أن القرآن مخلوق ، وقد عمد المأمون إلى تسخير قوة الدولة لحمل الناس على القول بخلق القرآن[1]، كما أمر بأن يؤخذ على القضاة عهداً بألا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن ، وأن يعاقب كل من لم يقل بهذا الرأى ، ويعلق حسين مؤنس أيضاً على ذلك قائلاً : « ليست هناك قضية فقهية ـ لكى يمتحن فيها الفقهاء ـ بل هناك قضية مكانة وسلطان ، لأن المأمون أحس أنه لم يعد له سلطان كخليفة ، لأن السلطان كله بيد الفقهاء ، فهم رؤساء الناس وأهل الدين والإيمان »[2]، ولم يكن المأمون موفقًا فى اختيار الآيات التى أراد أن يثبت بها للعلماء وللرعية بأن القرآن مخلوق ، فقد وجد أن القرآن الكريم لا يتضمن آية واحدة تقول مثلاً : إنا خلقنا القرآن ، بل هو يقول : إننا جعلنا القرآن ، فمضى يلتمس الآيات التى ذكرت لفظ (جعل) بمعنى خلق مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3]، وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[4] وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾[5] فسوى ـ عز وجل ـ بين القرآن وبين هذه الخلائق التى ذكرها فى شبه الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[6]. فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن ، ولا يُحاط إلا بمخلوق ،

---

(1) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ2 ، ص132 .
(2) تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، ص202 .
(3) سورة الزخرف : آية 3 .
(4) سورة الأعراف : آية 189 .
(5) سورة الأنبياء : آية 30 .
(6) سورة البروج : آية 21 ـ 22 .

ويسترسل المأمون فى ذكر الآيات دون أن يوفق إلى بيان واضح ، فإن غرضه الخفى هو أن يتحدى الفقهاء ويظهر للناس أن إيمانهم غير سليم ، وقد أدرك الفقهاء أن الذى يبحث عنه المأمون هو نصر حاسم وواضح على الفقهاء ليكون ذلك إعلاناً صريحاً بأن رياسة أمة الإسلام هى فى الحقيقة لبنى العباس ، فقرروا التمسك بالحقيقة وإعلان أن رياسة الأمة للفقهاء (أى للدين) ، وكان على رأس الفقهاء الإمام أحمد بن حنبل الذى رفض مقولة المأمون ، واحتمل وبعض أصحابه كثيراً من الأذى والضرر لموقفهم ذلك ، وعدم تحولهم عن رأيهم بأن القرآن كلام الله[1] .

يذكر حسين مؤنس : « الحقيقة أن السيف أخاف كل الفقهاء إلا أربعة على رأسهم أحمد بن حنبل ، وسجادة ، والقواريرى ، ومحمد بن نوح المعزوب ، فأمر بهم إسحاق بن إبراهيم فشدوا فى الحديد ووجههم إلى طرسوس ، وقد أراد إسحاق بن إبراهيم أن يعاقبهم ، ولكنه لم يستطع ، لأن المأمون توفى عام ٢١٨هـ ... على أى حال مات المأمون دون أن يحرز على الفقهاء أى نصر ، مات وأحمد بن حنبل فى أوْجه ، يؤكد للناس بإصراره وأخلاقه أن زعامة أمة الإسلام للحق لا للقوة »[2] .

إن هذا التعصب للرأى وهذه النزعة المتطرفة ، شغلت المسلمين لأكثر من ربع قرن[3] ، فقد حرص المأمون أن يوصى أخاه المعتصم بأن يواصل الحملة ، بل زاد المعتصم حرص على أخيه فى إلحاق الأذى بكل من أنكر

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٤٢٧ .
(٢) تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، ص٢١٩ .
(٣) على محمد راضى : المأمون العباسى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (د. ت) ص٦٣ .

أن القرآن مخلوق ، فأهان أحمد بن حنبل إهانة بالغة وسجنه (وضربه بالسياط) ، وأصبح كل عالم أو قاض هدفًا لخطر الضرب بالسياط والتعذيب، إذا لم يأخذ برأى المعتزلة فى القول بخلق القرآن[١]، كذلك اقتدى الواثق بأبيه المعتصم فى إنتصاره للمعتزلة ، وقد ظلت الحال على ذلك حتى جاء عهد المتوكل فأوقف القول بخلق القرآن وانتصر إلى أهل السنة ، وزالت بذلك دولة المعتزلة[٢].

وفى ذلك يمدحه الشاعر قائلاً :

شفى الله منهم بالخليفة جعفر
خليفته ذى السنة المتوكل
خليفة ربى وابن عم نبيه
وخير بنى العباس من منهم ولى
وجامع شمل الدين بعد تشتت
وفارى رؤس المارقين بمنصل[٣]

وفاة المأمون :

توفى الخليفة المأمون فى شهر رجب عام ٢١٨هـ بطرسوس وهو فى الطريق لغزو بلاد البيزنطيين ، وكان سنة آنذاك ثمانية وأربعون عامًا ، وهو نفس السن التى مات فيها أبوه الرشيد .

أوصى المأمون قبل وفاته بأن يخلفه أخوه أبو إسحاق الذى تلقب

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٣٣ .
(٢) أحمد شلبى : الموسوعة الإسلامية والحضارة ، جـ٣ ، ص١٨٧ .
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٣٠ .

بالمعتصم ، وذلك بعد أن عزل أخاه القاسم وتجاوز ابنه العباس[1] . وكان اختيار المأمون للمعتصم إختياراً موفقاً ، لأن المعتصم كان شخصية قيادية تصلح لقيادة الأمة ومواجهة الأخطار ، وتظهر هنا عدم أنانية المأمون فى اختيار ولى العهد ونظرته إلى المصلحة العامة قبل مصلحته الشخصية ، وأن الخلافة ليست ملكاً خاصاً يتوارثه أبناؤه ويمتد فى ذريته .

المعتصم بالله (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) :

هو أبو إسحاق محمد المعتصم بن الرشيد ، ولد عام ١٧٨هـ ، وأمه أم ولد تركية اسمها ماردة ، كانت أحظى الناس عند الرشيد[2] .

بويع المعتصم بالخلافة يوم وفاة أخيه المأمون ، فقد أدرك المأمون كفاءة المعتصم وقدرته على مواجهة المشكلات وتحمل المسئولية ، فقدمه على ابنه العباس وآثره بولاية العهد ، على الرغم من أن أباهما هارون الرشيد لم يضعه مع إخوته الأمين والمأمون والقاسم (المؤتمن) وربما لأن المعتصم لم تكن له ثقافة عالية ، فحرمه الرشيد من ولاية العهد ، وفى ذلك يقول اليعقوبى : والعجيب أن أباه الرشيد كان قد أخرج المعتصم من الخلافة وولى الأمين والمأمون والمؤتمن ، فساق الله الخلافة إلى المعتصم »[3] .

كان المعتصم سديد الرأى قوى البنية شجاعًا ، سمى الخليفة المثمن لأنه : هو الثامن من ولد العباس ، والثامن من خلفائهم ، وتولى الخلافة وعمره ثمانية وعشرون سنة ، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٨ ، ص٦٥٠ .
(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٢ .
(٣) تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٣٠ .

وتوفى وعنده ثمان وثلاثون سنة ، وولد فى شهر شعبان وهو الثامن فى الشهور العربية ، وأنجب ثمانية ذكور ، وثمان بنات ، وغزا ثمانى غزوات ، وخلف وراءه ثمانية ألف ألف درهم[1].

وقد رفض الجند فى بداية الأمر الدخول فى طاعة المعتصم ، وأرادوا تولية العباس بن المأمون ، ولكنه أسرع إلى مبايعة عمه بالخلافة ، إحتراماً لوصية أبيه ، فحذا الجيش حذوه[2].

أوصى المأمون أخاه المعتصم فيما يجب أن يفعله وما يجب أن يدعه فى وصية جاء فيها : « إتعظ بما ترى ، وخذ بسيرة أخيك فى القرآن ، واعمل فى الخلافة إذا طوقكها الله عمل المريد لله ... ولا تغفل أمر الرعية، الرعية الرعية ، العوام العوام ، فإن المُلك بهم ... ولا ينهين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة لهم إلا قدمته وآثرته على غيره من هواك ... والخرمية فاغزهم ذا حزامة وصرامة واكنفه بالأموال والسلاح والجنود والفرسان والرَجَّالَة ، فإن طالت مدتهم ، فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك ، واعمل فى ذلك مقدم النية فيه ، راجيًا ثواب الله عليه »[3] والوصية طويلة وتمتلئ بتفاصيل دقيقة ، إن دلت فإنما تدل على حرص المأمون فى أن يكون المعتصم إمتداداً له ، وهو بالفعل فى أغلب أمره كان امتداداً للمأمون ، خاصة فى مسألة خلق القرآن ، وصراعه مع الخُرمية وموقفه ـ أيضاً ـ من الزط .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٢ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٦٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص٣٠٤ .

(٣) الطبرى : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص٢٩٤ .

المعتصم والعلويين :

كان المأمون قد أوصى المعتصم بالإحسان إلى العلويين والتجاوز عن مسيئهم وإعطائهم حقوقهم ، ولكن على الرغم من ذلك لم يقف المعتصم مكتوف الأيدى تجاه بعض الثائرين منهم ، ففى عام ٢١٩هـ قاد محمد بن القاسم العلوى ثورة ضد العباسيين ، حيث خرج مع اتباعه من أهل الطالقان بخراسان ورفع شعار الدعوة إلى الرضا من آل محمد ، وقد اجتمع حوله عدد كبير من الأتباع[١] .

وعندما وصلت أنباء هذه الثورة للمعتصم أرسل إليه عبد الله بن طاهر والى خراسان ، وحدثت بينهما عدة معارك حتى هزم محمداً وحمله عبد الله بن طاهر إلى المعتصم ، فحبسه بسامراء ، ووضعه فى قبة بستان وأجرى عليه الطعام ، ووكل به من يحفظه ، وقد اختلف الناس فى وفاته فمنهم من قال أنه مات مسموماً ، ومنهم من قال إن بعض شيعته أخرجوه من مكانه وذهبوا به إلى مكان ما ، ومنهم من زعم أنه حى لم يمت وأنه المهدى المنتظر ، وأكثرهم بناحية الكوفة وبلاد طبرستان وجبال الديلم من الشيعة[٢] .

هكذا فشلت ثورة محمد بن القاسم ولم تحدث فى عهد المعتصم ثورات علوية أخرى ، وقد كان المعتصم رفيقًا بالعلويين رغم حزمه وشدته مع الثائرين منهم .

---

(١) الأصفهانى : مقاتل الطالبين ، ص٤٧٢ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٦٦ .

بنـاء مدينة سامـراء:

كان من أثر السياسة التى سار عليها المعتصم فى الإستعانة بالأتراك ، والإستكثار منهم فى الجيش والدواوين ، أن دبَّ فى نفوس العرب دبيب الغيرة والحسد لهؤلاء الأتراك ، كما كان ازدحام بغداد بهم وشغبهم وتأذى الناس منهم سببًا فى بناء مدينة سامراء[1]، وقد قيل أيضًا فى سبب بناء المدينة أن المعتصم خاف من عسكر بغداد لعدم ثقته بهم ، فقال لخاصته : « أطلبوا لى موضعاً أخرج إليه وأبنى فيه مدينة وأعسكر به ، فإن رابنى من عساكر بغداد حادث كنت بنجوة ، وكنت قادراً على أن آتيهم فى البر والماء، فوقع اختياره على سامراء ، فبناها وخرج إليها »[2].

تقع سامراء على بعد ستين ميلا إلى الشمال من بغداد ، وقد شرع المعتصم فى تخطيط المدينة فى عام ٢٢١هـ ، فوضع أساس قصره ، وجعل للأتراك قطائع خاصة بهم ولغلمانه من أهل خراسان ، كما أفرد للتجارة وأرباب الحرف والصناعات أسواقاً خاصة ، وقد تم الإنتهاء من بناء سامراء عام ٢٢٣هـ فقصدها الناس من كل صوب وحدب ، وشيدوا فيها المبانى الشاهقة ، حتى أصبحت من أحسن مدن ذلك العصر[3].

وقد عرفت هذه المدينة أولاً باسم « سرور من رأى » ثم اختصر إلى «سر من رأى» ولما خربت سميت « ساء من رأى » ثم اختصرت فقيل سامراء [4].

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٣ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٤٦٥ ؛ ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٣٢١ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٣١٢ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٤٦٧ .

حـركـة الـزط :

نجح المعتصم فى القضاء على ثورة الزط الذين ظهروا فى نواحى البصرة فى عهد المأمون ، وقد استعان الخليفة المعتصم بالقائد العربى عجيف بن عنبسة لحرب الزط عام ٢١٩هـ، فاستطاع أن يسد الأنهار عليهم وأحاط بهم من كل جانب ، وبعد قتال استمر تسعة أشهر أضطروا إلى طلب الأمان ، وكان عددهم ـ فيما يقال ـ سبعة وعشرين ألفًا بين رجال ونساء وأطفال(١)، فحمل عجيف بعضًا منهم فى السفن ودخل بهم بغداد يوم عاشوراء عام ٢٢٠هـ، فشاهدهم المعتصم ورجال دولته ، ثم أمر بهم فنفوا إلى أسيا الصغرى ، وظلوا هناك إلى أن أسرهم البيزنطيون عام ٢٤١هـ، ومن ثم وجدوا طريقاً لهم إلى أوروبا وعرفوا باسم النوّر أو الغجر(٢) .

حركـة بابـك الخرمـى :

كانت هذه الحركة تمثل تحد للدولة على عهد المعتصم ، وقد انتشرت هذه الحركة فى طبرستان وجرجان وانضم إليها عدد كبير من الديلم وجماعة من الأكراد ، وقد استمرت لأكثر من عشرين عاماً حيث بدأت عام ٢٠١هـ فى خلافة المأمون وانتهت عام ٢٢٢هـ فى خلافة المعتصم ، الذى أرسل إليه أولاً إحدى الفرق العباسية بقيادة إسحاق بن إبراهيم بن مصعب عام ٢١٨هـ، ثم عين عام ٢٢٠هـ قائداً كبيراً من الأتراك هو الأفشين حيدر ابن كاوس أميراً على الجبال وأمره بقتال بابك(٣) .

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٦٦ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع ، جـ٢ ، ص٦٦ ؛ إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص١٤٨ .
(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص٥٣ .

لم يبخل المعتصم على قائده الأفشين فى سبيل القضاء على حركة بابك ، فقد أمده بالإمدادات والمؤن وكل ما يحتاج إليه من نفقة ، وقد وصف الوزير الفضل بن مروان الخليفة المعتصم بأنه لم يكن بالنفقة على شيء أسمح منه بالنفقة على الحرب(١) .

وقد استطاع الأفشين الإنتصار على بابك وأتباعه بعد معارك عنيفة ، وتم أسر بابك وأُحْضِرَ إلى المعتصم وهو بسامراء ، فأمر بقطع يديه ورجليه ثم قتله وصلبه(٢) .

وانتهت بذلك الحركة التى شغلت الخلافة العباسية منذ عهد المأمون وحتى عهد المعتصم .

حركة المازيار ٢٢٤هـ :

تُنسب هذه الحركة إلى زعيمها المازيار بن قارن ، آخر الأمراء القاريانيين بجبال طبرستان ، وكان المأمون قد ولأه على طبرستان ودنباوند ولقبه بالأصبهذ(٣) ، وقد رغب المازيار فى الإستقلال عن الدولة العباسية مستغلاً الخصومة التى دبت بين الطاهريين وبين الأفشين الطامع فى ولاية خراسان فأعلن ثورته ، وقد انتزع المازيار الأراضى من كبار الملاك العرب ووزعها على الفلاحين ، كما أغرى الفلاحين بقتل أرباب الضياع(٤) ، وقد أمر المعتصم قائده عبد الله بن طاهر بمحاربة المازيار ،

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ٩ ، ص١٢١ .

(٢) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٧٤ .

(٣) الأصبهذ : لفظ فارسى معناه أمير الجيش أو قائد الجند ؛ زين العابدين شمس الدين ، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص٤٠ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٩٤ .

فَسَيَّر إليه عبد الله بن طاهر من نيسابور عمه الحسن بن الحسين ، الذى تمكن من أسره ، وحمله إلى سامراء عام ٢٢٥هـ، وهناك أقر بأن الأفشين هو الذى حرضه على العصيان ، فأمر المعتصم بجلده حتى الموت ، ثم صُلب إلى جانب بابك ، أما الأفشين فقد مات فى الحبس ثم أُخرج من سجنه ميتاً فصُلب ـ أيضاً ـ بباب العامة بسامراء[1] .

فتح عمورية ٢٢٣هـ :

استغل الإمبراطور البيزنطى ثيوفيل الفتن والثورات الداخلية فى الخلافة العباسية ، وبخاصة حركة بابك الخرمى وأغار الإمبراطور على مدينة زبطره[2] أقرب الثغور الإسلامية إلى البيزنطيين ، وأحرقها ، وأسر من فيها من المسلمين ، وكان ثيوفيل يرمى من وراء ذلك إلى إنقاذ بابك الذى كتب إليه قائلاً : « إن ملك العرب قد وجه معظم عساكره إلى ولم يبق على بابه أحد فإن أردت الخروج إليه فليس فى وجهك أحد يمنعك »[3] .

وقد ثارت ثائرة المعتصم بما لحق بالمسلمين من تنكيل على أيدى الإمبراطور ، كما أن هذه المدينة هى التى جاءت منها أم المعتصم . ويذكر ابن طباطبا : « كان فى جملة السبى إمرأة هاشمية ، فسمعت وهى تقول : واَ معتصماه ! فبلغ المعتصم ما فعله ملك الروم بالمسلمين ، فاستعظمه وكبر عليه ، وبلغه ما قالت الهاشمية ، فقال وهو فى مجلسه : لبيك ! ونهض من ساعته ، وصاح فى قصره : الرحيل الرحيل ! »[4]، وقد جهز المعتصم

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٤٧٣ .

(٢) يقول عنها ياقوت الحموى : هى مدينة بين ملطية وسميساط فى بلاد الروم ، سميت بزبطره بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح . معجم البلدان ، جـ٣ ، ص١٣١ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ١١ ، ص٧٩ .

(٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٢٩ .

جيشاً كبيراً هاجم به مدينة عمورية مسقط رأس أسرة ثيوفيل ، والواقعة على الطريق المؤدى للقسطنطينية ، وقد أحرقت المدينة وهدمت أسوارها بعد أن تركها المعتصم أربعة أيام للجند ، وقد أراد المعتصم أن يكمل المسير إلى القسطنطينية ومحاصرتها برا وبحراً ، إلا أن الإمبراطور البيزنطى عقد هدنة مع الخليفة المعتصم عام ٢٢٨هـ(١) .

هكذا نجح المعتصم فى هذه الحملة نجاحًا يحسب له ويُظهر غيرته على الإسلام ، لذلك عندما عاد إلى سامراء استقبله الناس استقبالاً حافلاً ، وكان فى صحبة المعتصم الشاعر أبو تمام الطائى الذى مدحه بقصيدته الشهيرة :

السيف أصدق أبناء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وفيها يقول أيضاً :

خليفة الله ! جازى الله سَعيَك عن
جرثومة الدين والإسلام والحسب
بصُرت بالراحة الكبرى فلم تَرَها
تُنال إلاّ على جسر من التعبِ(٢)

وفاة المعتصم :

توفى الخليفة المعتصم يوم الخميس الموافق ١١ من ربيع الأول عام ٢٢٧هـ ، وصلى عليه ابنه هارون ودفن فى قصره المعروف

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٦٣ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣٠ .

بالجوسق[1]، وكانت ولايته ثمان سنوات ، وكان عمره ثمانية وثلاثون عاماً، وقد ولى عهده ابنه هارون الملقب بالواثق بالله ، ولم يشرك معه فى الولاية أحد[2].

الواثق بالله (٢٢٧ـ٢٣٢هـ) :

هو أبو جعفر الواثق بالله هارون بن المعتصم ، أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس ، ولد الواثق فى عام ١٩٦هـ ، ونشأ مقتدياً بعمه المأمون فى صفاته واتجاهاته ، وقد وصفه السيوطى بقوله : « كان الواثق يسمى بالمأمون الصغير لأدبه وفضله ، وكان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده ، وكان أعلم الناس بكل شيء ، كما كان أعلم الخلفاء بالغناء ، له أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت ، وكان حاذقًا بضرب العود راوية للأشعار والأخبار»[3].

وقد استأنف الواثق نشاط عمه المأمون فى المناظرات العلمية التى كان يشارك فيها بنفسه ، ونتيجة لأن الواثق جعل عمه المأمون قدوته ، نلاحظ أنه تشدد فى القول بخلق القرآن ، وقد أثارت هذه السياسة مشاعر الفقهاء وأهل بغداد فسخطوا عليه ، وأنكروا هذه البدعة ، وتزعم هذه الحركة رجل يسمى أحمد بن نصر الخزاعى عام ٢٣١هـ، ولكن الواثق سارع بالقبض عليه وناظره فى خلق القرآن ، فأنكر عليه ابن نصر ذلك ، فقام الواثق إلى السيف وضربه على رقبته ثم طعنه بطرف السيف فى بطنه ، وأمر بصلب رأسه على أبواب بغداد[4].

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٧٨ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣٥ .
(٣) تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٧ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٢٢ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٦ .

الواثق ونفوذ الأتراك :

ازداد نفوذ الأتراك فى عهد الواثق بالله ووصل قادتهم إلى مكانة مرموقة ، وكان هذا مما يؤخذ على الواثق لأنه لم يستطع أن يضع حدا لنفوذ القادة الأتراك ، ولم يحاول أن يزيل عنهم مظاهر الأبهة والعظمة التى خلعها المعتصم عليهم من قبل[1] .

وفى عام ٢٢٨هـ خلع الواثق على القائد التركى أشناس ولقبه بالسلطان، وهو بذلك يعترف له بحقوق تفوق نطاق المهام العسكرية الخاصة ، يقول السيوطى : « وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطاناً »[2]، وكانت نتيجة ذلك أنه بعد وفاة الواثق كان (وصيف) الذى خلف أشناس قد ازداد نفوذه ، خاصة لأن الواثق لم يختر أحداً لولاية العهد ، فقام وصيف بإعلان محمد بن الواثق خليفة ، ولكن محمد كان طفلاً صغيراً فاختار عمه جعفر ابن المتوكل على الله ، وبذلك أصبح للأتراك دور فى تسيير أمور الخلافة والتدخل فى شئونها ، وكان ذلك سببًا فى ضعف الخلافة العباسية[3] .

ثورة الجزيرة العربية فى عهد الواثق :

هبت فى عهد الواثق ثورات فى نواح متعددة من الجزيرة العربية ، فبنو سليم من قيس عيلان أشعلوا ثورة تمرد وفساد حيث كانوا ينزلون بالقرب من المدينة ، كما تمرد بنو مرة وفزارة فى فدك ، وتمرد بنو نمير فى اليمامة[4] .

---

(١) إبراهيم فرغلى : العصر العباسى الأول ، ص١٥٦ .
(٢) تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٦ .
(٣) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٩٨ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٢٧٠ .

وقد أرسل الواثق خيرة قواده لهذه البلاد فأعادوا الأمن إلى نصابه ، وقبضوا على المَرَدَة والعصاة ، واعملوا السيف فى بعض الخارجين وأخمدوا كل الفتن ، وقد لمع فى هذه المعارك اسم أحد القادة الأتراك المسمى (بغا) الذى قاد جيش المسلمين فى أكثر هذه المعارك[1] .

الواثــق والعلويـيــن :

أما عن سياسة الواثق مع العلويين ، فقد بالغ فى إكرامهم والإحسان إليهم والتعهد لهم بالأموال ، وفى أيامه اجتمع آل أبى طالب بسامراء تدور عليهم الأرزاق ولم يتفرقوا إلا فى عهد المتوكل ، يقول يحيى بن أكثم : « ما أحسن أحد من خلفاء بنى العباس إلى آل أبى طالب كما أحسن إليهم الواثق، ما مات وفيهم فقير[2] .

وفــاة الواثــق :

حكم الواثق الدولة العباسية أقل من ست سنين ، ولم يول عهده أحداً من ولده ، وهو بذلك يشترك مع عمه المأمون أيضًا ، فى أن كليهما قد تخلص من سيطرة عاطفة الأبوة عليه فيما يختص باختيار من يتولى بعده، وعندما سئل فى مرض الموت أن يوصى بالخلافة لولده ، لم يقبل قائلاً : « لا أتحمل أمركم حياً وميتاً »[3] .

توفى الواثق فى السادس من ذى الحجة عام ٢٣٢هـ، وهو فى السادسة

---

(١) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص١٩٩ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص٣١٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٢٧٧ .
(٣) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، جـ٢ ، ص٤٨٣ .

والثلاثين من عمره ، ولما احتضر جعل يردد هذين البيتين :

الموت فيه جميع الخلق مشترك
لا ســوقــة منهم يبــقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل فى تفارقهم
وليس يغنى عن الأملاك ما ملكوا[1]

بوفاة الواثق وانتهاء عصره ، ينتهى العصر العباسى الأول ، أو العصر الذهبى للدولة العباسية ، ليبدأ بعد ذلك العصر العباسى الثانى ، وهو العصر الذى ضعفت فيه سلطة ونفوذ الخلفاء ، واستبد بهم فيه العنصر التركى وقواده .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٨ .

الفصل الرابع

السياسة الخارجية للدولة العباسية



الفصل الرابع

السياسة الخارجية للدولة العباسية

السياسة الخـارجـيـة لأى دولـة هـى العـامل الأسـاسـى الذى يؤثر على كيـانهـا، فـهـى أقوى من السيـاسـة الـداخليـة ، والأمـثلة على ذلك كثيـرة فى التاريخ ، فسياسـة دولة الرسول (ﷺ) فى المدينة خـارجيًا هى التى أتاحت لها توحيد الجزيرة العربية ، كذلك كـانت سياسة عمر بن الخطاب الخارجية فى الفـتـوح هـى العامل الأول فى تـشكيل الدولة الـعربيـة ، كـمـا كـان ثبـات الأمـويين فى مـركـز الخلافة يرجع إلى سيـاسـتـهم الخارجيـة الرائعة ، وإلى الانتصارات المتوالية التى أحرزتها فى البر والبحر على دولة الروم .

وقد احتلت السياسة الخارجية فى العصر العباسى الأول مكانة بارزة ، فى ظل اتسـاع الـدولة وبـفـضل الـسـلام الإسـلامـى (Pax Islamicus) الـذى ساعد على انتشار الحضارة الإسلامية على نطاق واسع من الهند والصين وبلاد مـا وراء النهـر ، بل ومن اليـونـان والغـرب الأوروبى ، وكـان لهـذا الانتشار أثره الكبير فى تشكيل الحضارة الإسلامية نفسها ، إذ إقتبس العرب من الثقافات اليونانية والهندية والصينية والفارسية عناصر مهمة[1]، كـان لهـا الفضل فى الازدهار الذى اصابـتـه الحـضـارة الإسـلاميـة فى العصـر العباسى ، كذلك ساعد السلام الإسلامى والإحتكاك السلمى بين المسلمين وشعوب آسيا الوسطى من جهة والشعوب المجاورة لهم فى الشمال الغربى من جـهـة أخرى ، على انتشار التجـارة وظهور الموانئ الإسلامية الأسيوية

---

(١) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٥٤ .

كالبصرة والأبلة وسيراف وعدن ، وتكدس الأسواق الإسلامية بمتاجر الشرق والغرب[1].

وعلى الجانب الآخر لعبت السياسة الخارجية للدولة العباسية دوراً كبيراً فى تحقيق السيادة والقوة والسلطان للخلافة ، وذلك بفضل ما أحرزه بعض الخلفاء من إنتصارات على بعض جيرانها من المتربصين بالخلافة ، فكانت الدول الأجنبية تخافها وتخطب ودها ، وتسعى إلى عقد المعاهدات السلمية معها[2].

كانت أهم ملامح السياسة الخارجية للدولة العباسية هى تثبيت حدود الدولة ، بعد أن بلغت حركة الفتوحات الإسلامية مداها فى نهاية عصر الدولة الأموية ، كذلك دفع الهجمات التى وجهت إليها من ناحية ، وضرب المحاولات الإستقلالية عن الدولة من ناحية أخرى[3].

العلاقات بين العباسيين والبيزنطيين :

لم تنقطع الحرب بين العرب والروم (البيزنطيين) منذ ظهور الإسلام، وقد حاول العرب الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ثلاثة مرات ، فى عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وعهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان ، وعهد الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وكان الأمويون قد اتخذوا بلاد الشام قاعدة لحكمهم ودمشق حاضرة لهم ، فاستفادوا من الموقع البحرى لبلاد الشام فى شن هجماتهم على البيزنطيين ، كما استفادوا من

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٦٧ .
(٢) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٢٤٨ .
(٣) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٤ .

خبرة أهلها وأقباط مصر فى إنشاء البحرية الإسلامية لتقف فى وجه الأسطول البيزنطى ، وسرعان ما تحولت البحرية الإسلامية فى العهد الأموى من موقع المدافع إلى موقع المهاجم للقواعد البحرية البيزنطية فى شرقى البحر المتوسط ، تلك القواعد التى كان يثب منها البيزنطيون على سواحل مصر والشام ، وتأتى جزيرة قبرص فى مقدمة هذه القواعد ، والتى لا تبعد عن سواحل الشام سوى أميال قليلة[1] .

وقد نجح معاوية بن أبى سفيان عام ٢٨هـ فى غزو جزيرة قبرص فى خلافة عثمان بن عفان ، ثم اتجه بعد ذلك إلى محاولة فتح القسطنطينية بحراً ، ولكن جهوده منيت بالفشل بسبب النار الإغريقية التى كان يستخدمها البيزنطيون ، كذلك فشلت المحاولة التى قام بها الخليفة سليمان ابن عبد الملك بعد ذلك بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك .

وقد استفادت الدولة البيزنطية من الفتن الداخلية التى وقعت فى أواخر العهد الأموى ، والتى أدت إلى سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ وقيام الدولة العباسية ، فقد ترتب على ذلك أن انتقل مركز الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد ، وهو ما أدى إلى قلة حدة الضغط الإسلامى على حدود الدولة البيزنطية[2]، فضلاً عن توجه العباسيين أنفسهم واهتمامهم بمشرق الدولة أكثر من غيرها من الأنحاء ، فى الوقت نفسه لم يعد لأهل الشام دور كبير فى إدارة الدولة العباسية ، بسبب ميولهم الأموية[3] .

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١١١ .
(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٦٠ .
(٣) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٨ .

لقد أسهمت كل تلك العوامل فى تغير طبيعة العلاقة بين العباسيين والبيزنطيين ، فبينما كان الأمويون يعملون على فتح القسطنطينية وإسقاط الدولة البيزنطية ، اكتفى العباسيون بشن الغارات للتخريب والهدم وإتلاف النفس والمال ، ويفسر عصام الدين عبد الرؤوف ذلك بقوله : « السبب فى ذلك هو عدم اهتمام العباسيين بإقامة أسطول بحرى كالأمويين ، واعتمدوا فى حروبهم على الجيوش البرية فضلاً عن صعوبة إعتماد العباسيين على أهل الشام فى شن الحروب ضد الدولة البيزنطية»[1]، ويضيف أحمد شلبى إلى ما سبق : « الإمبراطورية الإسلامية كانت قد إتسعت إتساعًا عظيمًا يستلزم جهداً كبيراً للسيطرة عليها ، وتأمين حدودها ، ثم إن العباسيين رأوا أنهم فقدوا الأندلس ، وأن بلاد شمالى أفريقية تثير التمرد عليهم من حين إلى آخر ، فأدركوا أن من الخير لهم أن يتجهوا إلى السيطرة على ما فى أيديهم ، والمحافظة على إمبراطوريتهم ، بدلاً من توجيه قوتهم إلى التوسع فتضعف شوكتهم فى الداخل ، ويعرضهم ذلك إلى فقدان أجزاء أخرى من الإمبراطورية »[2]، لذلك إكتفى العباسيون بالإغارات ليوهموا البيزنطيين أنهم أقوياء وأنهم دائماً على أهبة الإستعداد .

وقد استغل البيزنطيون انشغال العباسيين بتثبيت قواعد دولتهم الجديدة ، فى أول عهد الخليفة السفاح ، فهاجم الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الخامس منطقة الثغور الجزرية[3]، ودمر تحصينات الفرات بما

---

(١) الدولة العباسية ، ص٦٠ .

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٢٥٢ .

(٣) الثغور : جمع ثغر ، وهى تعنى الحصون الخارجية الممتدة برا وبحراً من ملَطية على الفرات الأعلى إلى طرسوس على ساحل البحر المتوسط ، وقد سميت كذلك لمواجهتها للثغور والمنافذ التى فى أرض العدو ، والثغر هو مقام يقيم فيه الجند لدفع العدو أو لغزو =

فى ذلك ملَطْيَةُ[1] والحدث[2]، وقد ذكر البلاذرى هذه الغزوة قائلاً : « لما كانت سنة ثلاث وثلاثين ومئة أقبل قسطنطين الطاغية عامداً لملَطية ... فحصر من فيها ... ووضع عليها المجانيق ، فلما جهدهم (أهلها)) البلاء واشتد عليهم الحصار سألوه أن يوثق لهم ففعل ، ثم استعدوا للرحلة وحملوا ما استدق لهم ... ثم خرجوا ... وتوجهوا نحو الجزيرة فتفرقوا فيها ، وهدم الروم ملَطية فلم يبقوا منها إلا هريا ... وهدموا حصن قلوذية »[3].

عندما تولى المنصور الخلافة إهتم بتحصين الحدود ، فأمر صالح بن على بإعادة بناء ملَطْيَة وتحصينها ، فخرج الحسن بن قحطبة فى سبعين ألفاً وجمع العمال من كافة البلاد ، وقد استطاع الجند الخراسانية أن يعيدوا بناء ملطية فى نحو ستة أشهر[4]، ثم رأى المنصور أن يجعل لهده المنطقة الثغرية كيانا إدارياً قائمًا بذاته ، ومنطلقًا لغزو البيزنطيين ، فولى على الجزيرة وثغورها عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ، كما أمر بعمران حصن المصيصة ، وكان قد قل سكانها وتخرب سورها ، فوجه صالح بن على

- بلاده ، وقد انقسمت الثغور الإسلامية إلى ثلاثة أقسام : ثغور برية ، وثغور بحرية أو جزرية ، وثغور فيها الأمران فهى برية وبحرية معًا . لمزيد من التفاصيل انظر منى حسن محمود : دراسات فى العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية فى العصر العباسى الأول . دار الفكر العربى ١٩٩٠ ، ص٨ إلى ١٢ .

(١) ملَطية : مدينة بأرض الروم مشهورة . القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ٢٠٠٤ ، ص٥٦٤ .

(٢) الحدث : مدينة صغيرة عامرة وهى من ثغور الشام ، بينها وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلاً ، الإصطخرى : المسالك والممالك ، ص٦٣ .

(٣) فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١ ، ص١٩٠ ـ ١٩١ .

(٤) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٥٦ .

إليـهـا جـبـريل بن يحـيى البـجلى فـأسكنهـا أهلهـا وبنى سـورها وسـمـاها المعمورة[1]، كـذلك بنى المنصـور حـصن قلوذية مـرة أخـرى وأرسل إليـه محمد بن إبراهيم فى جند من أهل خراسان فرابطوا به ، حتى لا يطمع فيه البيزنطيون ، وفى عام ١٤٢هـ بنى المنصور مدينة أذنة[2] وعسكر عليها جند من الخراسانيين مع مسلم بن يحيى البجلى ، وجند من الشاميين مع مالك بن أدهم الباهلى ، كذلك اهتم بترميم حصن مرعش بعد أن خربته القوات البيزنطية زمن آخر خلفاء بنى أمية مروان بن محمد[3] .

هكذا نظم المنصـور مناطق الثـغـور وحـصنهـا وحـدد أسلوب القـتـال وتقاليده فيها من صوائف وشوات ، فقد كانت هناك أوقات معينة يغير فيها المرابطون فى الثـغـور ، تحـدث فى فـصل الربيع والصـيف وتسـمى بالصوائف، وقد اشتهر بالبطولة فى ميدان الصوائف فى عهد المنصور رجل يدعى مالك بن عبد الله الخثعمى[4]، الذى سمى بمالك الصوائف ، وكـان غزو الربيع يبدأ فى منتصف شـهر مـايو ، بعد أن تكون الخيل قد سمنت وقويت من رعيها ، ويستمر الغزو ثلاثين يوماً حتى منتصف شهر يونيو ، ثم يركن المسلمون إلى الراحة حتى منتصف شهر يوليو ، فتبدأ غارات الصيف التى تستغرق قرابة الشهرين ، أما الشواتى فكانت فى الفترة بين مستهل شهر فبراير والنصف الأول من مارس[5] .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص١٩٧ .

(٢) أذنة : من ثغـور المسلمين بالقـرب من المصـيـصـة ، تقع على الشـاطئ الأيمن لنهـر سيحان . البلاذرى : فتوح البلدان ، ص١٧٢ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢١٧ .

(٤) هو من أهل فلسطين غزا بلاد الروم عام ١٤٦هـ وغنم غنائم كثيرة ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص١٩٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٥٧٦ .

(٥) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٥٧ .

وقد تابع الخليفة المهدى جهود المنصور فى بناء الحصون وحشد الجنود[1] . فحصن طرسرس[2] وشحنها بالمقاتلة ، وفرض بالمصيصة لألف رجل، وفى عهده سير الإمبراطور ليو الرابع حملة ضد سميساط فى عام ١٥٩هـ، فرد عليه المهدى بحملة قوية بقيادة العباس بن محمد بلغت أنقرة[3]، كما وجه المهدى عام ١٦٢هـ الحسن بن قحطبة فساح فى بلاد الروم وثقلت وطأته على أهلها ، حتى إنهم صوروه فى كنائسهم وسموه التنين[4] .

وفى عام ١٦٣هـ تجهز المهدى بنفسه لغزو بلاد الروم ، فخرج على رأس جيش كبير مصطحباً معه ابنه هارون ، وبعد أن عبر الفرات إلى حلب عهد إلى هارون بمواصلة الغزو ، أما هارون فقد تابع حملته حتى نزل على حصن سمالو فحاصره ٣٨ يوماً ونصب عليه المجانيق وفتحه بالأمان ، كما فتح حصوناً أخرى كثيرة[5] .

وفى عام ١٦٥هـ قاد هارون أيضًا جيشًا كبيراً بلغت عدته مائة ألف[6]، فتوغل به فى آسيا الصغرى ودمر حصن (ماجدة) وواصل سيره حتى أشرف على خليج البحر على القسطنطينية ، وكان إمبراطور الدولة

---

(١) منى حسن محمود : العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية فى العصر العباسى الأول ، ص٢٨ .

(٢) طرسوس : مدينة بين انطاكية وحلب ، سميت بطرسوس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح . القزوينى : أثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢١٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٤٤١ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢١٩ .

(٥) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٩ .

(٦) خرج هارون بهذا الجيش الذى كان المنصور والمهدى قد فرغا من إعداده وتدريبه من قبل. حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٥٨ .

البيزنطية فى ذلك الوقت إيرينى أرملة الإمبراطور ليو الرابع والوصية على عرش ابنها قسطنطين السادس ، وقد خافت إيرينى أن ينجح هارون فى التغلب على القسطنطينية ، فآثرت أن تشترى سلام المسلمين بأن تدفع الجزية وقدرها سبعون ألف دينار ، وأن تعيد أسرى المسلمين وتعقد هدنة لمدة ثلاث سنين[١].

عاود هارون الرشيد بعد أن ولى الخلافة جهوده فى محاربة البيزنطيين ، بعد أن خفت حدة الحرب بين العباسيين والبيزنطيين فى السنوات الخمس الأخيرة من حكم إيرينى ، فما كاد يتولى عرش الدولة البيزنطية الإمبراطور نقفور الأول حتى امتنع عن دفع الجزية، بل طالب العباسيين بإعادة ما دفعته إيرينى إلى الخلافة[٢]، كما أرسل إلى هارون الرشيد كتابا فى عام ١٨٧هـ جاء فيه : « من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد . فإن الملكة التى كانت قبلى ، أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقًا بحمل أمثالها إليها ، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابى فأردد ما حصل قبلك من أموالها ، وافتد نفسك بما يقع من المصادرة لك وإلا فالسيف بيننا وبينك »[٣]، فلما قرأ الرشيد الكتاب إستفزه الغضب ، فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه ، والسلام »[٤]، وقد قاد الرشيد حملة كبيرة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٦٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص٩١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص١٨٥ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ١ ، ص١٩٢ .

(٤) ابن الأثير : نفس المصدر ، جـ٦ ، ص١٨٥ .

زحف بها إلى منطقة الثغور مخترقًا آسيا الصغرى ، حتى استولى على هرَقلة[1] وأرغم نقفور على طلب الهدنة وعقد الصلح على جزية سنوية يؤديها ، وقد أجاب نقفور مرغمًا ، ولكن ما كاد الرشيد يصل عائداً من هرَقلة إلى الرقة ، حتى نقض نقفور الهدنة وخان الميثاق ، فقد كان يظن بأن المسلمين لا يستطيعون الغزو فى الشتاء لشدة البرودة ، فلما علم الرشيد بهذا عاد راجعًا حتى أرغم نقفور على أن يدفع الجزية ، والتى قيل أنها سبعين ألف دينار[2].

ولم تقتصر حروب الرشيد مع الروم على آسيا الصغرى ، بل تعدتها إلى البحر المتوسط ففى عام ١٩٠هـ غزا العباسيون جزيرة قبرص وأسروا منها ستة عشر ألف ، كان من بينهم أسقُف الجزيرة نفسه[3].

توقفت الغزوات والهجمات بين الروم والعباسيين بعد وفاة هارون الرشيد ، بسبب النزاع بين ولديه الأمين والمأمون ، حتى إذا ما اعتلى المأمون الخلافة عاد الصراع مرة أخرى من جديد ، فقد شجع المأمون توماس الصقلبى[4] فى ثورته على الإمبراطور ثيوفيل وأمده بالمال والرجال ، وعمل على تتويجه إمبراطوراً على الدولة البيزنطية نفسها ،

---

(١) هرَقلة : مدينة عظيمة بالروم بناها الإمبراطور هرقل ، القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٥٦٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص٩٩ ؛ الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص٢٠٧ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٢٠٠١ .

(٤) توماس الصقلبى : رجل أرمنى الأصل ، قاد الثائرين على الإمبراطور البيزنطى ، بسبب الفساد الذى استشرى فى الدولة البيزنطية وسوء الأحوال الدينية والاجتماعية ، أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٢٥٨ .

ولكن سرعان ما انكشفت حيلته ولم يتم له ما أراد[1]. وقد اتبع الإمبراطور البيزنطى نفس السياسة مع الخليفة المأمون ، فقد جعل الدولة البيزنطية موئلاً للخرمية أتباع بابك الخرمى الثائرين على المأمون ، وقد اتخذوا من مدينة حران قاعدة لهم واستطاعوا بفضل مساعدة البيزنطيين إجهاد الخلافة العباسية ، وقد وجد ثيوفيل فى نهاية الأمر أنه من الأفضل مهادنة المأمون ، وعرض الصلح عليه إلا أن المأمون رفض الصلح معه لأنه كان يستهدف مواصلة الجهاد وفتح القسطنطينية ، لذلك خرج فى عام ٢١٨هـ لقتال الروم لكن المنية وافته وهو فى طرسوس فمات ودفن بها[2].

وفى عهد المعتصم إزدادت العلاقات سوءاً بين الروم والعباسيين ، وكان المعتصم بعيد النظر فوجه كل همه أولاً للقضاء على فتنة بابك الخرمى ، وقد انتهز الإمبراطور تلك الفرصة وأغار على مدينة زبطرة[3] وأحرقها وأسر من فيها من المسلمين ، وقد ذكر ابن الأثير : « أن ملك الروم لما خرج وفعل فى بلاد الإسلام ما فعل ، بلغ الخبر المعتصم ، فلما بلغه ذلك استعظمه ، وكبر لديه ، وبلغه أن امرأة هاشمية صاحت وهى أسيرة فى أيدى الروم : وا معتصماه ! فأجابها وهو جالس على سريره : لبيك ! ونهض من ساعته »[4] وسار من فوره على رأس جيش كبير إلى أنقرة وهزم الإمبراطور البيزنطى عام ٢٢٤هـ واستولى على أنقرة ، ثم قام بتخريب عمورية ، بعد إستيلائه عليها تنكيلاً بالإمبراطور البيزنطى ثيوفيل

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٦٢ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص٢٠٢ .

(٣) زبطرة : مدينة ذات شأن كبير وهى من ثغور الجزيرة ، وهى أقرب الثغور للروم ، الأصطخرى : المسالك والممالك ، ص٦٣ ؛ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص١٩٦ .

(٤) الكامل ، جـ٦ ، ص١٧٦ .

الذى ولد فى هذه المدينة ، وتركها المعتصم للنهب والتدمير والإحراق لمدة أربعة أيام كاملة إنتقامًا مما فعله الروم فى زبطره ، كما أمر بأخذ باب حديدى ضخم من أبوابها ، فأحضره معه إلى بغداد ، ونصب على أحد أبواب قصر الخلافة وعرف بباب العامة[1].

وقد قرر المعتصم بعد هذه المعركة أن يعد العدة مرة أخرى للتوجه هذه المرة لفتح القسطنطينية ، لكن خطته تأجلت على أثر عودته إلى بلاد الشام ، بعد إكتشافه مؤامرة دبرها الجند لصالح ابن أخيه العباس بن المأمون بتأييد من الجانب العربى ضد الجانب التركى ، وقد استطاع المعتصم القضاء على تلك المحاولة ، ثم وافاه الأجل بعد ذلك فمات عام ٢٢٧هـ فى نفس العام الذى مات فيه الإمبراطور البيزنطى أيضاً .

وفى خلافة الواثق بالله هدأت المعارك بين العباسيين والبيزنطيين فقد انصرف الخليفة الواثق عن الغزو فى الأراضى البيزنطية بمشاكل الخلافة الداخلية ، كما شغل البيزنطيون عن الإغارة فى أراضى المسلمين بسبب وفاة ثيوفيل وتولية ابنه الصغير ميشيل الثالث ، وعلى الرغم من أنه لم تعقد بين العباسيين والبيزنطيين هدنة فقد تم تبادل الأسرى فيما بينهم فى عهد الواثق ، كما كان يحدث من قبل فقد كانت الأسرى بين الجانبين تكثر مع كل هجوم من كلا الجانبين ، الأمر الذى أدى إلى تفكير كل من الطرفين فى تبادل الأسرى أو فداءهم ، وقد حدث أول فداء للأسرى بين الجانبين عام ١٨٩هـ فى عهد الرشيد ، ثم تتابع الفداء بعد ذلك ، وقد كان الفداء فى عهد الواثق هو الفداء الثالث والذى عرف بفداء (خاقان) نسبة إلى خاقان

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢١٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢٣٨ .

الخادم التركى[1]، ويصف ابن الأثير عملية الفداء فى عهد الواثق فيقول : « إجتمع المسلمون ومن معهم من الأسرى على النهر ، وأتت الروم ومن معهم من الأسرى ، وكان النهر بين الطائفتين ، فكان المسلمون يطلقون الأسير من الروم فيطلق الروم الأسير من المسلمين فيلتقيان فى وسط النهر ، ويأتى هذا إلى أصحابه، فإذا وصل الأسير من المسلمين كبروا ، وإذا وصل الأسير إلى الروم صاحوا ، حتى فرغو ، وكان عدة أسرى المسلمين أربعة آلاف وأربع مائة وستين نفساً ، والنساء والصبيان ثمانى مائة [2].

وقد استمر هذا الفداء أربعة أيام على نهر صغير غربى مدينة طرسوس بآسيا الصغرى يقال له نهر اللامس[3].

هكذا كانت العلاقات بين العباسيين والبيزنطيين ، غارات وهجمات يتخللها معاهدات صلح ينقضها البيزنطيين فتعود الحرب مرة أخرى بينهما ، هكذا طيلة العصر العباسى الأول ، حتى نجح السلاجقة الأتراك فى العصر العباسى الثانى فى فتح آسيا الصغرى وبلاد الروم ونشر الإسلام فيها .

٢ ـ العلاقات بين العباسيين ودولة الفرنجة :

يقصد بالفرنجة الكارولنجيين فى بلاد غاليا (فرنسا الحالية) ، وقد قامت بين دولة الفرنجة والعباسيين علاقات ودية فى عهد المهدى والرشيد، فقد أدت وحدة الهدف والعداء المشترك بين العباسيين والفرنجة

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١١٦ .
(٢) الكامل ، جـ٧ ، ص٢٤ .
(٣) عطية القوصى : المرجع السابق ، ص١١٦ .

من جهة ضد الأمويين فى الأندلس إلى عقد إتفاق أو تحالف ، على إرسال حملتين فرنجية وعباسية فى وقت واحد من الشمال والجنوب للقضاء على عبد الرحمن الداخل فى الأندلس ودولته ، فقد كان العداء بين المسلمين بالأندلس وبين دولة الفرنجة قد إشتد ، وزاد ضغط الفرنجة على مسلمى الأندلس عقب إنتصارهم عليهم فى معركة بلاط الشهداء (تور بواتييه) ، ونجاحهم فى طرد العرب من جنوب فرنسا بعد تلك المعركة إلى ما وراء جبال البرانس ، من ناحية أخرى كانت جهود الخلافة العباسية قد فشلت ـ خاصة فى عهد المنصور ـ فى القضاء على الدولة الأموية بالأندلس ، سواء بالحرب أو بالمسالمة ، لذلك كان التحالف بين الفرنجة والعباسيين هو نقطة الإلتقاء بين الدولتين فى علاقتهما ببعضهما البعض[1]، إضافة إلى وجود مصلحة مشتركة ـ أيضًا ـ بين العباسيين من ناحية والفرنجة من ناحية أخرى ، على أساس أن البيزنطيين فى القسطنطينية والأمويين فى قرطبة كانوا أعداء مشتركين للطرفين[2] .

ويعلق عطية القوصى على ذلك قائلاً : « كان ذلك بمثابة إنقلاب فى مفاهيم العصر بأن غدت السياسة ، لا الدين ، تحدد علاقات الدول بعضها ببعض »[3] . وقد كانت تتنازع العالم المسيحى فى ذلك الوقت ثلاث قوى : البابابوية والإمبراطورية البيزنطية ودولة الفرنجة ، وقد نجح شارلمان (كارلة) ملك الفرنجة فى كسب البابابوية إلى جانبه ، وأن يتوج امبراطوراً فى كنيسة القديس بطرس بروما عام ٨٠٠م[4]، وبذلك إعتبر شارلمان نفسه

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢٢ .

(٢) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢١١ .

(٣) عطية القوصى : المرجع السابق ، ص١٢٣ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا العصور الوسطى . مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦ ، جـ١ ، ص١٩٨ .

حـامـيًا للعـالم المسـيـحى كله شـرقـه وغربـه ، الأمـر الذى أغـضـب أباطرة بيزنطة وأوقع العداء السياسى بين امبراطور بيزنطة ودولة الفرنجة ، فضلاً عن العـداء المذهبى بينهـمـا ، من أجل ذلك جـاء التـقـارب بين العـبـاسـيين والفرنجة محققاً لأهداف كل منهما[1] .

وقـد فـشلت خطة كل من العـبـاسـيين والفـرنجـة فى القـضـاء على عبدالرحمن الداخل ، فقد سبق مجئ الحملة العباسية الحملة الفرنجية والتى منيت بالفشل ، فلما جاءت القوات الفرنجية بلاد الأندلس لقتال عبد الرحمن الداخل ، وجـدت أن الحملة العبـاسيـة قد انهـزمت ، فـمـا كـان منـهـا إلا أن تقهقرت إلى الوراء مغادرة الأندلس دون قتال ، ويعلق السيد عبد العزيز سـالم على ذلك قـائلاً : « هكذا فـشلت المؤامرة الدولية الكبرى التى دبرها المهدى بالإتفاق مع ثوار الأندلس وشارلمان »[2] .

وعلى الرغم من فشل هذا التحالف ، فقد ظلت العلاقات الودية قائمة بين الجـانبين العـبـاسى والفـرنجى فى عـهـد الرشـيـد ، وقـد اتسـمت هذه العلاقـات بتبادل السفـارات بينهـما وتبـادل الهدايا ، فقد أشـارت المصـادر الفرنجية إلى قيام ثلاث سفارات بين الرشيد وشارلمان فى الفترة مـا بين سنـوات ١٨١ ــ ١٨٥هـ/ ٧٩٧ ــ ٨٠١م[3]، ويظهـر كـتـاب تاريخ مملكة الفرنجة وكتاب سيرة الإمبراطور شارلمان لإنهارد (Einhard) مـزيداً من التـفـاصـيل حـول هذا الموضـوع ، فى الوقت الذى صـمـتت فـيـه المصـادر العربيـة الإسـلامـيـة ، مما جـعل بعض الدارسين المحـدثين يتـشككون فى

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٨٠ .

(٣) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٦٤ .

صحة تلك السفارات ويعتبرونها نوعًا من الوهم التاريخى[1]، ويبدو أن سبب التشكك هو أن المعلومات المتواترة عن علاقة شارلمان بالرشيد كانت تحمل طابع المبالغة ، وذلك لأن معظمها كان مستمد من كتاب أينهارد عن سيرة شارلمان ، وقد أسرف أينهارد فى تصوير مدى ما تمتع به (سيده) شارلمان من نفوذ فى العالم الإسلامى ، كذلك أسرف فى ذكر الهدايا التى أرسلها الرشيد إلى شارلمان ، فذكر أنه جاء من بينها فيل[2] وساعة مائية ، عدها شارلمان ورجاله ضرباً من ضروب السحر ، إلا أن أهم ما ذكره أينهارد أن الرشيد أرسل إلى شارلمان مفاتيح بيت المقدس ومفاتيح كنيسة القيامة بالقدس ، كما منحه حق حماية الحجاج المسيحيين إلى الأراضى المقدسة المسيحية بفلسطين ، وقد أثبتت الدراسات الحديثة عدم صحة هذا الرأى ، فيذكر عادل زيتون مترجم سيرة شارلمان : « إن زعم أينهارد لا ينسجم مع روح ذلك العصر ، ولا يتفق عما عرف عن الرشيد من حرص على المصالح العليا للعرب والمسلمين ، السياسية منها والدينية ، وسياسة الرشيد لا تسمح لنا بالاستنتاج بأنه على استعداد لمنح الفرنجة حقاً أو امتيازاً فى فلسطين ، وصفوة القول أن ما يرويه أينهارد وغيره من المؤرخين الذين تناقلوا روايته ، يعتبر وهماً أسطورياً ومغالطات إفتعلها أينهارد ليضخم من أمر سيده ... وربما رجا شارلمان الخليفة أن يقوم الأخير بحماية

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢٤ .

(٢) على الرغم من أنه لم يكن لدى هارون الرشيد سوى فيل واحد ، فقد بعث به إلى شارلمان ، وكان هذا الفيل مجهزاً بأفخر جهاز ، وقد ظل هذا الفيل يعتبر مدة تسع سنوات أجمل ما يتصف به النقل الحربى للإمبراطور شارلمان من أبهة وعظمة ، وقد استخدم هذا الفيل فى الحرب بين شارلمان والدنماركيين .
اينهارد : سيرة شارلمان . ترجمة د. عادل زيتون . دار حسان للطباعة والنشر ١٩٨٩ ، ص١٠٧ .

الحجاج والتجار الأوروبيين الذين يزورون الأماكن المقدسة ، وبأن يسمح له بإرسال الصدقات إلى كنيسة القيامة ، ولا يستبعد أن يكون الرشيد قد وعد شارلمان بحماية الحجاج والتجار الأوروبيين داخل بلاده ، وأن يكون الخليفة قد وافق على أن يرسل شارلمان التبرعات والصدقات إلى المؤسسات الدينية فى فلسطين »[1] لأنه من غير المنطقى أن يكون من حق شارلمان أن يزعم لنفسه حق السيادة على المسيحيين فى الدولة الإسلامية .

والخلاصة هى أن هذا التحالف بين العباسيين والفرنجة اقتصر فيما يبدو على تبادل السفارات والهدايا دون أن يؤدى إلى تحقيق الغرض المنشود من قيامه ، وهو القضاء على الأمويين بالأندلس ، الأمر الذى يحقق حلم العباسيين والقضاء على الإمبراطورية البيزنطية وتحقيق سيادة شارلمان على كل الإمبراطورية الرومانية الشرقية والغربية بعد توحيدهما ، الأمر الذى يحقق طموحات إمبراطور الفرنجة شارلمان ، وقد رد كل من الأمويين بالأندلس والبيزنطيين على هذا التحالف ضدهما – أيضاً – بتبادل السفارات وتوطيد أواصر الصداقة بينهما ، ولم يؤد هذا التقارب بينهما – أيضًا – إلى القيام بأى عمل عسكرى مشترك ضد العباسيين أو ضد دولة الفرنجة[2] .

علاقات العباسيين مع الأمويين بالأندلس :

لعل من أهم الأحداث المتصلة بالسياسة الخارجية فى العصر العباسى الأول ، هو انفصال الأندلس عن العالم الإسلامى الذى خضع لسلطان

---

(١) سيرة شارلمان . دار حسان للطباعة والنشر ، ١٩٨٩ ، ص١٠٦ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢٥ .

العباسيين ، وقد كانت بلاد الأندلس تموج فى بحر من الخلافات القبلية عندما أعلن بنو العباس بدء دولتهم عام ١٣٢هـ ، وقد قابل العباسيون عدة مشاكل عقب قيام دولتهم صرفتهم عن إخضاع الأندلس لسلطانهم ، فقد كانت الأندلس تعانى الإضطراب الداخلى بين المضرية واليمنية ، حتى استطاع أحد أبناء البيت الأموى ، وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام أن ينشئ لنفسه دولة بالأندلس عام ١٣٨هـ وتلقب هو وبنوه بعده بألقاب الإمارة ، إلى أن أعلن حفيد بعيد له الخلافة فى عام ٣١٦هـ وتسمى بالناصر لدين الله[١] .

لم يرتح العباسيون لهذا النجاح الذى حققه الأمويون فى الأندلس ، ولم يهدأ بال المنصور من ناحية عبد الرحمن الذى عرف فيما بعد بعبد الرحمن الداخل ، فوضع فى سياسته ضرورة القضاء عليه وعلى دولته وإعادة بلاد الأندلس إلى حظيرة العباسيين مرة أخرى ، فاتجه المنصور أول ما اتجه إلى إستغلال الصراع القبلى بين القبائل العربية فى إثارة المتاعب والفتن ضد عبد الرحمن ، لكن عبد الرحمن تنبه لهذا المخطط ونجح فى حل المشاكل الداخلية وفى تسكين العصبية القبلية العربية فى الأندلس[٢] . ولما لم تنجح خطة المنصور فى إثارة العصبية القبلية بالأندلس ضد عبد الرحمن ، لجأ إلى استخدام القوة فاستعان عليه بالأغالبة ، الذين استمالوا رجلاً يسمى العلاء بن مغيث اليَحْصُبى[٣] ، فعبر البحر إليهم ثم عاد ومعه سجل المنصور ، ونزل بساحة باجة فى عام ١٤٦هـ وأجابته اليمانية

---

(١) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٦ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢١ .
(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٨٨ .

والفهرية ، وقد إلتقت قوات عبد الرحمن بالعلاء بنواحى إشبيلية ودارت بينهما عدة معارك فى قرمونة ، أسفرت عن مقتل العلاء وجملة كبيرة من أصحابه بلغت ـ حوالى ـ سبعة آلاف ، ولم يكتف عبد الرحمن بذلك ، فقد أمر فاحتزت رؤس الزعماء ، وقرطت الصكاك فى آذانهم بأسمائهم وأودعت جوالق (أشولة) ، وأوصى عبد الرحمن بعض التجار فعبروا بها إلى القيروان حيث ألقوها هناك[1].

أما العلاء بن مغيث اليَحْصُبى فقد أمر عبد الرحمن بحشو رأسه ملحاً وكافوراً ، وجعل معها لواء المنصور ، ووضعها فى سفط وبعث بها مع واحد من خاصته إلى مكة فى جملة الحاج إلى المنصور ، أثناء أدائه فريضة الحج ، ولما رأى المنصور رأس العلاء أمامه أصابه الذعر وارتاع وقال جملته المشهورة شاهداً فيها على قوة بأس عبد الرحمن : « الحمد لله الذى جعل بيننا وبينه بحراً »[2].

فشلت خطة المنصور الحربية مع عبد الرحمن الداخل ، فعمل بعد ذلك على استمالته بإظهار إعجابه بمقدرته وعزيمته التى جعلته وهو شريد طريد أن يخترق المغاور والصحارى ويتغلب على الصعاب ، وينجح فى تأسيس هذا الملك الواسع فى تلك البلاد البعيدة ، ومن ثم أطلق عليه المنصور لقب (صقر قريش)[3].

لم يظفر المنصور بشىء من وراء سياسة المسالمة مع عبد الرحمن

---

(١) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٧٤ ، عبادة كحيلة : المرجع نفسه، ص٢٠٧ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢٢ .

الداخل ، ففكر فى سياسة التحالف مع دولة الفرنجة للقضاء على عبدالرحمن .

وفى خلافة المهدى بدأت الدولة العباسية تفكر من جديد فى القضاء على عبد الرحمن الداخل ، وقد استفادت هذه المرة من تجاربها السابقة ، فلم تبعث داعية من دعاتها ولا جيشًا من إفريقية لغزو الأندلس ، وإنما اعتمدت على الدهاء والدس ، فقد اتفق المهدى مع بعض ثوار الأندلس من العرب المعارضين للوجود الأموى على أن يعلنوا ثلاث ثورات فى آن واحد فى الداخل ، فينتهز شارلمان ملك الفرنجة الذى كانت تربطه بالخليفة العباسى علاقات ودية الفرصة ويغزو الأندلس ويسقط النظام الأموى[1] .

أما الثوار العرب الذين اعتمد عليهم المهدى فى الأندلس فهم :

١ ـ عبد الرحمن بن حبيب الفهرى الذى ثار بتدمير عام ١٦٢هـ .

٢ ـ سليمان بن يقظان الأعرابى والى برشلونة ، وثار معه بسرقسطة حصين بن يحيى الأنصارى من ولد سعد بن عبادة .

٣ ـ الرماحس بن عبد العزيز الكنانى ، والى الجزيرة الخضراء وقد ثار عام ١٦٤هـ .

بدأ عبد الرحمن بن حبيب الفهرى بالعبور إلى إفريقية ، ثم عاد بجيش كبير من البربر نزل به فى مدينة تدمير ، وبادر بمكاتبة سليمان بن يقظان بالدخول فى أمره ومحاربة عبد الرحمن الداخل والدعاء إلى طاعة المهدى[2] ، وكان سليمان ببرشلونة فلم يجبه ، فاغتاظ الفهرى وقصد بلده

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٧٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص٥٤ .

فيمن معه من البربر ، فهزمه سليمان ، فعاد الفهرى إلى تدمير . كانت مهمة سليمان بن يقظان الزحف إلى سرقسطة وإعلان الثورة مع أحد الثوار العرب وهو حصين بن يحيى الأنصارى ، أما الرماحس فكان عليه أن يعلن ثورته فى جنوب الأندلس فى نفس الوقت حتى يعجز عبد الرحمن الداخل عن القضاء على الثورات جميعًا ، ولكن الثوار لم يتضامنوا فيما بينهم ، واختلفوا فى توقيت حركاتهم(١)، فاستطاع عبد الرحمن الداخل أن يقضى على كل ثورة على حدة .

من ناحية أخرى انسحبت قوات شارلمان بعد أن علم بهزيمة الحملة العباسية ، ورفض حصين بن يحيى الأنصارى فتح أبواب مدينة سرقسطة، بعد أن طمع فى الإنفراد بولايتها .

انسحب شارلمان بجيشه عائداً إلى غالة (فرنسا)، ولكن عبد الرحمن الداخل لم يتركه يرحل فى سلام فقد أثار عليه قبائل البشكنس الناقمين على شارلمان لتخريبه عاصمتهم ، فترصدوا مؤخرة جيشه الكبير وأمطروها بالسهام وكتل الحجارة حتى قضوا على هذه المؤخرة قضاء مبرماً ، وقد قتل عدد كبير من قواد شارلمان وكان أعظمهم قائده رولان (Roland) الذى حزن شارلمان لقتله ، وكان مصرعه موضوع أنشودة من شعر الملاحم الفرنسى تعرف بأنشودة رولان(٢).

هكذا فشلت الخلافة العباسية فى عصرها الأول فى القضاء على دولة عبد الرحمن ، بينما استطاع عبد الرحمن أن يصمد ويكافح لبقاء دولته وأن يتغلب على الصعاب والقوى التى أرادت نهايته .

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٧٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص١٧٩ .

العلاقات بين العباسيين والمغرب الإسلامى :

أسفرت ثورة البربر الكبرى فى أواخر عهد هشام بن عبد الملك عن اضطراب أحوال المغرب ، وقد استغل عبد الرحمن بن حبيب ـ حفيد عقبة بن نافع ـ هذه الفرصة ، فاستقل بإفريقية فى خلافة المنصور ، إلا أن الخوارج الصفرية والإباضية نازعوه سلطانه ، وظلوا على ذلك مع بنيه ، بحيث أصبحت إفريقية من نصيب الصفرية وأصبحت طرابلس والمغرب الأوسط من نصيب الإباضية[1] .

وقد سعى الخليفة أبو جعفر المنصور لرد بلاد المغرب إلى الطاعة ، واستطاعت حملاته المتكررة عليها أن تسترد إفريقية وطرابلس ، ولكنها لم تستطع أن تمنع من قيام بعض الدويلات المستقلة بالمغرب .

فقد شهد المغرب الإسلامى منذ أواخر القرن الثانى الهجرى قيام دويلات مستقلة عن الخلافة العباسية ، ففى المغرب الأدنى بالقيروان قامت دولة الأغالبة ، وفى المغرب الأوسط بتاهرت قامت دولة الرستميين الخوارج الإباضية ، وفى المغرب الأقصى بفاس قامت دولة الأدارسة الحسنيين ، وفى سجلماسة قامت دولة بنى مدرار الخوارج الصفرية ، وجميع هذه الدويلات كانت مستقلة عن الخلافة العباسية باستثناء دولة الأغالبة التى ارتبطت إسمياً بالخلافة العباسية ودانت لها بالطاعة .

وعلى هذا الأساس يمكن التنبؤ بسياسة الدولة العباسية فى المغرب ، مع قيام كل هذه الدول المستقلة وخروجها عن طاعة الخلافة ، فقد كانت سياسة الخلافة سياسة عدائية مع جميع هذه الدويلات ، باستثناء دولة الأغالبة التى كانت سياستها تجاهها ودية[1] .

(١) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٤ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٧٠ .

دولة الأغالبة (١٨٤ـ٢٩٦هـ) :

أراد الخليفة هارون الرشيد أن يقى دولته شر غزوات البربر والأدارسة فساعد على تأسيس دولة الأغالبة بعهد منه عام ١٨٤هـ، على أن يؤدى إبراهيم بن الأغلب أربعين ألف دينار كل عام إلى الخلافة[١]، وكان هدف الرشيد من ذلك أن تكون دولة الأغالبة حاجزاً بين البلاد الخاضعة للعباسيين والقوى غير السنية فى المغربين الأوسط والأقصى ، خاصة بعد تطلع الأدارسة إلى توحيد المغرب والمشرق الإسلاميين تحت قيادتهم[٢] .

وبنو الأغلب أسرة عربية مُضرية من بنى تميم ، حكمت إفريقية طوال القرن الثالث الهجرى ، وأسسها إبراهيم بن الأغلب الذى كان والياً على الزاب وإمارة إفريقية[٣] .

وقد كان إبراهيم بن الأغلب مثل والده ، قائداً من قواد الدولة العباسية فى مصر ، وقد تحققت ولايته على إفريقية بعد صراع طويل بينه وبين واليها السابق محمد بن مقاتل العكى ، الذى كان على علاقة طيبة بالوزير جعفر بن يحيى البرمكى ، لكن ابن الأغلب إستند على حب الرشيد له لإخلاصه للدولة ، كما آنس الرشيد فيه النوعية المطلوبة لمثل هذا العمل الكبير ، فعينه واليا على إفريقية ولاية تفويض عام ١٨٤هـ[٤] .

بدأ إبراهيم بن الأغلب ولايته بالتخلص من وجوه الجند العرب الذين

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٩٣ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٧٣ .
(٣) أحمد رمضان أحمد : حضارة الدولة العباسية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص٩٥ .
(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام و جـ٢ ، ص١٧٣ .

دأبوا على الثورة والوثوب بأمراء إفريقية ، فأبعدهم إلى عاصمة الخلافة بغداد حيث حبسوا هناك بسجونها ، ثم قام ببناء عاصمة جديدة له بعيداً عن القيروان وإضطراباتها ، فوقع اختياره على قطعة من الأرض على بعد ثلاثة أميال جنوب شرقى القيروان وبنى مدينته التى أطلق عليها أول الأمر اسم العباسية(١)، ثم عرفت فيما بعد باسم القصر القديم ، وقد استطاع إبراهيم بن الأغلب أن يتصدى للمهام الخطيرة التى جاء من أجلها ، ففى عام ١٨٦ تعرض لثورة خطيرة بقيادة حمديس بن عبد الرحمن الكندى والى تونس ، وانضم إليه كثير من العرب المستقرين بإفريقية ، وقد استطاع ابن الأغلب القضاء على هذه الثورة وقتل زعيمها ومعه عشرة آلاف من أتباعه ، ودخلت قوات ابن الأغلب تونس لإقرار الأمن بها(٢).

كذلك قام الخوارج الإباضية فى إقليم طرابلس عام ١٨٩هـ بثورة ضد ابن الأغلب استطاع القضاء عليها ، كما قضى على أخطر الثورات ضده والتى جاءت على يد قائده عمران بن مخلد الربيعى عام ١٩٤هـ(٣).

حكم إبراهيم بن الأغلب اثنتى عشرة سنة ، قمع خلالها الثورات بإفريقية وضبط أمور أهلها وكف عنها خطر الخوارج إلى أن توفى عام ١٩٦هـ.

لقد كان الخلفاء العباسيين يؤيدون دولة الأغالبة ويباركون جهاد ابن الأغلب فى حروبه ضد أعدائه ، ولتثبيت مركز حكم ابن الأغلب فى

---

(١) اتخذ هذه التسمية لإظهار ولائه للخليفة العباسى ، والاعتراف بسلطان الدولة العباسية عليه . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٧٣ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٥ .

(٣) أحمد رمضان أحمد : حضارة الدولة العباسية ، ص٩٥ .

إفريقية أرسل له الخليفة الأمين تفويضاً بولاية إفريقية عندما تولى الخلافة بعد وفاة أبيه الرشيد(1) .

خلف إبراهيم بن الأغلب ابنه أبا العباس عبد الله ، فقد أقره الخليفة المأمون على إفريقية مكان أبيه(2) ، وقد جنى عبد الله ثمار ما بذره والده فلم يكن فى أيامه ثورات أو حروب ، بعد أن مهد له أبوه حكم البلاد ، فحكم عبد الله دولة الأغالبة دون أى إضطراب حتى وفاته عام ٢٠١هـ ، فخلفه أخوه زيادة الله الأول الذى لم يرع حقوق الرعية عليه ، فقامت عليه ثورة كبرى بقيادة منصور بن نصير الطنبذى عام ٢٠٨هـ ، وكادت دولة الأغالبة أن تنهار لولا مقتل منصور وانتهاء ثورته عام ٢١١هـ(3) .

وقد استطاع زيادة الله أن يحقق الأمنية التى طالما كان المسلمون يتطلعون إليها منذ عهد معاوية بن أبى سفيان ، ففتح جزيرة صقلية عام ٢١٢هـ ، على يد قائده الكبير أسد بن الفرات ، وقد كان دافع زيادة الله إلى ذلك إشتغال الجند بالجهاد والتخلص من قواد الجند العرب الثائرين ، فضلاً عن إستغلاله للأحوال السيئة التى كانت بالجزيرة ، إذ كان حاكمها البيزنطى يرهق الناس بمطالبة المالية ، مما أدى إلى ثورة أحد القواد ضد هذا الحاكم واستنجاده بالأغالبة (4) ، على أن جزيرة صقلية لم تخضع تماماً للأغالبة إلا فى عام ٢٦٤هـ على يد إبراهيم الثانى الأغلبى(5) ، تاسع أمراء

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٦ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٧٥ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص١٧٦ .

(٤) حسن إبراهيم حسن : المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص١٧٧ .

(٥) أحمد رمضان أحمد : حضارة الدولة العباسية ، ص٩٦ .

البيت الأغلبى وأطولهم حكما[1]، فقد استطاع أن ينقل الحرب والجهاد إلى جنوبى إيطاليا وتدين له صقلية كلها بالولاء والطاعة ، وقد قام إبراهيم عام ٢٦٣هـ بتأسيس مدينة رقادة وانتقل إليها من مدينة القصر القديم ، فأضاف بذلك مدينة عربية بجانب المدن العربية بالمغرب ، وقد استمرت رقادة عاصمة لدولة بنى الأغلب حتى سقوط دولتهم ، كذلك أكمل إبراهيم جامع الزيتونة بتونس وجدده[2].

وفى أواخر عهد حكم إبراهيم بن أحمد الأغلبى ظهر نشاط الشيعة الإسماعيلية على يد أبى عبد الله الشيعى داعى دعاة الفاطميين بالمغرب ، ولم ينجح الشيعة الإسماعيليون فى الاستيلاء على رقادة وإفريقية إلا بعد أن تنازع أفراد البيت الأغلبى على الحكم ، ودبر آخر الأغالبة المعروف باسم زيادة الله الثالث (٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ) مؤامرة قتل فيها والده ليرث ملكه ، وانتهى أمر الأغالبة بسقوط دولتهم عام ٢٩٦هـ على أيدى الشيعة الإسماعيلية وانضمت دولتهم لدولة الفاطميين[3].

٢ ـ دولة الأدارسة بمراكش (١٧٢ ـ ٣٧٥هـ) :

كانت موقعة (فخ) التى وقعت فى عهد الخليفة الهادى عام ١٦٩هـ بعيدة الأثر فى تاريخ العلويين والعباسيين ، فقد هرب منها رجلان من العلويين أصبحا شوكة فى خلق الخلافة فيما بعد ، أولهما يحيى بن عبد الله

---

(١) حكم إبراهيم من عام ٢٦١هـ إلى عام ٢٨٩هـ. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٧١ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٧ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٨٠ ؛؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٩٥ .

الذى ثار فى بلاد الديلم فى عهد هارون الرشيد ، وثانيهما أخوه إدريس بن عبد الله الذى نجح فى الفرار إلى المغرب مع مولاه راشد ، لينشئ دولة (علوية) مناهضة للخلافة فى وليلى عام ١٧٢هـ[١].

لقد وافق وصول إدريس إلى المغرب نشاط الحركة الاستقلالية فى هذه البلاد ، كما وافق احتدام الصراع فيها بين القوات العباسية وقوات الخوارج ، واستطاع إدريس أن يضم حوله قبائل البربر (زناته ـ زراعة ـ مكناسة ـ صنهاجة) الذين وجدوا فيه ثائراً على الخلافة التى يضمرون الكره لها ، كذلك مثل إدريس فى نظرهم روح الإسلام التى لا تقر الظلم ، كما أرضى بنسبه (العلوى) الشريف عاطفتهم الدينية ، فلقى منهم العون والتأييد فى تأسيس دولته[٢].

وكان إدريس فى بداية قدومه إلى المغرب الأقصى ، قد نزل على قبائل أوربه من البربر البرانس ، واستطاع أن يبين حقه فى الخلافة لزعيمها إسحاق بن محمد ، الذى أيده ووافقه وجمع له زعماء أوربه فبايعوه بالإمامة[٣]، ثم تبع ذلك حركة دعاية واسعة له بين القبائل وقصده الناس من كل مكان ، لتبدأ المرحلة الأولى فى تأسيس الدولة الإدريسية عام ١٧٢هـ التى حكمت بلاد المغرب قرابة قرنين .

وضع إدريس النواة الأولى لمدينة فاس[٤] عام ١٧٣هـ، وأتمها ابنه من

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٧ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٨٢ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٩٦ .
(٤) وقد قيل فى تفسير اسم فاس عدة أقوال منها : أن إدريس الثانى كان يشارك العمال فى البناء ، فصنعوا له فأساً تليق به من ذهب أو فضة ، فصارت هذه الفأس علماً وصاروا =

بعده إدريس الثانى بعد أن انتقلت إليها بعض القبائل العربية[1] .

لقد أثار نجاح إدريس مخاوف الخليفة العباسى هارون الرشيد و خاصة بعد أن علم دخول البربر فى طاعته وافتتاحه مدن المغرب الأقصى بسيفه (تامستا ـ تادلاونج ـ تلمسان) ، كما خاف أن يقضى الأدارسة بفضل دعوتهم على النفوذ العباسى فى إفريقية وطرابلس أو أن تمتد إلى مصر[2] ، لذلك فكر الرشيد فى ضرورة التحرك للقضاء على الخطر الإدريسى قبل أن يستفحل ، وقد أراد الرشيد أن يوجه إليه جيشًا كبيراً للقضاء عليه ، ولكن بعد المسافة بين بغداد والمغرب ووجود الدولة الرستمية المستقلة من ناحية أخرى ، جعله يتراجع عن هذه الفكرة ، ثم انتهى رأى الرشيد ووزيره يحيى البرمكى إلى استخدام الحيلة والدهاء للتخلص من إدريس ، فاختار لهذه المهمة رجلاً يدعى سليمان بن جرير ، لقب بالشماخ[3] ، فمضى إلى المغرب وتقرب إلى إدريس حتى أمن له ثم دس له السم فمات فى ربيع الأول من عام ١٧٥هـ[4] .

هكذا استطاع الرشيد ويحيى البرمكى التخلص من إدريس ، ولكن إدريس توفى وقد ترك جارية له تدعى (كنزة) وكانت حاملاً ، فأشار

- يتداولونها فاطلق اسمها على المدينة فسميت بذلك فاس ، وقيل إنهم وجدوا أثناء حفر أساس المدينة فأساً كبيراً من صنع الأوائل فسموا بها المدينة فاس .
محمد بركات البيلى : صفحات من تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص١١٥ .

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٢ ، ص١٨٣ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٩٦ .
(٣) محمد بركات البيلى : صفحات من تاريخ المغرب والأندلس ، ص١١٧ .
(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذه الواقعة انظر : السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص١٩٧ ، ١٩٨ .

مولاه راشد على زعماء البربر بضرورة الانتظار حتى تضع الجارية حملها، فإذا جاءت بمولود ذكر بايعوه ، فلما أتمت كنزة حملها وضعت غلامًا أشبه الناس بأبيه إدريس فأسماه راشد إدريس الثانى ، وقام على تنشئته خير نشأة ، حتى يكون خير وريث لأبيه ، فلما بلغ الغلام إدريس الثانى الحادية عشر من عمره ، أخذ له راشد البيعة على قبائل المغرب عام ١٨٦هـ[١].

ويعتبر إدريس الثانى هو المؤسس الحقيقى لدولة الأدارسة بالمغرب ، فقد عمل على نشر العروبة بالمغرب ، ففى عام ١٨٩هـ إنهالت عليه أفواج الهجرات العربية من إفريقية والأندلس ، ففى نفس العام استقبل فى احتفال كبير ، خمسمائة فارس من زعماء القبائل العربية ممن ينتمون إلى قبائل قيس والأزد ومذحج ، والذين كانوا ساخطين على الأغالبة بإفريقية والأمويين بالأندلس ، وقد اعتبر إدريس وفودهم إليه مكسبًا كبيرًا خصوصًا إذا أدركنا أن شعوره وهو العربى بالعزلة فى الوسط البربرى الذى أحاط به دفعه إلى استغلال وجود العرب فى تكوين بلاطه العربى ، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدى وولى على الكتابة أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى ، وأسند القضاء إلى عامر بن محمد بن سعيد القيسى .

لما كثرت حاشية إدريس وأنصاره من العرب ، وضاقت وليلى بهم وبمن وفد عليه أسس لهم ربض القرويين من مدينة فاس فى عام ١٩٢هـ، ثم انتقل من المنطقة التى عرفت فيما بعد بعدوة الأندلسيين إلى عدوة القرويين حيث بنى دار القيطون وأسس بجوارها جامع الشرفاء بفاس [٢].

---

(١) محمد بركات البيلى : صفحات من تاريخ المغرب والأندلس ، ص١١٨ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢٠٢ .

قام إدريس الثانى بعدة جولات حارب فيها بقايا الخوارج وانتصر عليهم فانضموا تحت لوائه ، توفى إدريس الثانى عام ٢١٣هـ ، وقد بلغ من العمر السادسة والثلاثين ، بعد أن حكم خمسة وعشرين عامًا ، استطاع خلالها أقامة دولة قوية مستقرة لابنه وخليفته محمد بن إدريس الثانى[١].
لم يحافظ محمد بن إدريس الثانى على وحدة الدولة الإدريسية ، بل قسمها بين أخوته ، فقد قام بتوزيع الدولة على ثمانية من إخوته البالغين ، وجعلهم على رأس الولايات المختلفة من السوس الأقصى إلى تلمسان ، ووهران فى المغرب الأوسط[٢]، وقد خطى محمد بذلك الخطوة الأولى نحو إضعاف الدولة الإدريسية ، إذ كثيراً ما تمرد عليه بعض إخوته فى محاولة للاستقلال عن سلطته العليا .

ظل محمد بن إدريس الثانى إمامًا للأدارسة حتى توفى بفاس عام ٢٢١هـ وتولى الإمامة بعده ابنه على الملقب بحيدرة ، وكان فى سن التاسعة ، فقام بأمره الأولياء والأوصياء ، لكنه توفى فى الثانية والعشرين من عمره عام ٢٣٤هـ ، فتولى من بعده أخوه يحيى بن محمد ، الذى يعد من أعظم حكام الأدارسة بعد إدريس الثانى ، فقد استقرت الدولة فى عهده وازدهرت واتسع عمران فاس ، وبنى فيها جامع القرويين وجامع الأندلسيين[٣].

وفى أيام يحيى ظهر الفاطميون فى شمال إفريقية الذين أخذوا يمدون نفوذهم نحو المغرب حتى وصلوا إلى بلاد الأدارسة واقتطعوا أجزاء منها ،

---

(١) محمد بركات البيلى : صفحات من تاريخ المغرب والأندلس ، ص١١٩ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٢ .
(٣) محمد بركات البيلى : المرجع السابق ، ص١٢٠ .

ووقعت دولة الأدارسة آنذاك بين قوتين ، الفاطميون فى إفريقية والأمويون فى الأندلس ، وكان الأمويون قد بدأوا فى عهد عبد الرحمن الناصر يتجهون بنفوذهم إلى المغرب الإفريقى .

أمام هذا الضغط من الجانبين تقهقر نفوذ الأدارسة إلى منطقة الريف دون الساحل ، لكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلاً أو الاحتفاظ باستقلالهم فزال ملكهم على يد الفاطميين عام ٣٧٥هـ[1].

العلاقات بين العباسيين ودول جنوب شرق آسيا :

فتح العصر الأموى للحضارة العربية الإسلامية آفاقًا جديدة مطلة على آسيا الوسطى بعد فتوح ما وراء النهر ، كما فتح آفاقًا أخرى مطلة على المحيط الهندى بعد فتح السند ، واستيلاء العرب على الميناءين الهامين على ساحل الهند الغربى : ميناء الدبيل والمنصورة[2]، فقد بدأت البحرية العربية للمرة الأولى فى بسط نفوذها وتأكيد سلطانها فى هذه المناطق المهمة ، لكن خلفاء العصر الأموى لم يستطيعوا أن يستغلوا هذه الآفاق الجديدة التى اطلت منها الحضارة العربية الاستغلال الأمثل ، فقد وقفت جهودهم عند المناطق التى انتهوا إليها ، وكان التركيز الأموى وثقل الدولة كله منصبًا فى بلاد الشام ومصر ثم المغرب والأندلس والبحر المتوسط بصفة عامة[3].

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٣ .

(٢) أسس الحكم بن عوانة ميناء المنصورة على شاطئ السند ، وقد صارت المنصورة من أهم الحواضر والموانئ للمسلمين فيما بعد . عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٦٥ .

(٣) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص١٧٩ .

ومع قيام الدولة العباسية بدأ العباسيون يتطلعون إلى هذه الآفاق التى توقف الأمويون عندها ، وعملوا على توسيع رقعتها وتأمين حدودهم مع شرق آسيا .

١ ـ مع الترك :

كانت سياسة الدولة العباسية نحو جيرانها من الترك سياسة سلمية ، وقد آثر العباسيون السلم فى هذه النواحى الشرقية لأنهم وجدوا من جيرانهم الترك تقبلاً للدعوة الإسلامية ، بعد أن بذل الأمويون جهوداً طيبة لنشر الإسلام فى بلاد ما وراء النهر ، وقد قام العباسيون بدور فى انتشار الإسلام لا يقل عن دور الأمويين ، فقد صحب قيام الدولة العباسية ظهور أطماع صينية سافرة فى الأقاليم الشرقية الواقعة على أطراف إقليم ما وراء النهر ، وهذه الأطماع لم تكن سياسية وإنما كان الهدف منها السيطرة على طرق القوافل التى تعبرها متاجر الشرق الأقصى ، إلى بلاد ما وراء النهر والشرق الأدنى الإسلامى وأوروبا[١] .

وقد تمثلت الأطماع الصينية فى قيام الصينيين بغزو أطراف بلاد ما وراء النهر ، ومهاجمتهم لإقليم الشاش ، فيذكر ابن الأثير فى أحداث عام ١٣٣هـ « أن إخشيد فرغانة نازع ملك الشاش ، فاستمد إخشيد ملك الصين فأمده بمائة ألف مقاتل ، وحاصروا ملك الشاش فنزل على حكم ملك الصين »[٢] . وعندئذ سيَّرَ أبو مسلم الخراسانى لمحاربتهم القائد العباسى زياد بن صالح الخزاعى فى جيش من المسلمين فهزمهم وقتل منهم أعداداً كبيرة

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢٠٨ .
(٢) الكامل ، جـ٥ ، ص٤٤٩ .

فى معركة على نهر طراز ، وأرغمهم على الإنسحاب إلى الصين ، ويذكر البعض أن عدد القتلى من الصينيين بلغ خمسين ألفاً خلاف عشرين ألف تم أسرهم[١].

وفى عام ١٣٤هـ غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كش ، فقتل ملكهم واستولى منهم على عدد من « الأوانى الصينية المنقوشة المذهبة ما لم ير مثلها ، ومن السروج ومتاع الصين كله من الديباج والطرف شيأ كثيراً »[٢].

ولكن هذين النصرين لم يضعا حداً لأطماع الصين ، فقد عاودوا الظهور ، وقاموا بمحاولة أخرى لإثارة الحكام الوطنيين فى بلاد الترك على العرب ، ولكن هذه المحاولة فشلت ، ونتج عن ذلك أن الصين خرجت من ميدان المعركة بين العرب وبين الترك فى شرق بلاد ما وراء النهر[٣]، وأصبح لزامًا على هذه الشعوب التركية أن تعتمد على نفسها فى مهاجمة العرب ، بعد أن تفرقت وحدة الترك ، وانقسمت بلادهم إلى إمارات صغيرة متناثرة حول حدود إقليم ما وراء النهر ، ولم تعد جموع الأتراك الشرقيين تشكل خطراً على أقليم ما وراء النهر .

وقد عمد العباسيون إلى بناء الأسوار والقلاع قرب بخارى ، وفى بلاد الشاش لحمايتها ضد غارات قبائل الأتراك الشرقيين فى جميع بلاد التركستان ، ووسط آسيا ، وكان لتمكين نفوذ العباسيين السياسى فى بلاد ما وراء النهر أثره الكبير فى حالة الأمن التى سادت هذه المناطق ، مما أتاح

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢٨ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص٤٥٣ .
(٣) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢٠٩ .

الفرصة وساعد بطريقة غير مباشرة على إمتداد الإسلام وانتشاره ، وقد تابعت الخلافة العباسية سياسة بسط النفوذ من آن إلى آخر مع سياسة نشر الإسلام ، ففى عهد المنصور هاجمت القوات الإسلامية إمارة فرغانة واضطرت أميرها إلى طلب الصلح ودفع الجزية ، وتابع المهدى سياسة المنصور بإرسال حملة بقيادة أحمد بن أسد إلى إقليم الصغد وفرغانة ، ونجحت هذه الحملة فى تحقيق أغراضها وإعلان أمراء هذه الولايات الخضوع لطاعة العباسيين(١) .

وفى عهد الرشيد أرسلت حملة أخضعت ملك أشروسنة لنفوذ المسلمين، وقد جنت الدولة العباسية ثمار هذه الانتصارات فى عهد الخليفة المأمون ، فقد أرسلت بلاد الصغد وأشروسنة وفرغانة سفرائها إلى بلاط المأمون لتقديم فروض الطاعة ، وبذلك أمتد وثبت النفوذ الإسلامى بالفعل فى هذه البلاد إلى حدود سور الصين العظيم(٢) .

وقد واصل العباسيون سياسة دعم هذا الاستقرار السياسى عن طريق اصطناع العنصر التركى فى الجيش وفى الإدارات ، فأنشأ الفضل بن يحيى البرمكى فرقة تركية فى خراسان بلغ عددها نحو ٥٠ ألف مقاتل ، سير منهم إلى بغداد ٢٠ ألفاً عرفوا باسم الفرقة العباسية(٣) ، كما ضم جيش طاهر بن الحسين الذى حارب مع المأمون حوالى سبعمائة رجل من الخوارزمية الشجعان .

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٢٨ .
(٢) عطية القوصى : المرجع السابق ، ص١٢٩ .
(٣) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٧٦ .

ولقد أستن المأمون سنة جديدة حينما دعا كثيرين من زعماء الترك إلى الدخول فى خدمته ، كما دعا زعمائهم إلى بغداد وأغدق عليهم ، كذلك أشرك المأمون فرسان الترك فى الحرس الخليفى لأول مرة[1]، واستمر هذا التقليد قائمًا فى عهد المعتصم الذى كان يميل إلى الترك ، لأن أمه كانت جارية تركية ، فكان فى حرسه قواد من أقاليم الصغد وفرغانة وأشروسنة والشاش ، وكلها من أقاليم بلاد ما وراء النهر ، بالإضافة إلى رغبة المعتصم من الحد من نفوذ العرب والفرس فى آن واحد وإيجاد نوع من التوازن بين القوتين باستخدام العنصر التركى[2]، ولا شك أن كل هذا قد قرب بين الأتراك وبين الإسلام فساعد على انتشاره من ناحية ، كما ساعد على تثبيت السيادة الإسلامية فى البلاد من ناحية أخرى ، فقد تبع انتشار الإسلام فى بلاد ما وراء النهر ووسط آسيا ، سير الثقافة الإسلامية فى طريقها المرسوم ، فلم تعد هذه الثقافة ثقافة الوافدين من العرب ، إنما صارت ثقافة أهل البلاد الذين توطن الإسلام والعربية بينهم ، والذين بدأوا بعد تعلمهم العربية ، يضيفون الكثير إلى النتاج الحضارى الإسلامى[3].

وإذا كانت مدارس ما وراء النهر قد ازدهرت فى عهد الطاهريين والسامانيين ، حينما برزت بخارى وسمرقند كمراكز للعلم والثقافة الإسلامية ، فليس من شك أن الخطوات الأولى التى أدت إلى هذا التطور قد نمت فى القرنين الثانى والثالث الهجريين أيام تبعية هذه البلاد للخلافة العباسية .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٤٢٠ .
(٢) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢١١ .
(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٣٠ .

ومن الممكن أن نكشف عن الجهود التى بذلها أعلام الإسلام والحضارة الإسلامية من أهالى بلاد ما وراء النهر إذا درسنا ، كتب الطبقات كطبقات الحفاظ والفقهاء والقراء واللغويين والنحاة والمفسرين والأطباء وغيرها ، لنجد مادة غزيرة فى هذه الكتب تلقى الضوء على الجهود المشكورة التى بذلها علماء هذه البلاد المسلمين مثل الأئمة : البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة وأبو داود ، والفراء والفارابى والشيخ الرئيس ابن سينا ، والطبرى والخوارزمى والبيرونى وغيرهم من أعلام الحضارة الإسلامية[1] .

٢ - مع الهنود :

استطاع الأمويون فتح بلاد السند أيام الوليد بن عبد الملك ، بفضل الجهود التى بذلها القائد محمد بن القاسم الثقفى ، ولكن تقلص ملك المسلمين فى السند فى عصر هشام بن عبد الملك وارتد عدد كبير من الهنود إلى الهندوكية ، خاصة بعد عزل محمد بن القاسم ومصرعه ، فقد استطاع ملك السند أن يدخل العاصمة وأن يستردها[2] .

أدرك الأمويون أن تمكين الفتح العربى للسند لا يمكن أن يتم بدون إنشاء قواعد عربية ، تمتد فى البلاد لتكون مراكز لتجمع العنصر العربى ، وقلاعًا حصينة تحمى المكاسب التى أحرزوها ، من أجل ذلك بنى الحكم ابن عوانة مدينتى المحفوظة والمنصورة على شاطئ السند[3]، وبفضل

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٣١ .
(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٦٥ .
(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص٤٣١ .

هذين المصرين استقرت الأمور نوعاً ما ورضى الهنود بحكم العرب وقضى على الفتن والثورات[1].

ولم يكن العصر العباسى ، عصر تجميد للفتوحات ، فقد اندفع العباسيون فى تيار الفتح بنفس قوة الأمويين ، فيشير البلاذرى إلى أنه فى عهد المنصور ، قام القائد هشام بن عمرو التغلبى بفتح ما استغلق من السند وتمكن عمرو بن جمل من استرجاع قشمير ، وفتح الملتان والقندهار فى السفن ، وهدم البد[*] وبنى فى موضعه مسجداً ،[2].

وفى عهد المهدى جدد العباسيين غزوهم لبلاد الهند عام ١٥٩هـ، فحاصروا مدينة باريد بالمنجنيق وفتحوها عنوة ، وأشعلوا النار فى تمثال بوذا واعتنق الإسلام عدد كبير من الهنود[3].

وفى عصر المأمون والمعتصم تابع العباسيون توسعهم شرقًا ، فانتشر الإسلام فى المناطق الواقعة بين كابل وقشمير والملتان ، وأسس المسلمون فى ولاية عمران بن موسى مدينة البيضاء وأسكنوها بالجنود ، وفتح عمران – أيضًا – مدينة قندابيل ، ومازالت الفتوحات تتوالى فى بلاد الهند حتى سيطر المسلمون على البلاد الواقعة بين كابل وكشمير والملتان[4].

---

(١) حسن أحمد محمد ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٧٧ .

(*) البد : معبد الهنود فى بلاد البنجاب . عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٨ .

(٢) فتوح البلدان ، ص٤٣١ .

(٣) عبادة كحيلة : المرجع السابق ، ص٢٠٨ .

(٤) عصا الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٦٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢١٢ .

٣ - مع الصينيين :

العلاقات بين الصين والمسلمين علاقات قديمة بدأت منذ العصر الأموى ، فقد دخل الإسلام إلى الصين عن طريق بعض التجار الذين كانوا يسلكون الطريق البحرى ، الذى يبدأ من البصرة حيث كانت تقلع السفن حاملة البضائع من الأبلة إلى الصين ، مارة بعمان ومسقط والبحرين وهرمز بخليج فارس ، ثم ترسوا السفن فى ملابار وسيلان (سرنديب) وسومطرة وجاوة وتنج كنج (تنكين) ، وكانت أهم مدن الصين المفتوحة لتجارة العرب آنذاك كانتون ، والتى كانت تعرف فى المصادر العربية باسم خانقو أعظم مراكز التجارة فى الهند الصينية[١]، وكانت الرحلة من مسقط إلى كانتون تستغرق حوالى ١٢٠ يوماً عدا فترات التوقف فى الموانى[٢].

وقد تزايد اهتمام العباسيين بالشرق الأقصى والصين فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ، فكانت هناك بعض الجاليات الإسلامية بالصين ، والتى تمتعت بامتيازات خاصة ، ومعظم هذه الجاليات كانت من التجار الذين كانوا يحملون من الصين المسك والكاغد والفخار والدار صينى، ومن ملبار كانوا يأتون بخشب الساج الذى كان يستخدم فى عمارة المنازل وفى صناعة السفن .

وقد أدى كل ذلك إلى قيام علاقات تجارية بين المسلمين والصينيين فى العصر العباسى ، فضلاً عن وقوع عدد من صناع الورق الصينيين فى

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول ، ص٢١٢ .

(٢) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٨٤ .

أيدى المسلمين ، فادخلوا هذه الصناعة إلى العالم الإسلامى ، ثم امتدت ـ بعد ذلك ـ بفضل العرب إلى أوروبا .

وفى عهد الخليفة المنصور طلب ملك الصين عونه فى نزاع نشب على العرش ، فأرسل إليه الخليفة فرقة من المسلمين أعانته على التوطيد لنفسه ، وقد استقر هؤلاء المسلمون فى البلاد بجانب الجالية الإسلامية هناك ، ولم يعودوا إلى أوطانهم ، وتزاوجوا مع الأهلين وأسهموا بدور عظيم فى نشر الإسلام[1] .

---

(١) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٠٨ .

الفصل الخامس

العصر العباسى الثانى

(٢٣٢ ـ ٦٥٦هـ)

الفصل الخامس

العصر العباسى الثانى

(٢٣٢ - ٦٥٦هـ)

اعتبر عام ٢٣٢هـ - وهو عام وفاة الخليفة الواثق بالله - هو نهاية العصر العباسى الأول وبداية العصر العباسى الثانى الذى انتهى عام ٦٥٦هـ لدى سقوط الخلافة على أيدى المغول .

وقد جرت العادة على تقسيم العصر العباسى الثانى إلى أربعة عصور :

١ - عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢ - ٣٢٤هـ)
٢ - عصر إمرة الأمراء (٣٢٤ - ٣٣٤هـ)
٣ - عصر بنى بويه (٣٣٤ - ٤٤٧هـ)
٤ - العصر السلجوقى (٤٤٧ - ٦٥٦هـ)

كانت بداية العصر العباسى الثانى بخلافة المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧هـ)، إيذاناً ببدء ضعف الدولة العباسية حتى انتهى بها الأمر لتكون نهباً للغزو التترى عام ٦٥٦هـ، ولم يأت هذا الضعف من فراغ فقد كانت له عدة أسباب نجملها فى بعض النقاط قبل الحديث عن كل فترة فى العصر العباسى الثانى :

١ - أدى اعتماد العباسيين على الفرس فى بادئ أمرهم ، ثم تحولهم للأتراك فى عهد المعتصم وإيثارهم بالمناصب الكبرى فى الدولة ، أن فقد العباسيون عصبيتهم وطغى عليهم الأعاجم والأتراك .

٢ - كان إيثار العباسيين لغير العرب سبباً لتخلى أبناء العروبة والإسلام -

من العرب ـ عن العباسيين ، فضلاً عن اجتماع قلب بعضُهم على مناوئيهم من العلويين .

٣ ـ كان للعناصر المناوئة والخارجة عن جادة الدين الحنيف كالملاحدة والزنادقة والحركات الفارسية الهدامة أثر بالغ ، فى تقويض دعائم الدولة العباسية ، فضلاً عن الإضطرابات والفتنة التى أثارها المتكلمون من المعتزلة وغيرهم ، والتى تركت فى نفوس العامة من المسلمين أثراً سيئاً تجاه الخلفاء العباسيين .

٤ ـ كان لتدهور نفوذ الخلفاء العباسيين أنفسهم ، وضياع هيبتهم وتعرضهم للإهانة والتعذيب والقتل فى بعض الأحيان ، أثره المباشر على سلطة وقوة الخلافة ، إذ تجرد معظمهم من كل سلطان ولم يبق لهم إلا السيادة الشكلية ، والزعامة الروحية ، وانتقلت سلطة الحكم الفعلية فى عاصمة الخلافة ، على التوالى إلى : قادة الأتراك ثم الفرس البويهيين ، ثم الأتراك السلاجقة .

٥ ـ لم يقتصر تدهور نفوذ الخلفاء على دار الخلافة ، بل تعداها إلى سائر أرجاء الدولة العباسية ، فاستقل ولاة الولايات وحكامها بها وأقاموا لهم دولاً مستقلة فى المشرق والمغرب ، ولم يبق حكام هذه الولايات والأقاليم من مظاهر التبعية الرسمية لدولة الخلافة إلا رابطة الولاء الدينى والتبعية الروحية والمذهبية ، والتى تمثلت فى الدعاء للخليفة على المنابر يوم الجمعة ، ونقش اسمه على السكة (العملة) إلى جانب اسم الوالى ، وذلك كله فى مقابل إرسال الخليفة لهؤلاء الحكام المستقلين كتاب التقليد بالولاية .

٦ ـ كان أيضاً من أسباب ضعف الخلافة فى العصر العباسى الثانى تدهور النفوذ والهيمنة الدينية والروحية للخلفاء فى العالم الإسلامى ، إذ لم

يصبحوا الخلفاء الوحيدين لزعامة هذا العالم روحياً ، فقد كان هناك من شاركهم فى هذه الزعامة بعد قيام خلافتين أخريين فى بلاد المغرب ومصر والأندلس ، وهما الخلافة الفاطمية والخلافة الأموية بالأندلس ، فأصبح هناك ثلاث خلافات تتصارع الزعامة على العالم الإسلامى وتتنافس فيما بينهم لتنفرد إحداهما بالسيادة الروحية ، الأمر الذى أضعف من هيبة الخلفاء العباسيين فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت، وقد أدى انقسام الزعامة الروحية والعداء المذهبى بين هذه الخلافات إلى تفكك الدولة ، وإلى إضعاف المسلمين بصفة عامة ، فترتب على ذلك طمع الأعداء من الصليبيين والمغول فى الدولة وانهيارها .

ظهور العنصر التركى:

عرف العرب الأتراك بعد فتح بلاد ما وراء النهر على يدى قتيبة بن مسلم الباهلى فى العصر الأموى ، وقد عرفوا فيهم عنصراً محارباً من الطراز الأول . وقد تمتع الأتراك فى العصر الأموى ببعض الحقوق والإمتيازات ، إذ أشركهم العرب فى الجندية وفى غزو ما وراءهم من بلاد الترك الكفار ، كما ظل ملوكهم على نظامهم فى الحكم مع ولائهم للسلطة العليا للحكم الأموى .

بدأ الأتراك يظهرون على مسرح الأحداث فى بغداد على عهد الخليفة المأمون ، فقد رأى المأمون أن يوجد نوعًا من التوازن بين العنصرين الكبيرين ـ الفرس والعرب ـ فبدأ يستخدم المحاربين من الأتراك وأخذ يلحق بعضهم بفرق الجيش .

وقد سار خلفاء المأمون على نفس سياسته ، وأرادوا إستغلال هذه

العصبية الجديدة ومواهبها الحربية للحفاظ على دولتهم والإبقاء على خلافتهم[1].

وفى عهد المعتصم استخدم الأتراك ـ أيضًا ـ فى الجيش على نطاق أوسع ، ففى عام ٢٢٠هـ إستقدم قومًا منهم من مدن : بخارى وسمرقند وفرغانة وأشروسنة وغيرها من منطقة التركستان وما وراء النهر ، فيذكر المسعودى : « اشتراهم وبذل فيهم الأموال ، والبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب ، وأمعن فى شرائهم حتى بلغت عدتهم ثمانية عشر ألفًا»[2]، وقد ازداد عددهم بعد ذلك حتى بلغ سبعين ألفًا[3]، وكان الأتراك فى بدايتهم يتكلمون التركية ثم أخذوا فى تعلم العربية وأتقنوها ، كما حرص المعتصم على أن تبقى دماؤهم متميزة ، فجلب لهم نساء من جنسهم ليتزوجوهم ومنعهم من أن يتزوجوا من غيرهن[4].

كان هناك عدة أسباب وراء إعتماد المعتصم على الأتراك والإستكثار منهم ، منها أن أمة كانت جارية تركية من إقليم الصغد تسمى ماردة ، كذلك إعجابه بشجاعتهم وقوة بنيانهم ، وجمال أشكالهم لذلك إتخذ منهم أربعة آلاف ليكونوا حرسه الخاص ، كذلك قيل أن من أسباب ميل المعتصم للترك ، أنه فقد الثقة فى جند العرب والفرس ، ذلك لأن العرب كان قد ضعف شأنهم وتفرقت قوتهم مع نهاية الدولة الأموية ، أما الفرس فقد كان

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣١٤ .
(٢) مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٥٣ .
(٣) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٣١٤ .
(٤) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، جـ١ ، ص٥ .

هواهم مع العباس بن المأمون لأن المأمون أمه فارسية ، وكان مقاتلو الفرس قد شغبوا على المعتصم فى بداية حكمه ، ونادوا بالخلافة للعباس بن المأمون وخلع المعتصم ، وقد تصدى المعتصم لهم وأخمد تمردهم ، وقبض على العباس وسجنه وسجن أبناء المأمون جميعهم ، وظلوا فى حبسهم حتى الموت كما قتل كل من شارك فى مؤامرة خلعه(١) .

استكثر المعتصم من الأتراك واستفاد من القوة العسكرية التى أنشأها فى القضاء على الأخطار التى تعرضت لها دولته فى الداخل والخارج ، فقد استطاع بهم القضاء على ثورة الخرمية ، كما استفاد منهم فى محاربة البيزنطيين وكف أذاهم عن دولته وتأمين حدوده بهم من غاراتهم المتتالية فأصبحت له اليد الطولى بسببهم على البيزنطيين المتربعين على الحدود(٢) .

وبرغم إستفاده المأمون من تكوين الجيش التركى إلا أن خطر هذا الجيش سرعان ما ظهر على المجتمع الإسلامى ببغداد ، فقد جاء الأتراك ومعهم صفاتهم التى نشأوا فيها ، فقد كانوا فى بلادهم يعيشون حياة البداوة والخشونة ، التى أكسبتهم قوة فى البدن ومرانا وتمرسًا على الفروسية والقتال ، وقد انعكس ذلك على معاملتهم مع الناس ، فزاد سخط أهالى بغداد عليهم وعلى المعتصم ، فقد كانوا يجرون خيولهم فى أسواق بغداد وسككها فى تهور بالغ ، يؤدى إلى إيذاء الأطفال والنساء والشيوخ ، فبلغ ضيق أهل بغداد بهم أن شكوا إلى المعتصم وتهددوه بالدعاء عليه فى صلاتهم ، يذكر ابن طباطبا : « ركب المعتصم يوماً فلقيه رجل شيخ ، فقال

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص٣٤٣ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٣٩ .

للمعتصم : يا أبا إسحاق ! فأراد الجند ضربه ، فمنعهم المعتصم وقال له : مالك يا شيخ ؟ فقال : لا جزاك الله خيراً عن الجوار ! جاورتنا مدة فرأيناك شر جارٍ ، جئتنا بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك فأسكنتهم بيننا ، فأيتمت بهم صبياننا ، وأرملت نساءنا ، والله لنقاتلنك بسهام السحر ! يعنى الدعاء،[1] فخاف من قوله وسار إلى موضع سامراء فبناها ، وانتقل إليها مع جنده ، وبذلك إنتقلت دار الخلافة من بغداد إلى هذه المدينة الجديدة ، التى ما لبثت أن عظمت عمارتها وكثر عمرانها ، وانتقل إليها طوائف الحرف والصناع والتجار ، وهو ما كان له أثر كبير على بغداد من الناحية الاقتصادية والعمرانية ، لذلك إشتد ـ مرة أخرى ـ كره أهل بغداد للأتراك ورأوا فى مجيئهم شؤماً عليهم سواء فى إقامتهم أو بعد ترحالهم[2].

وزاد تمكين المعتصم للأتراك حين أسقط الجند العرب من الديوان (ديوان الجند) عام ٢١٨هـ وقطع عن الجنود العرب أعطياتهم هم وأسرهم ، وأحل الترك مكانهم وقربهم إليه وخصهم بالنفوذ بعد أن قلدهم قيادة الجيش، وجعل لهم مركزاً فى مجال السياسة حتى برز منهم بعض الشخصيات القيادية أمثال : إيتاخ ، وأشناس ، ووصيف ، والأفشين[3] ولا شك أن الأتراك لعبوا دوراً مهماً فى حماية الدولة وكانوا سندها فى حروبها وفى القضاء على الثورات التى قامت ضدها ، فهم كانوا عماد الجيش فى غزوة عمورية ، وإليهم يرجع الفضل فى الانتصار الذى حققه المعتصم

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٣١ .

(٢) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣١٦ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٤٠ .

على الروم ، كما استطاع الأفشين[1] (حيدر بن كاوس) القضاء على ثورة بابك الخرمى بعد أن ظل على حربه لمدة سنتين ، حتى استطاع أن يقهره ويحمله إلى سامراء أسيراً ، وقد رفع هذا الحادث من مقام الأفشين عند المعتصم الذى خلع عليه ورفع منزلته ، فيذكر المسعودى : « وتوج المعتصم الأفشين بتاج من الذهب المرصع بالجواهر ، وإكليل ليس فيه من الجواهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين»[2].

لقد كان للمكانة التى وصل إليها الأتراك فى عهد المعتصم أثر كبير فى بداية ظهور نفوذهم وطموحاتهم ، فقد بدأ بعضهم يتجه إلى تكوين دولة خاصة يحكمها ، سواء تحت ظل الخلافة أو منفصلاً عنها ، كما طمح بعضهم إلى الإستئثار الكامل بشئون الحكم فى عاصمة الدولة ، فقد استغل الأفشين المكانة التى وصل إليها فى عهد المعتصم ودفعه طموحه وتطلعه أن يستأثر بشئون الحكم دون الخليفة ، فتمت مراسلات بينه وبين قوات أشروسنة وصاحب إقليم طبرستان والجبل (المازيار بن قارن) ، للقيام بانقلاب فى عاصمة الخلافة ضد المعتصم ، لكن المعتصم كان يتتبع تحركات الأفشين ، وكان رجاله يرسلون تقاريرهم عنه أولاً بأول ، فقبض عليه وحاكمه وحبسه حتى مات فى السجن ثم صلبه[3].

---

(١) الأفشين : لُقب حيدر بن كاوس بهذا اللقب وكان يلقب به ملوك أشروسنه ، وهى كورة من بلاد ما وراء النهر عاصمتها مدينة بنجكت ، وكان والد حيدر ملك هذه الكورة . حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٢٣ .

(٢) مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٥٩ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١٠ ، ص٣٦٣ ، عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٤١ .

وقد أثر حادث خيانة الأفشين فى نفسية المعتصم تأثيراً كبيراً ، وبدأ يندم فى أنه منح الأتراك سلطات واسعة فى دولته ، وأدرك حينئذ خطورة مطامع الأتراك ، وأن التوازن بين سلطة الخلافة وهذا العنصر العسكرى الجديد ، بدأ يختل مما ينذر بخطر ضياع الخلافة وسلطتها ، لذلك وجه للأتراك وعلى رأسهم الأفشين ضربة مشابهة للضربة التى وجهها المنصور لأبى مسلم الخراسانى ، والرشيد للبرامكة[1].

ورغم ندم المعتصم وبطشه بالأفشين ورجاله ، إلا أنه لم يتخل عن سياسته فى الإعتماد على الأتراك ، ويبدو أنه لم يكن فى استطاعته غير ذلك ، فقد أصبح الأتراك قوة كبيرة فى الجيش ليس من السهل التخلص منها ، ولم يكن من الممكن الإعتماد على العرب والفرس مرة أخرى ، بعد أن فسد الأمر بينهم وبين الخلافة ، فقد انقطع الود بين العرب والمعتصم حين أسقط جندهم من ديوان العطاء ، وأحل محلهم الترك ، وكذلك انقطع الود بينه وبين الفرس حين قضى على ثورة بابك الخرمى وهى ثورة فارسية الأصل .

وقد ورث الخليفة الواثق بالله بن المعتصم (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ) عن أبيه تركة الأتراك كما ورث عنه العرش ، فتمادى فى الاعتماد عليهم وإسناد المناصب الكبرى إليهم ، ويعتبر عصر الواثق فترة انتقال بين عهدين ، الأول منهما هو عهد تمكن الأتراك مع بقاء هيبة الخلافة ، والثانى ويبتدئ بالخليفة المتوكل ، وهو عهد تمكن الأتراك مع زوال هيبة الخليفة وانحدار مكانته[2].

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٢٥ .

(٢) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٣٢٦ .

ويمتاز عهد الواثق بالله فى أن الأتراك الذين اصطنعهم المعتصم تمكنوا من توطيد نفوذهم وتثبيت سلطانهم ، ونال رؤساؤهم منزلة عظيمة ونفوذاً كبيراً ، فقد بلغ من نفوذهم أن الواثق بالله استخلف أشناس على السلطنة ، فكان كما ذكر السيوطى : « أول خليفة استخلف سلطاناً »[1] فقد أسند إليه الواثق أعمال الجزيرة وبلاد الشام ومصر ، كما عهد إلى إيتاخ بولاية خراسان والسند وكور دجلة ، وقد ظل إيتاخ يتقدم فى منزلته وتعلو مكانته حتى بلغ فى عهد المتوكل ذروة منزلته ، فكان إليه الجيش والمغاربة والأتراك والموالى والبريد والحجابة ودار الخلافة[2]، وبذلك ازداد نفوذ الترك داخل العراق وخارجه .

عمل القواد الأتراك على تمكين سلطانهم على الخليفة نفسه ، اعتقاداً منهم أنه مصدر السلطان فأحاطوا به ، ولم يرغب واحد منهم فى ترك سامراء ، حتى يضمن لنفسه الإحتفاظ بنفوذه فيها ويظل قريبًا من الأحداث، لذلك كان هؤلاء القواد لا يذهبون إلى ولايتهم بل كانوا ينيبون عنهم عمالاً يحكمون هذه الولايات بأسمائهم ، ويرسلون إليهم دخلها وخراجها ، فأناب أشناس عنه : محمد بن إبراهيم بن الأغلب فى إدارة أعمال غرب الدولة ، وأناب إيتاخ عنه : عنبسة بن إسحاق الضبى فى إدارة ولاية خراسان ، فاستنوا بذلك سنة جديدة لم تكن معروفة من قبل ، فكان هذا وبالاً على الخلافة نفسها ، إذ أن كثيراً من هؤلاء النواب والوكلاء يطمعون فيما بعد فى ولاياتهم ويستقلون بها ، منتهزين فرصة ضعف السلطة المركزية ، وعدم معرفة الخليفة بمجريات الأمور فى الولايات ، كما

---

(١) تاريخ الخلفاء ، ص٢٢٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١١ ، ص٣٣ .

كان لازدياد نفوذ الأتراك وبقائهم فى سامراء بجوار الخليفة الأثر المباشر على منصب الخلافة نفسه ، إذ أصبح الأتراك يتدخلون فى اختيار الخلفاء وتوليتهم ، فأخذوا بذلك صفة أهل الحل والعقد ، بل صاروا فعلاً هم أصحاب الحل والعقد(١) .

وكان الخليفة الواثق هو آخر الخلفاء العباسيين الذى جرت توليته على السنة التى كانت متبعة من قبل ، فلما مات دون أن يعهد لابنه محمد بالخلافة من بعده ، ولم يعين وليًا للعهد ، برزت القوة التركية الجديدة بنفوذها ، وكانت قد وصلت إلى حد كبير من السلطان مكنها من استغلال الفرصة لفرض سيطرتها السياسية على الخلافة فى موضوع اختيار الخليفة ، فتصدى القواد الأتراك لعملية الاختيار والتعيين وقد وضعوا فى خطتهم ، أن يختاروا خلفاء ضعاف لا يستطيعون القيام بمهام الخلافة ، لتستمر سيطرتهم عليهم ويظل الحكم الفعلى فى أيديهم وحدهم ، ولذلك لم يوافق قواد الترك على تعيين محمد بن الواثق بحجة أن أباه لم يعينه وليًا لعهده(٢)، وبالتالى لا يرضى على خلافته ، واتجهوا إلى اختيار جعفر بن المعتصم ولى نعمتهم ، ليكون خليفة ولقبوه بالمتوكل على الله عام ٢٣٢هـ(٣) .

كان لنجاح قواد الأتراك فى تولية هذا الخليفة (المتوكل) أثر كبير فى تولية من جاءوا بعده من الخلفاء ، فقد أصبحت سابقة جرت عليها الأمور بعد ذلك ، إذ أصبح قواد الأتراك هم أهل الحل والعقد كما ذكرنا ، أو هم أهم

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٤٣ .
(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١١ ، ص٢٦ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص١٢ .

أهل الحل والعقد بالفعل ، فلا تتم الخلافة لأحد إلا بموافقتهم ورضاهم ، وبذلك أحكم الأتراك قبضتهم على الخلافة وأصبحت الأمور تصرف بإرادتهم[1].

لم يقتصر نفوذ القواد الأتراك على اختيار الخليفة فحسب ، بل تعداه إلى منصب الوزارة ، إذ ضعفت إلى جانبهم شخصيات الوزراء ، فكثر عزل الوزراء ومصادرتهم وحبسهم ، واستتبع ذلك انحطاط شخصيات الوزراء أنفسهم ، فقد لجأ الكثيرون منهم إلى الرشوة وبذل الأموال للوصول إلى المنصب ، وبذلك وصلت إلى الوزراة شخصيات لا تتمتع بالقدرة على القيام بمهام الوزارة ، فقد كان همها الوصول إلى المنصب ، ثم جمع الأموال لتعويض ما دفعته ، وبذلك ضاعت ــ أيضًا ــ هيبة الوزير وتناقصت قيمته شيئًا فشيئًا ، حتى أصبح فى نهاية الأمر مجرد كاتب للخليفة ، وأصبحت حقيقة السلطان فى يد قواد الأتراك[2].

وعلى الرغم من ذلك فلم يخضع الخلفاء للنفوذ التركى فى يسر وسهولة ، بل صارعوه مصارعة شديدة ، ولم يجبرهم على الخضوع أو الإستسلام إلا إفتقارهم للقوة العسكرية التى يستطيعون بها صد هذه القوة العسكرية التركية النامية ، فقد كانت سامراء عاصمة الخلافة قاعدة للنفوذ التركى ، ولم يستطع الخلفاء التغلب على الأتراك أو التصدى لهم إلا بعد أن عادوا إلى بغداد واستعانوا بالعناصر العربية والفارسية الموجودة فيها ،

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٢٨ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٤٤ .

خاصة بعد أن ظهرت قوة الديلم (الفرس) وبدأوا فى التوافد إلى العراق ، وشاركوا فى أحداثه(1).

وقد ظلت قوة الديلم تنمو وتنمو حتى استطاعت أن تقهر النفوذ التركى وتحتل مكانة فى الفترة ما بين سنوات (٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ) ، وكان أهم الخلفاء الذين تولوا الخلافة العباسية فى عهد نفوذ قواد الترك حتى العصر البويهى (٢٣٢ـ ٣٣٤هـ) هم :

١ ـ المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ)

٢ ـ المنتصر بالله (٢٤٧ ـ ٢٤٨هـ)

٣ ـ المستعين بالله (٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ)

٤ ـ المعتز بالله (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ)

٥ ـ المهتدى بالله (٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ)

٦ ـ المعتمد على الله (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ)

٧ ـ المعتضد بالله (٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ)

٨ ـ المكتفى بالله (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ)

٩ ـ المقتدر بالله (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ)

١٠ ـ القاهر بأمر الله (٣٢٠ ـ ٣٢٢هـ)

١١ ـ الراضى بالله (٣٢٢ ـ ٣٢٩هـ)

١٢ ـ المتقى لله (٣٢٩ ـ ٣٣٣هـ)

١٣ ـ المستكفى بالله (٣٣٣ ـ ٣٣٤هـ) .

---

(1) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٢٩ .

وقد كان عهد الخلفاء الخمسة الأوائل منهم ، عهد التفوق التركى الكامل على الخلفاء ، بينما كان عهد الثلاثة الذين جاءوا بعدهم عهد انتعاش الخلافة ، فقد استطاع هؤلاء الخلفاء أن يستردوا نفوذهم بعض الشيء ، ثم عاد نفوذ الخلفاء للإنتكاس مرة أخرى فى عهد المقتدر والقاهر، إذ كثرت فى عهدهما الفتن والمؤامرات والدسائس ، وتناقصت موارد الدولة المالية حتى عجزت الخلافة عن تسيير دفة الأمور ، حتى إذا جاء عهد الخليفة الراضى ظهر منصب أمير الأمراء ، الذى انتقلت إليه كل سلطات الخليفة وكل اختصاصات الوزير ، فلم يبق للخليفة من منصب الخلافة إلا الاسم ، وقنع بأن يخطب له على المنابر وتضرب السكة باسمه ، ولم تستطع الخلافة استرداد سلطتها ونفوذها بعد ذلك ، فقد انتهى عصر الأتراك حين حل محلهم الديلم ، فورثوا سلطة أمير الأمراء فى عهد بنى بويه[1] .

عهد نفوذ الأتراك من المتوكل حتى المهتدى (٢٣٢ ـ ٢٥٦ هـ) :

تولى المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ) الخلافة بقوة النفوذ التركى كما سبق أن ذكرنا ، وقوى مركز القائد التركى إيتاخ عند الخليفة فعهد إليه بالكثير من المناصب ، فإليه الجيش والمغاربة والأتراك والأموال والبريد والحجابة ودار الخلافة[2]، لكن المتوكل بدأ يشعر بحقيقة الأتراك، بعد أن لمس منهم الإستبداد بالشئون السياسية للدولة ، وقلة إحترامهم لشخص الخليفة ، كذلك حاول إيتاخ التخلص من الخليفة فى مرات تنزهه ، فأثر هذا الحادث فى نفس المتوكل وأحس بالمهانة ، لذلك دبر الخليفة مكيدة لإيتاخ

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٤٦ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص١٦ .

أبعده بها عن سامراء ، ثم استدرجه وحبسه وقتله عام ٢٣٥هـ بمساعدة القائد التركى وصيف[١] ، وكانت حيلة المتوكل فى التخلص من إيتاخ أنه انتظر فرصة خروجه للحج ، فأحل وصيفًا محله فى الحجابة ، فلما عد إيتاخ أوعز القائد وصيف إلى عامل بغداد بالقبض عليه وحبسه ثم قتله[٢] .

وبعد أن تخلص المتوكل من إيتاخ ، زاد العداء بينه وبين وصيف وبقية قواد الأتراك ، خاصة بعد أن قام المتوكل بتقرير ولاية العهد من بعده ، ليبعد الأتراك عن التدخل فى اختيار الخلفاء ، فقد عقد البيعة لأبنائه الثلاثة بولاية العهد وهم : محمد ولقبه المنتصر بالله ، وأبو عبد الله محمد ولقبه بالمعتز بالله ، وإبراهيم ولقبه بالمؤيد لله ، كما قسم إدارة الدولة بينهم متبعاً فى ذلك التقسيم الذى جرت عليه الخلافة العباسية منذ عهد المهدى ، وكانت العادة أن يعهد بالمغرب لولى العهد الأول ، وأن يعهد بالمشرق لولى العهد الثانى ، فأعاد المتوكل بذلك تقاليد الخلافة القديمة ، فأما المنتصر فولاه المغرب كله ، وأما المعتز فولاه المشرق كله ، وأما المؤيد فأقطعه جند حمص وجند دمشق وجند فلسطين ، ثم أضاف إلى المعتز عام ٢٤٠هـ خَزْن الأموال فى جميع الآفاق ودور الضرب وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم[٣] ، وبذلك حَرَمَ المتوكل الأتراك مما كان فى أيديهم من الولايات والمناصب ، لذلك إشتد حقدهم عليه وأثاروا القلاقل والإضطرابات ضده ، وكان المتوكل قد عزم على أن يتخلص نهائيًا من نفوذ قواد الأتراك ، إلا أن ابنه المنتصر أفسد خطة أبيه فى الخلاص منهم بمشايعته لهم ، فقد كان

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص١٧ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٤٧ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص١٧ ـ ١٨ .

المنتصر ينقم على أبيه قسوته الزائدة فى معاملة العلويين وتنكيله الشديد بالشيعة[1]، ويسبب هذا التعارض فسدت العلاقة بين الابن وأبيه ، فعزم المتوكل على إجراء تغيير فى ولاية العهد بتقديم المعتز على المنتصر فى ولاية العهد ، وقد أدى ذلك إلى ازدياد سخط المنتصر على أبيه وشجعه على الإنضمام لقواد الأتراك ضد أبيه .

إستقر رأى المتوكل على الفتك بابنه المنتصر وقتل وصيف وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم ، وفى الوقت نفسه اعتزم حزب الأتراك والمنتصر الخلاص ـ أيضاً ـ من المتوكل[2].

كان ذلك بمثابة مفترق الطريق فى حياة الخلافة العباسية ، فإن نجح المتوكل فى مخططه من التخلص من الأتراك ، زال نفوذهم وتلاشت دولتهم واستعادت الخلافة قوتها الأولى التى كانت فى عهد الرشيد والمأمون والمعتصم ، وإن نجح الأتراك فى مخططهم تدعم سلطانهم وضاعت نهائيا هيبة الخلافة[3].

وقد شاءت إرادة الله أن ينجح مخطط الأتراك ، فقد سبقوا المتوكل فى التدبير والتنفيذ ، فباغته جماعة منهم بقيادة بغا الصغير ، وباغر حارس الخليفة وقاموا بقتله عام ٢٤٧هـ، وللأسف الشديد شارك المنتصر ابن الخليفة فى قتل والده ، وقتل مع الخليفة ـ أيضاً ـ وزيره الفتح بن خاقان ، ثم أقبل الأتراك إلى المنتصر وبايعوه بالخلافة ، وأخذوا له البيعة من وجوه

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٣٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ١١ ، ص٦٣ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٤٨ .

الدولة وبقية القواد الترك ، ثم أحضروا أخويه المعتز والمؤيد وأجبروهما على مبايعته ، واستعملوا العنف مع الغاضبين من الناس[1] .

لقد كان مقتل المتوكل أول حادث إعتداء على خلفاء بنى العباس ، فلم يقتل خليفة منهم من قبل إلا الأمين الذى قتل بعد هزيمته فى الحرب بينه وبين أخيه المأمون ، ولم يكن قتل المتوكل إعتداء على الخليفة وحده ، بل كان إعتداءاً وقتلاً لسلطان كل خليفة بعده ، وكان فى قتله تثبيت لسلطان الأتراك ونفوذهم ، وإنذار للبيت العباسى كله مفاده أنه من أراد منهم أن يلى الخلافة ، فعليه الإذعان تماماً لرغبة وأوامر القواد الأتراك ، وإلا فعليه أن يجهز نفسه للقتل[2] .

هكذا كان مصرع الخليفة المتوكل مصرعاً لسلطان الخلافة العباسية ، وهو فى نفس الوقت مجداً وانتصاراً لقواد الأتراك ، فلم يعد بعد ذلك للخليفة مع الأتراك شيء إلا المظهر الأسمى للسلطة ، والذى اقتصر على الخطبة والسكة وصار يضرب ذلك مثلاً لمن له ظاهر الأمر وليس له من باطنه شيء ، فيقال : (قنع فلان من الأمر بالسكة والخطبة ،[3] يعنى قنع بالاسم دون الفعل .

وقد تألم الناس لما وصلت إليه الخلافة من ضعف ، كما بكوا المتوكل وتحسروا على عهد الفرس الذين كانوا يحتفظون للخليفة بهيبته وعظمته وحرمته ، ويعملون ما عملوا فى ظل خدمته[4] .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٣١ ـ ٣٦ .
(٢) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٤٩ .
(٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٣٢ .
(٤) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٣٣٣ .

كان من الطبيعى أن يخضع المنتصر بن المتوكل لنفوذ قواد الأتراك ، فهم الذين قتلوا أباه بمساعدته ، وأجلسوه على عرش الخلافة تحت ظلال سيوفهم ، ولما قتل المنتصر أباه تحدث الناس بأنه لن يطول له العمر بعده ، وشبهوه بشيرويه بن كسرى حين قتل أباه ولم يستمتع بالملك بعده سوى ستة أشهر ، وبالفعل مات المنتصر بعد مقتل أبيه بستة أشهر[1]، وكأن القدر أراد ألا ينعم المنتصر بمنصب الخلافة الذى اغتصبه من أبيه .

لقد بلغ سلطان قواد الأتراك ذروته فى عهد المنتصر القصير (٢٤٧ ـ ٢٤٨هـ) فقد خشوا من المعتز والمؤيد أبنى المتوكل لو ولى أحدهما الخلافة بعد المنتصر أن ينتقم منهم ، فقاموا بإرغام المنتصر على خلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد ، حتى يحولوا بينهما فى الوصول إلى كرسى الخلافة، ويستطيعون بعد ذلك إختيار من يرون مصلحتهم فى استخدامه .

ولم يملك المنتصر أن يعترض أو يناقش ، فإذعن للأمر وهو كاره وخلع أخويه ، ولقد اشتدت بعد ذلك كراهية المنتصر للأتراك بعد أن أدرك أن ليس له من الأمر شىء ، كما ندم على تحالفه معهم وتوريطهم له فى قتل والده ، فعزم على التخلص منهم ومن زعمائهم ، بل كان كثيراً ما يجاهر برغبته فى التخلص منهم ، وكان يسميهم : قتلة الخلفاء ، ويسبهم فى مجالسه ، ويقول لجلسائه : « قتلنى الله إن لم أقتلهم »[2].

وقد نبههم هذا الجهر بالعداء لنواياه تجاههم ، فقرروا الخلاص منه قبل أن يتخلص هو منهم ، وبالفعل تخلصوا منه بوضع السم له فى مشرط،

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٢٢٠ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص١٣٤٤ .

حجمه به الطبيب ابن طيفور ، فمات بالسم بعد ستة أشهر فقط من تولية الخلافة دون أن يعهد لأحد بالخلافة من بعده[1].

لما مات المنتصر تعاهد الأتراك على توحيد كلمتهم ، وشكلوا مجلسًا من كبرائهم لاختيار خليفة بعده ، وتشكل هذا المجلس من القواد : بغا الكبير، بغا الصغير ، أتامش ، وأجمعوا على ألا يتولى الخلافة أحد من ولد المتوكل حتى لا يثأر لمقتل أبيه ، كما أجمعوا على اختيار أحمد بن محمد بن المعتصم ، وهو حفيد المعتصم ولقبوه بالمستعين بالله ، وأخذوا له البيعة من الناس عام ٢٤٨هـ، وقد قام المستعين بعد تولية الخلاف بتوزيع المناصب العليا فى الدولة على قواد الأتراك ، فاتخذ أتامش وزيرًا وعقد له ولاية مصر والمغرب ، وجعل شاهك الخادم على داره وحرسه وخاص أموره ، وهكذا استولى الأتراك على أكبر المناصب فصارت الدولة فى أيديهم[2].

لقد بدأ عهد المستعين (٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ) بالإضطرابات والصراع على السلطة بين قواد الأتراك بعضهم وبعض ، وقد وجد المستعين الفرصة فى هذه الخلافات لكى يستعيد سلطته ، فبدأ بنفى أحمد بن الخصيب إلى أقريطش واستصفى أمواله ، ثم قتل أتامش بمساعدة القائدين وصيف وبغا ، وأراد باغر فى ذلك الوقت ـ أحد قتلة المتوكل ـ أن يستولى على السلطة وجمع حوله الأنصار فاتفق الخليفة مع وصيف وبغا على التخلص منه ،

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٥٠ ؛ أحمد رمضان أحمد : حضارة الدولة العباسية ، ص٦٤ .

(٢) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٣٥ .

وانتهى الأمر بإستدراجهما لباغر وقتله[1]، فثار أصحاب باغر وهاجموا مقر الخليفة ورموه بالنشاب ، فاضطر الخليفة إلى الهرب من سامراء إلى بغداد حتى يستعين بمن فيها من العرب والفرس .

على أن لجوء الخليفة إلى بغداد جعل الأمر مثاراً للأحتكاك العنصرى بين الأتراك من جهة وبين العرب والفرس من جهة أخرى ، فقد كان انتقال الخليفة من سامراء إلى بغداد بمثابة فرصة جديدة إستغلها الفرس والعرب ليثبتوا جدراتهم مرة أخرى فى تولى أمور الدولة ، كما كان فى الوقت نفسه فرصة لأهل بغداد لأن تعود مدينتهم داراً للخلافة فيعود إليها مجدها السياسى وانتعاشها الاقتصادى .

وقد أدرك الأتراك فى سامراء أن وجود الخليفة فى سامراء ضرورى لكى يكسبهم الهيبة ، ويجعل سلطتهم أكثر شرعية وثباتًا ، لذلك حاولوا أن يسترضوا الخليفة فأرسلوا إليه وفداً يعتذرون ويسألون الصفح ، ولم يذعن الخليفة إلى رجاء وتوسلات الأتراك ، فقد كان لا يأمن لهم ويخشى من غدرهم ، عندئذ جاهر الأتراك بعدائهم للخليفة وأعلنوا خلعه عن الخلافة عام ٢٥٢هـ، وبايعوا المعتز بن المتوكل بالخلافة ، وكان بسامراء ثم بدأوا فى التكتل حول المعتز[2] .

أصبح هناك خليفتان أحدهما فى سامراء والآخر فى بغداد ، ووقعت الحرب بين الخليفتين وأنصار كل منهما ، وعمل الأتراك فى سامراء على حصر بغداد ومنعوا عبور الناس إليها ، وقد قاتل أهل بغداد قتالاً شديداً ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٤٢ .

(٢) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٣٧ .

لكن العنصر العربى لم يكن من القوة بحيث يستطيع الصمود طويلاً ، فضلاً عن أن أتراك سامراء استطاعوا أن يغروا بغا ووصيفًا بالتخلى عن المستعين ، مقابل أن يستردا هذان مراكزهما ، وبذلك استطاع أتراك سامراء استرداد وحدتهم ، وأصبح بذلك مركز المستعين ضعيفًا . وتحت هذه الظروف إضطر المستعين إلى خلع نفسه من الخلافة ، وبايع للمعتز مرغماً، وقام قواد الأتراك بالقبض على المستعين ونفوه إلى البصرة ، لكن الأتراك خشوا من بقائه حياً ، فأرسلوا إليه قوة تركية قتلته ، وتركت جثته فى العراء حتى قامت العامة بدفنه[١] .

وكان قتل الأتراك للمستعين خطوة أخرى فى سبيل إحكام قبضتهم وإظهار سيادتهم على الخلافة .

لم تكن ظروف الخلافة فى عهد حكم المعتز (٢٥٢ ـ ٢٥٥هـ) بأحسن حالاً من سابقتها ، فقد عاد الخليفة إلى سامراء وهناك أحكمت حوله قبضة قواد الأتراك وازداد استبدادهم وتصرفهم فى أمور الدولة دون الخليفة ، ويذكر ابن طباطبا : « كان الخليفة فى يدهم كالأسير إن شاؤوا أبقوه وإن شاؤوا خلعوه ، وإن شاؤوا قتلوه »[٢] .

وقد حاول المعتز التخلص من القائدين وصيف وبغا ، باعتبارهما المسئولين عن الحرب الأهلية التى وقعت بينه وبين المستعين ، وقد واتته الفرصة حين ثار الجند مطالبين بأرزاقهم ، ولما أغلظ وصيف فى الرد على الجند وثبوا عليه فقتلوه ، وبذلك تخلص المعتز من أحد القائدين ،

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص١٦٤ .
(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٤٣ .

كذلك نجح لمعتز فى التخلص من بغا بمساعدة قائد آخر منافس له وهو بايكباك أحد زعماء الترك ، وانتهى الأمر بقتل بغا[1].

وبقتل وصيف وبغا استطاع المعتز التخلص من أكبر أعدائه ، لكن الأتراك سرعان ما اكتشفوا محاولات المعتز للوقيعة بينهم للتخلص من نفوذهم ، فسارعوا بالقبض عليه وضربوه وأرغموه على خلع نفسه ، يذكر ابن طباطبا : « فحضروا إلى بابه وأرسلوا إليه وقالوا له : أخرج إلينا ، فاعتذر بأنه شرب دواء ، فهجموا عليه وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه فى الشمس ، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر ، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقى بيده ، ثم جعلوه فى بيت وسدوا بابه حتى مات ، بعد أن أشهدوا عليه أنه خلع نفسه »[2].

وبعد أن تخلص الأتراك من المعتز بقتله عام ٢٥٦هـ، جاءوا بمحمد ابن الواثق وكان ببغداد ، فأسندوا إليه الخلافة ولقبوه بالمهتدى بالله .

وكان المهتدى بالله من أفضل خلفاء بنى العباس ، فقد كان ورعاً تقياً يتفقد أحوال رعيته ، ويجلس للمظالم ويحكم بين الناس بالعدل ، يداوم على الصلاة والصوم ، طرح الملاهى وحرم الغناء ، فقد كان قدوته فى ذلك الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه[3]، وينسب إليه أنه قال : « إنى استحى أن يكون فى بنى أمية مثله ، ولا يكون مثله فى بنى العباس »[4].

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٦٥ .

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٤٣ .

(٣) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢١٦ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٢٢١ .

(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٤١ .

كان المهتدى بالله شديد الرغبة فى الإصلاح ، فقد رأى الفساد يعم الدولة ، كما رأى تفكك البيت الخلافى نفسه وانصراف الخلفاء إلى اللهو وبعدهم عن الرعية ، وقد رأى أن يبدأ الإصلاح ـ أولاً ـ من البيت الخلافى ، فتجرد من مظاهر العظمة وزخرف الحياة ، ونهى عن القيان وداوم على حضور المسجد الجامع ليخطب الناس كل جمعة ويؤمهم ، ثم دقق الإشراف على الدواوين ومحاسبة العمال[١] .

كانت علة الخلافة الحقيقية كامنة فى الأتراك ، وكان نجاح الخلافة وإصلاحها فى التخلص من نفوذهم ، لذلك سعى المهتدى إلى استرداد سلطات الخلافة ورأى أن يبدأ بالأتراك لكى يكسر من شوكتهم ، فأثار عليهم جندهم ليبعد عنهم القوة التى طالما استخدموها لأغراضهم ، فلقد أسرف قواد الأتراك فى حبهم لجمع المال وجشعهم فى الحصول عليه والإستئثار به دون رجالهم ، حتى حقد عليهم جنودهم وثاروا بهم ورفعوا شكايتهم للخليفة مقدمين له بذلك الفرصة التى ينتظرها ليتخلص من نفوذ هؤلاء القواد ، وقد طالب الجند بأن يستعيد الخليفة نفوذه على كافة شئون الدولة ، وأن تكون إمارة الجيش لأحد إخوته ، وأن تبطل الإقطاعات وتحسن أحوالهم ، وتعهدوا لتنفيذ هذه المطالب أن يقوموا بحماية الخليفة وقتل كل من يريده بسوء [٢] .

كانت هذه المطالب كافية لكسر شوكة زعماء الأتراك ، لكن المهتدى لم يستغل هذه الفرصة الإستغلال الأمثل فيسارع إلى ضرب رؤوس

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٤٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٨١ .

الأتراك، وإنما رأى أن يضرب بعضهم ببعض ، وبذلك أتاح لهم فرصة ليجمعوا شملهم ويسكنوا الجند عنهم ، فتجمع الأتراك بقيادة موسى بن بغا واشتبكوا مع الخليفة الذى قاد المعركة بنفسه ومن حوله المغاربة والفراغنة وبعض الجند الأتراك الموالين له .

وبعد قتال شديد تخاذل عنه الأتراك إلى أصحابهم ، وهُزم رجاله من المغاربة والفراغنة فإضطر إلى الإستسلام ، وأرغموه على أن يخلع نفسه فرفض فقتلوه وبايعوا لابن عمه أحمد بن المتوكل ولقبوه بالمعتمد على الله[1] .

كانت شجاعة المهتدى فى تصديه للأتراك حافزاً لمن خلفه من أهل بيته ، لأن يعاود هذه السياسة من أجل أن يسترد الخليفة هيبته وتعم طاعته[2]، ولم يكن الأمر يتطلب إلا الوقوع على الرجل القوى الحازم الذى يستطيع أن يمسك بيده أزمة الأمور والخروج من دائرة النفوذ التركى ، وكان هذا الرجل هو الموفق طلحة أخو الخليفة المعتمد ، والمعتضد ابنه وابن ابنه المكتفى ، ففى عهد هؤلاء الخلفاء نجح العباسيون فى إستعادة نفوذ الخلافة وفى حمايتها من عدوان قواد الأتراك عليها طيلة أربعين سنة ، ففى أيامهم أصبح الأتراك خداماً للدولة كما كانوا من قبل فى عهد المأمون والمعتصم ، لذلك يطلق البعض على الفترة الممتدة من ٢٥٦هـ حتى ٢٩٥هـ عصر نهضة الخلافة .

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٤٢ .
(٢) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢١٦ .

نهضة وانتعاش الخلافة :

تبدأ هذه النهضة بعهد خلافة المعتمد على الله بن المتوكل (٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ) ، وذلك بفضل مجهودات أخيه أبى أحمد الموفق طلحة الذى كانت له تجربة القيادة فى أيام المعتز ، فلما تولى أخوه المعتمد ، تولى هو حقيقة السلطان والسلطة الفعلية فى البلاد ، يقول ابن طباطبا : « كان المعتمد مستضعفاً وكان أخوه الموفق طلحة هو الغالب على أموره ، وكانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع ، كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين فى الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمى بإمرة المؤمنين ، ولأخيه طلحة الأمر والنهى وقَوْدْ العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء ، وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته »[١] .

كان من أهم الأعمال التى قام بها الموفق طلحة قضائه على ثورة الزنج ، تلك الثورة التى أقلقت الخلافة لمدة أربع عشرة عامًا (٢٥٥ ـ ٢٧٠هـ) وكادت أن تقضى عليها .

والزنج هم العناصر السوداء التى كثرت فى العراق فى ذلك الوقت ، وكانوا يجلبون من سواحل إفريقيا الشرقية ، ليستخدمهم الناس فى أعمال الخدمة ، كما اعتمد عليهم ملاك الأراضى وأصحاب الإقطاعات فى الزراعة وإصلاح الأراضى المالحة حول مدينة البصرة ، فكانوا يكسحون طبقات الملح المتراكمة بفعل مد الخليج ، وكانوا يقومون بأعمال شاقة دون أن يجدوا أى رعاية أو عطف من سادتهم ، الأمر الذى دفعهم للقيام بثورة على دولة الخلافة[٢] .

---

(١) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٥٠ .

(٢) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٤٧ .

قاد هذه الثورة ودعا إليها رجل يدعى على بن محمد ، إدعى أنه ينتسب إلى على بن أبى طالب ، وأنه من ولد زين العابدين بن على ، ويذكر حسن إبراهيم حسن إنه فارسى من أهل الطالقان ، بدأ حركته متنقلا بين البحرين والبصرة وبغداد وأهل البادية يدعو لنفسه ، فالتف حوله الزنج بعد أن نادى بالرغبة فى إصلاح أحوالهم ، كما ادعى أن العناية الإلهية قد أرسلته لإنقاذهم مما يعانونه من بؤس(١) .

وقد استهوت دعوة هذا الرجل كل الزنوج العاملين فى منطقة جنوب العراق ، وبذلك ازداد عددهم وقويت شوكتهم ، وتجمع الزنج حول صاحبهم وابتنوا لهم مدينة إتخذوها قاعدة لهم وأسموها المختارة(٢) .

وقد قامت قوات الزنج بالتوسع فى منطقة جنوب العراق وإقليم خوزستان وبلاد البحرين ، وتملكوا مدن الأبلة وعبدان والأهواز إضافة إلى البصرة وواسط ، وأشاعت قوات الزنج الرعب فى قلوب الناس وقتلوا الكثير منهم ، كما إسترقوا عدداً كبيراً من الأحرار وباعوا الفرد منهم ببعض الدراهم ، واقترب زحف قوات الزنج من العاصمة بغداد ، فأرسلت الخلافة قواتها بقيادة بعض قواد الأتراك لوقف هذا الزحف والقضاء على ثورتهم فى عهد الخليفة المهتدى ، لكن هذه القوات لم تستطع الثبات أمام مقاتلى الزنج(٣) .

ولما تولى الخلافة المعتمد كانت مشكلة الزنج أول المشاكل التى استفتح بها خلافته ، فأرسل لقتالهم جيوشه بقيادة كبار قواد الأتراك وعلى رأسهم

---

(١) تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٢١٦ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٥٦ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٧٥ .

قائده الكبير موسى بن بغا ، ولكنهم – أيضاً – لم ينجحوا فى هزيمة الزنج أو القضاء عليهم .

وقد أظهرت إنتصارات الزنج عجز القادة الأتراك فى الدفاع عن دولة الخلافة وبذلك إنكسرت شوكتهم ، وأُتيح للخلافة أن تتخذ المبادرة وتدافع بنفسها بعد أن عجز الأتراك عن الدفاع عنها[1] .

وقد تأثرت الحياة الاقتصادية فى دولة الخلافة نتيجة استيلاء الزنج على موانىء العراق والخليج ، إذ منعوا قدوم سفن التجارة العالمية التى كانت ترد إلى بلاد العراق من الهند والصين ، مما اضطر الخليفة المعتمد من استدعاء أخاه الموفق طلحة وكان بالحجاز وجعل إليه أمر المشرق كله ، كما جعله ولى عهده الثانى بعد ابنه جعفر الذى كان قد اختاره ولى عهده الأول وعقد له بحكم المغرب كله[2] .

تفرغ الموفق طلحة لحرب الزنج وتولى قيادتها بنفسه ، فخرج من بغداد إلى واسط فى شهر صفر من عام ٢٦٧هـ وهزم فريقًا كبيراً منهم وأسر بعضهم ، وما زالت إنتصارات الموفق تتوالى على الزنج حتى أجلاهم عن الأهواز ، وحاصر مدينتهم (المختارة) وبنى بإزائها مدينة جديدة أسماها (الموفقة) نسبة إليه ، كما قام العباس بن الموفق بقطع الميرة عن صاحب الزنج ، ثم استولى الموفق على الجزء الغربى من هذه المدينة ، واضطر بعض زعماء الزنج إلى طلب الأمان بعد أن تضاءل أملهم فى إحراز أى نصر على الموفق ، كما بدأ بقية الثائرين فى الإنضمام للموفق ،

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٥٦ .

(٢) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢١٧ .

الذى أمنهم وعفا عنهم وأحسن معاملتهم ، فتخلى الكثير من أتباع صاحب الزنج عنه[1]، وظل الموفق يشدد الحصار على المختارة حتى سقطت فى يديه وقتل صاحب الزنج عام ٢٧٠هـ[2]، بعد ثلاث سنوات من القتال الشديد ، يذكر السيوطى : « ولما قتل هذا الخبيث دخل برأسه بغداد على رمح ، وعملت قباب الزينة وضج الناس بالدعاء للموفق طلحة ومدحه الشعراء »[3].

هكذا نجح الموفق طلحة فى القضاء على هذه الثورة التى شكلت خطراً كبيراً على دولة الخلافة ، كما اعطت حرب الزنج والقضاء عليها الفرصة الكاملة للخلافة العباسية فى أن تستعيد قوتها مرة أخرى ، وتؤكد قدرتها على مواجهة الاخطار ، وتثبت هشاشة الأتراك وضعفهم فى الدفاع عن الخلافة»[4].

توفى الموفق طلحة عام ٢٧٨هـ بعد أن قام بعدة أعمال جليلة للخلافة فى ظل خلافة أخيه المعتمد ، فأحل المعتمد ابن أخيه أبا العباس أحمد بن الموفق طلحة مكان أبيه فى ولاية العهد الثانية ، وبذلك إنتقلت لأبى العباس سلطات أبيه ، وكان من نفس طراز أبيه فنهج نهجه وتفوق ذكره على شخص الخليفة عمه ، الذى وصل إلى درجة كبيرة من الضعف ، وقد اضطر الخليفة المعتمد بعد علو مكانة ابن أخيه أن يخلع ابنه جعفر من ولاية العهد الأولى ، ويجعلها لابن أخيه أبى العباس»[5].

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٢٥٤ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٢١٩ .

(٣) تاريخ الخلفاء ، ص٢٤٢ .

(٤) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص٣٥٥.

(٥) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٥٨ .

توفى الخليفة المعتمد عام ٢٧٩هـ فبايع الناس بعد وفاته ابن أخيه أبا العباس أحمد خليفة ولقب بالمعتضد بالله .

حكم الخليفة المعتضد بالله فى الفترة ما بين سنوات (٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ) أى عشر سنوات ، إستطاع خلالها أن يعيد للخلافة هيبتها وقوتها وأن يقضى على الإضطرابات التى واجهته ، وأن يصلح الخراب الذى أحدثته ثورة الزنج وأن يحد من نفوذ قواد الأتراك ، فكان إذا غضب على قائد أمر بإلقائه فى حفرة وردم عليه[1] ، فلم يجرؤ واحد منهم على إسخاط الخليفة أو إحداث شغب حتى هابوه هيبة عظيمة ، يقول ابن طباطبا : « كان المعتضد شهماً عاقلاً فاضلاً حُمدت سيرته ، ولى والدنيا خراب والثغور مهملة فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكته وكثرت الأموال وضبطت الثغور ، وكان قوى السياسة شديداً على أهل الفساد حاسماً ... محسناً إلى بنى عمه من أل أبى طالب ، وكانت أيامه أيامه فتوق وخوارج كثيرين ، منهم عمرو بن الليث الصفار ... وقد قام المعتضد فى إصلاح المتشعب من مملكته والعدل فى رعيته حتى مات »[2] .

وفى أيام المعتضد استقل عمرو بن الليث الصفار فى بلاد فارس ، كما ظهر القرامطة فى الكوفة بزعامة حمدان قرمط ، وفى البحرين بزعامة أبى سعيد الجنابى ، كما ظهر ابن حوشب داعى الفاطميين فى بلاد اليمن ، حيث نشر الدعوة للمهدى الفاطمى ، وأبو عبد الله الشيعى فى المغرب ، لكن المعتضد استطاع أن يواجه كل هذه الإضطرابات وأن يقضى على كثير من الثائرين ويسكن الفتن ، فكانت الخلافة فى عهده أعظم هيبة

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٢٣٣ .

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٥٦ .

وأكثر إنتعاشًا منها فى عهد المعتمد ، وفى عهده تمت المصالحة بين الخلافة العباسية وخمارويه بن أحمد بن طولون الذى أغدق عليه الهدايا وزوجه ابنته قطر الندى[1] .

توفى المعتضد فى الثامن من ربيع الآخر عام ٢٨٩هـ وخلفه ابنه المكتفى بالله (٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ) الذى سار على نهج أبيه فى محاولة الإصلاح والقضاء على الفتن والثورات التى تعرضت لها الدولة فى عهد والده وورثها عنه ، لكن مدة خلافته القصيرة لم تتح له الفرصة الكافية للقضاء على كل هذه الفتن وهذا الكم الهائل من الثورات التى قام بها كل من الإسماعيلية والقرامطة والخوارج ، فبذل جهده للقضاء على ما استطاع منها ، فنجح فى هزيمة القرامطة الذين قطعوا الدرب على الحجاج إلى بيت الله الحرام ، وقتلوا منهم عدداً كبيراً داخل الحرم المكى الشريف ، وأغرقوا أعداداً كبيرة منهم فى بئر زمزم واستولوا على الحجر الأسود ، الذى نقلوه إلى عاصمتهم (هجر) بالبحرين ، وظل هنالك فى أيديهم لأكثر من عشرين عامًا ، ولم يردوه إلا بعد أن تدخل الشريف يحيى بن الحسين بن زيد العلوى[2] ، كما تتبع المكتفى القرامطة فى بلاد الشام التى كانوا قد ظهروا فيها وعاثوا فيها الفساد ، ونجح فى طردهم منها وإعادة سلطان الخلافة على الشام كله ، كذلك نجح المكتفى فى إزالة دولة الطولونيين فى مصر وارجاع مصر ولاية خاضعة للخلافة عام ٢٩٢هـ[3] .

توفى المكتفى عام ٢٩٥هـ وهو فى سن الثالثة والثلاثين ، وبموته

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٤٤٧ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٥٩ .
(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٢٥ .

عادت الخلافة إلى ضعفها وعاد الأتراك إلى قوتهم ، بعد أن أحس قواد الأتراك الطامعون فى السلطة أن الأمر لا يستقيم لهم مع خلفاء أقوياء أمثال المعتضد والمكتفى ، فعملوا على اختيار الخلفاء الضعاف حتى يضمنوا إستعادة سلطتهم ، ولذلك طال اجتماع هؤلاء القواد وتفكيرهم عقب وفاة المكتفى ، وكان أول المرشحين للخلافة عبد الله بن المعتز ، وكان رجلاً كفأً وقادراً ، إلا أنهم إنصرفوا عنه إلى صبى لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، وهو جعفر بن المعتضد أخو الخليفة المكتفى وولوه الخلافة باسم المقتدر بالله وقاموا بالوصاية عليه .

هكذا عمل الأتراك على إعطاء الخلافة لمن لا يستحقها حتى يكون لهم الأمر ، يقول المسعودى : « كان المقتدر طفلاً لما يجاوز الثالثة عشرة من عمره ، لا يعرف من أمور الدنيا شيئاً ، ولا يمكن أن ينتظر منه القدرة على إدارة شئون الخلافة ومواجهة المشكلات التى تحيط بها ، ومع ذلك لقبه رجاله بالمقتدر !!»[1] .

وقد بلغ من سوء حال المقتدر أن تدخل النساء فى أمور الدولة ، وشاركن مع الأتراك فى إدارة أمور الدولة ، فقد أصبح الأمر والنهى بيد أمه (شَغب) وكانت تركية[2] ، فبلغ من تسلطها أن عينت قهرمانتها[3] (ثومال) صاحبة للمظالم ، وكانت إذا غضبت هى أو قهرمانتها على أحد الوزراء كان مصيره العزل ، حتى انحطت مرتبة الوزارة ، وطمع قواد

---

(١) التنبيه والإشراف ، ليدن ١٩١٤ ، ص٢٧٨ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٥٢ .

(٣) قهرمانة : هى رئيسة الجوارى ومديرة القصر : زين العابدين شمس الدين ، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، ص٤٣٤ .

الأتراك الذين كانوا يرون فى عزل وزير وتولية آخر فرصة لمصادرة الأموال ، حتى لقد وزر للمقتدر فى مدة خلافته (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ) اثنا عشر وزيراً فيهم من وزر له المرتين والثلاثة[1].

كثرت فى أيام المقتدر الفتن فى الداخل والخارج ، ففى عهده قامت الدولة الفاطمية الشيعية فى المغرب ونافست خلافتها خلافة العباسيين ، كما خرج عليه القائد مؤنس الخادم وثار عليه رجال الجيش عام ٣١٧هـ ، لما رأوا من إسراف الحاشية والخدم وضياع الأموال ، فخلعوه وبايعوا لأخيه محمد بن المعتضد ولقبوه بالقاهر بالله[2]، لكن فرصة خلع الخليفة وبيعة أخيه لم تحقق للأتراك ما كانوا يريدون من أموال ، فعادوا مرة أخرى يخلعون القاهر ويعيدون المقتدر ، الذى باع من خزانته من الأمتعة والجواهر ليرضى طمع هؤلاء الذين لم يكن همهم إلا الأموال ، وعلى الرغم من ذلك لم يمض وقت طويل حتى وقعت الوحشة مرة أخرى بين الخليفة ومؤنس الخادم عام ٣٢٠هـ ، الذى قام هذه المرة بخلعه وقتله ، يذكر السيوطى: « ركب مؤنس على المقتدر فكان معظم جند مؤنس البربر ، فلما التقى الجمعان رمى بربرى المقتدر بحربة سقط منها إلى الأرض ، ثم ذبح بالسيف وشيل رأسه على رمح وسلب ما عليه وبقى مكشوف العورة ، حتى ستر بالحشيش ثم حفر له بالموضع ودفن »[3].

هكذا بعد حكم فاسد دام نحو خمس وعشرين سنة قتل المقتدر بهذه

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٦٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٦٨ .

(٣) تاريخ الخلفاء ، ص٢٥٥ .

الصورة المهينة ، وبويع لأخيه القاهر مرة أخرى . لم تكن خلافة القاهر القصيرة (٣٢٠ ـ ٣٢٢هـ) خيراً مما كانت عليه فى عهد المقتدر ، فقد استمر ـ أيضًا ـ شغب الجند وفكر مؤنس الخادم والوزير ابن مقلة فى الخروج عليه بعد أن ساءت العلاقة بينه وبينهم ، لكن القاهر كان شديد الحرص يحمل دائماً حربة لا تفارقه يباشر بها قتل من يريد قتله ، ومع قوة القاهر وحرصه فإن القواد إستطاعوا أن يقبضوا عليه وخلعوه من الخلافة بعد أن سملوا عينيه حتى سالت على خديه ، وكان أول خليفة عباسى تُسمل عيناه ، ثم حبس فى دار السلطنة ومكث فى الحبس مدة ثم أخرج منه عند تقلب الأحوال ، وكان يحبس مرة ويفرج عنه مرة ، فخرج يومًا ووقف بجامع المنصور ماداً يده يطلب الصدقة من الناس ، فرآه بعض الهاشميين فمنعه من ذلك وأعطاه خمسمائة درهم(١) .

وبعد عزل القاهر عن الخلافة ، قام قواد الأتراك باختيار ابن أخى القاهر أحمد بن المقتدر وبايعوه بالخلافة فتلقب باسم الراضى بالله عام ٣٢٢هـ، وفى عهد الراضى حدث تطور جديد فى شئون الحكم وفى مركز الخلافة وفى وضع الوزارة وفى وضع الأتراك أنفسهم ، فقد ظهر عنصر جديد استولى على مقاليد الأمور وسيطر على الخلفاء ، فلم يكن لهم إلى جانبه شىء من السلطان ، ولم يعد منصب الخليفة إلا منصباً شكليًا تنحصر أهميته فى الخلافة عن رسول الله ، أما إدارة أمور الدولة فانتقلت إلى هذا العنصر الجديد وهو نظام إمرة الأمراء الذى استمر عشر سنوات ، قاست فيها الدولة العباسية الأمرين حتى جاءت دولة بنى بويه واستولت على بغداد عام ٣٣٤هـ(٢) .

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٧٦ .
(٢) أحمد رمضان أحمد : حضارة الدولة العباسية ، ص٧١ .

عصر إمرة الأمراء (٣٢٤ ـ ٣٣٤ هـ) :

ابتدأ ظهور منصب إمرة الأمراء رسميًا فى عهد الخليفة الراضى عام ٣٢٤هـ، وذلك بعد أن تجلى عجز الوزراء عن إدارة شئون الدولة لضعفهم وقلة كفايتهم ، ولإزدياد نفوذ قواد الترك وتدخلهم فى شئونهم .

وكان يلى أمر الوزارة فى أول عهد الخليفة الراضى ، الوزير محمد بن القاسم الكرخى الذى عجز تمامًا عن إدارة مصالح الدولة ، فثار الناس فى وجهه واضطر للإختفاء حتى لا يلحق به أذاهم ، فاستوزر الخليفة بعده الوزير سليمان الحسن بن مخلد ، الذى عجز هو الآخر كسابقه عن ضبط أمور الدولة وتسيير مصالحها[1] .

بدا واضحًا للخليفة الراضى أن الوزراء لم يعودوا قادرين على ضبط الأمور والنهوض بأعباء الوزارة ، فرأى أن ينشئ وظيفة جديدة تعلو سلطة صاحبها سلطة الوزير ، ويكون صاحبها رجلاً قويًا حازمًا يستطيع ضبط أمور الدولة وحفظ ميزانها .

وقد وجد الراضى فى قائده التركى محمد بن رائق أمير واسط والبصرة الرجل المناسب ، فاستقدمه ووكل إليه الأمر وسلمه مقاليد الأمور فى الدولة ولقبه : أمير الأمراء ، كما أمر أن يخطب له من فوق المنابر بعد الخليفة ، وأن يسك اسمه على العملة إلى جوار اسم الخليفة[2] .

وصار محمد بن رائق أمير الأمراء منذ ذلك الوقت صاحب السلطة الفعلية فى دولة الخلافة ، فيذكر السيوطى : « تغلب ابن رائق أمير واسط

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٦٢ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٣٣ .

ونواحيها وحكم على البلا وبطل أمر الوزارة والدواوين وتولى هو الجميع وكتابه ، وصارت الأموال تحمل إليه وبطلت بيوت المال وبقى الراضى معه صورة وليس له من الخلافة إلا الاسم »[1] ، وبذلك فقد أيضاً الوزير سلطانه، ولم يعد له من الوزارة إلا الاسم ، واقتصر عمله على الحضور إلى دار الخلافة فى أيام الأعياد والمناسبات مرتدياً شعار السواد .

ولم يستمر إستحواذ ابن رائق على السلطة سوى عامين ، ذلك لأنه بدأ فى فقد هذه السلطة عام ٣٢٦هـ، وذلك بسبب حسد قواد الأتراك له على هذا المنصب ومنافستهم له فى الحصول عليه وإقصائه عنه ، فتصدى له أبو عبد الله البريدى وكان رجلاً طموحًا وصل إلى درجة عالية من وظائف الديوان ، بعد أن تدرج من الوظائف الصغرى إلى الوظائف الكبرى لدهائه وحنكته ، وقد تطلع البريدى فى نهاية الأمر إلى منصب إمرة الأمراء ، كذلك نافس ابن رائق على المنصب القائد التركى بجكم وقام بمحاربة ابن رائق بعد أن اتفق مع البريدى ضده ، ودخل بجكم بغداد عام ٣٢٧هـ بعد أن أوقع الهزيمة بقوات ابن رائق وعزله عن إمرة الأمراء وحل مكانه فيها ، واتخذ بجكم البريدى وزيراً لها[2] ، واضطر الخليفة الراضى أن يقر بجكم على ذلك .

توفى الراضى عام ٣٢٩هـ وخلفه فى الخلافة أخوه إبراهيم بن المقتدر ولقب بالمتقى لله (٣٢٩ ـ ٣٣٣هـ) ، هذا ولم يغير المتقى لله من الأمور شيئًا ، فأقر بجكم على إمرة الأمراء وأقر البريدى فى الوزارة وترك لهما تدبير أمور البلاد واكتفى من السلطة بالاسم[3] .

---

(١) تاريخ الخلفاء ، ص٢٦٠ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٣٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص١٢٩ .

لم يهنأ بجكم بإمرة الأمراء طويلاً إذ ما لبث أن أُغتيل على يد جماعة من الأكراد كان قد انتهب أموالهم من قبل ، فولى المتقى إمرة الأمراء من بعده لقائد من قواد الفرس الديالمة يعرف باسم كورتكين الديلمى ، وكان نفوذ الفرس الديالمة قد أخذ فى الإتساع فى العراق آنذاك ، لكن هذا النفوذ الفارسى الجديد أحدث رد فعل قوى عند الأتراك لتهديده لمكانتهم ، فنهضت العصبية التركية حينئذ ، لتبحث لنفسها عن رئيس جديد قوى يستطيع أن يحسم الأمور لصالحهم مرة أخرى ، ويبعد خطر النفوذ الفارسى الديلمى الجديد[1]، فاستدعوا مرة أخرى ابن رائق زعيم الحزب التركى وكان متواجداً بالشام ، فقدم إلى بغداد وولوه إمرة الأمراء مرة ثانية دون مقاومة من أحد ، بعد أن تصدى عند وصوله بغداد لمحاربة كورتكين وقواته الفارسية ونجح فى هزيمتهم ، لكن ابن رائق لم يهنأ بإمرة الأمراء الثانية ، فسرعان ما تصدى له البريديون وحاربوه وهزموه ، فاضطر إلى الهرب ومعه الخليفة المتقى إلى الموصل مستنجداً بالحمدانيين حكامها ، واستولى البريدى على إمرة الأمراء ودخل بغداد للمرة الثانية ، وقد عاث البريديون فساداً فى بغداد وسخط عليهم أهلها ، واشتبكوا معهم فى معارك متعددة[2]، وعندما إستنجد المتقى بالحمدانيين طمع أميرهم بالموصل الحسن بن عبد الله بن حمدان فى تولى إمرة الأمراء ، والسيطرة من خلالها على دولة الخلافة ، فتقدم ابن حمدان بقواته إلى بغداد لمحاربة البريديين ، بعد أن نجح فى التخلص من ابن رائق باغتياله ، ولما رأى البريدى أن لا قبل له بمواجهة قوات الحمدانيين ، خرج هارباً من بغداد

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٦٤ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٢٢٥ .

دون قتال ، فدخل ابن حمدان بغداد ومعه الخليفة المتقى الذى أسند إمرة الأمراء إليه ، ولقبه ناصر الدولة كما خلع على أخيه أبى الحسن ولقبه بسيف الدولة ، وجعل شرطة بغداد لأمير من أمراء الديالمة يدعى توزون[1]. وسرعان ما ساءت العلاقة بين الحمدانيين والخليفة بسبب إشتدادهم عليه نفس اشتداد قواد الأتراك ، فقد فرض ناصر الدولة على الخليفة أن يكتفى بقدر قليل من المال ، كما فرض على الناس التقشف ، ولما أحس ناصر الدولة الحمدانى بكراهية الخليفة وأهل بغداد له غادر بغداد، بعد عام واحد من دخولها عائداً إلى الموصل[2].

إنتهز توزون الفرصة وبسط سلطانه عام ٣٣١هـ على بغداد ، بعد أن هزم البريديين فى واسط ، فخلع عليه المتقى وولاه إمرة الأمراء . وسرعان ما ساءت أيضًا العلاقة بين الخليفة وتوزون ، فاضطر المتقى أن يستنجد مرة أخرى بناصر الدولة الحمدانى ، وذهب إليه فى الموصل طالباً الحماية، لكن الحمدانيين فى هذه المرة لم يسيروا مع الخليفة إلى بغداد ، بل طلبوا منه البقاء عندهم[3].

كان المتقى قد كاتب فى نفس الوقت أمير مصر ، محمد بن طغج الأخشيد طالباً النجدة منه ، إلا أن الإخشيد عرض على الخليفة المجئ إلى مصر ليلقى فيها العون والحماية ، لكن المتقى رفض عرض الإخشيد ومال إلى مصالحة توزون الذى احتال عليه ومناه بالوعود والأمانى ، وأقسم له

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣٨٢ .

(٢) أحمد رمضان أحمد : حضارة الدولة العباسية ، ص٧٤ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٦٦ .

بالطاعة والإخلاص لو عاد إلى بغداد ، وقد انخدع الخليفة بوعود توزون فبمجرد وصول الخليفة إلى بغداد قام توزون بالقبض عليه وسمل عينيه وحبسه ، بعد أن قام بخلعه عن الخلافة وبايع لأحد أفراد البيت العباسى الضعاف ، وهو عبد الله ابن المكتفى بن المعتضد ، الذى تلقب بالمستكفى بالله عام ٣٣٣هـ .

وظل المتقى مسجوناً خمسًا وعشرين عامًا إلى أن مات فى شهر شعبان من عام ٣٥٧هـ(١).

كان الخليفة المستكفى كغيره من الخلفاء السابقين ، ألعوبة فى أيدى الأتراك ، حتى إن توزون الذى أقره الخليفة فى منصب إمرة الأمراء ضم إليه غلامًا تركيًا من غلمانه يقف بين يديه(٢)، لكى يقف على أسرار الخليفة وما يجرى فى دار الخلافة من أمور ، وما لبث أن مات توزون فى المحرم من عام ٣٣٤هـ، فخلفه فى إمرة الأمراء كاتبه أبو جعفر بن شيرزاد(٣).

لم يَقِلْ شيرزاد فى تعسفه مع الخليفة عن سابقه ممن تولوا إمرة الأمراء ، فقد صادر الأموال ليزيد أرزاق الجند من الأتراك والديلم ، كما فرض الأموال الكثيرة على الكُتَّابْ والعمال والتجار وغيرهم من الناس ، مما حمل التجار على الهرب من بغداد ، وقد اضطر ابن شيرزاد من جراء المشاكل التى واجهته إلى الهرب والإختفاء من البلاد خوفاً من القتل ، بعد ثلاثة أشهر وعشرين يوماً فقط من توليه منصبه(٤).

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٦٣ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص٥٤١ .
(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٤١ .
(٤) عبادة كحيلة : العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، ص٢٢٢ .

لما هرب ابن شيرزاد وتخلى عن إمرة الأمراء ، دعا أعيان بغداد الأمير أحمد بن بويه الذى كان آنذاك بمنطقة الأهواز ، وطلبوا منه المجئ إلى بغداد لإنقاذها من حالة الفوضى التى عمت بها على أثر فرار شيرزاد وخلو منصب أمير الأمراء(١) .

دخل أحمد بن بويه بغداد فى الحادى عشر من شهر جمادى الأولى من عام ٣٣٤هـ، حيث استقبله أعيان بغداد بالحفاوة والترحاب ومعهم المستكفى ، الذى خلع عليه وقلده إمرة الأمراء ولقبه معز الدولة ، وقد بايع معز الدولة بدوره المستكفى بالخلافة ، كما منح الخليفة إخوة أحمد بن بويه – أيضاً – الألقاب الفخمة ، فمنح على بن بويه لقب عماد الدولة ، والحسن بن بويه لقب ركن الدولة(٢) .

وبدخول أحمد بن بويه وإخوته لبغداد تبدأ مرحلة جديدة فى العصر العباسى الثانى عرفت بالعصر البويهى أو عصر سيطرة البويهيين على الخلافة ، وهو عصر امتد من عام ٣٣٤هـ حتى عام ٤٤٧هـ، بعد أن إنتهى نفوذ الأتراك ليظهر على مسرح الأحداث عنصر جديد هو الفرس الديلم أو الديالمة .

هكذا كان نظام إمرة الأمراء الذى أنشأه الخليفة الراضى لإنقاذ الدولة، سبباً فى إحتضار الخلافة التى انتقلت من سيء إلى أسوأ وأصبح السبيل مفتوحاً لدخول بنى بويه ليواصلوا استبدادهم بالأمر دون الخليفة وأمير الأمراء .

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٦٧ .
(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٨٧ .

وخلاصة القول أن عصر إمرة الأمراء قد انتقل بالخلافة من عصر كانت ما تزال فيه قابضة على نواصي الأمور ، إلى عصر انعدمت فيه سلطة الخلافة تماماً وأصبحت رمزاً وأُلعوبة فى أيدى غيرهم من بنى بويه حتى هان أمر الخلافة على الناس .



الفصل السادس

الخـلافة العباسية فى عصر بنى بويه

(٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ)



الفصل السادس

الخلافة العباسية فى عصر بنى بويه

(٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ)

البويهيون جماعة من الفرس ينسبون إلى بلاد الديلم ، وهى المنطقة الجبلية الواقعة جنوب غربى بحر قزوين ، وقد عرفها المسلمون باسم بلاد الخزر ، وقد لعبت هذه المنطقة بوعورة تضاريسها دوراً فى تشكيل القوة الجسمانية للديالمة ، فجعلت منهم مقاتلين أشداء ومحاربين أكفاء ، لذلك استخدمهم أمراء النواحى فى جيوشهم ليستفيدوا من قدراتهم ومهاراتهم القتالية كجنود مرتزقة .

وقد شاب تاريخ بنى بويه بعض الغموض فبعض المؤرخين يرجع أصلهم إلى الملك الفارسى بهرام جور ، ومنهم من أرجع نسبهم إلى وزير بهرام جور مهر نرسى ، بينما يرفع بعضهم نسبهم إلى الآلهة كما كان يفعل الرومان فى تمجيد أبطالهم[١]، وينحط بهم البعض الآخر إلى دهماء الناس ، والحقيقة أنهم كانوا أسرة فقيرة ببلاد الديلم ، كان أبوهم بويه رجلاً فقيراً من عامة الناس يتعيش من صيد السمك ، ويعينه أولاده على الحياة بالقيام بأعمال صغيرة يتكسبون منها[٢].

وقد كان أحمد بن بويه بعد أن ملك البلاد وتولى إمرة الأمراء ببغداد يتحدث بنعمة الله عليه فيقول « كنت أحتطب الحطب على رأسى »[٣].

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٤٩٩ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٤٣ .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٧٧ .

أدى فقر بلاد الديلم ، إضافة إلى اضطراب الأحوال فيها ، وتناحر القبائل بعضها مع بعض على لقمة العيش إلى هجرة هؤلاء الديالمة لبلادهم وتسربهم إلى بلاد العالم الإسلامى المجاورة الأكثر رخاء ، عبر خط يبدأ من مدينة الرى فى الشمال نحو الجنوب إلى شرقى بلاد فارس فى منطقة الحدود بين دولة الخلافة العباسية ودولة السامانيين المستقلة(١).

اعتنق الديلم الإسلام على مذهب الشيعة الزيدية وهو الأمر الذى جعل للدول التى نجحوا فى إقامتها فى المشرق الإسلامى خطورة شديدة على الخلافة العباسية كالدولة الزيارية(٢) والدولة البويهية ، وقد حاولت الخلافة العباسية بالتعاون مع السامانيين أن توقف الزحف الديلمى نحو أراضيها ، لكن جهود العباسيين والسامانيين لم تمنع قيام الدولة الزيارية التى اسسها مرداويج بن زيار الديلمى ، والتى كانت المقدمة الحقيقية لقيام الدولة البويهية ، فقد عمل بنو بويه أول أمرهم فى خدمة مرداويج الديلمى ، تحولوا إليه بعد تغلبه على ديلمى آخر يدعى ما كان بن كالى(٣).

وقد أخذ نجم بنو بويه يظهر فى ظل الدولة الزيارية حين نجحوا فى الاستيلاء على همذان وأصبهان وضمهما للدولة الزيارية ، لكن سرعان ما تخوف الأمير الزيارى من قوة شخصية على بن بويه وتفوقه فى القتال ، فوجه إليه جنداً بقيادة أخيه وشمكير بن زيار لإخراجه من أصفهان ، ونجح

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠٣ .

(٢) تنسب الدولة الزيارية إلى مؤسسها مرداويج بن زيار الديلمى فى منطقة طبرستان ، والتى كانت البداية لقيام دولة البويهيين .
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٤٨ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، دار الفكر العربى ١٩٩٩ ، ص٦٦ .

وشمكير فى مهمته فغادر على بن بويه وأعوانه أصفهان إلى أرجان ، ثم تقدم بقواته إلى شيراز عام ٣٣٢هـ واستولى عليها ، كما أرسل أخاه أحمد بن بويه إلى كرمان فنجح فى الإستيلاء عليها[١] .

ولما قُتل مرداويج الديلمى على أيدى غلمانه الأتراك ، وجد البويهيون فرصتهم فى التوسع على حساب الزياريين ، فاستولوا على اصبهان والرى واستمروا فى توسعهم غربا ، فاستولى أحمد بن بويه على الأهواز واستولى على بن بويه على فارس ، وصارت قواتهم تقف على حدود العراق[٢] .

كتب على بن بويه إلى الخليفة العباسى الراضى بالله يعرض عليه طاعته ، على أن يعترف الخليفة العباسى بما صارت تحت يده من بلاد ، فأجابه الراضى إلى ما طلب ووجه إليه الخلع على أن يؤدى مبلغاً من المال إلى الخلافة كل عام ، لكن على بن بويه احتال حتى أخذ الخلع دون أن يدفع المال المطلوب[٣] .

كان للمال اعتبار خاص عند البويهيين فهم جند مرتزقة غامروا بحياتهم طلبًا للمال ، ولم يكن لهم من سند فى السلطان إلا ما يدفعونه من أموال لمن يعمل فى خدمتهم ، لذلك كان حرصهم على المال شديداً ، خصوصاً على بن بويه الذى حالفه الحظ فى الحصول على أموال كثيرة ، فضلاً عما استخرجه من خراج البلدان التى استولى عليها ، فيُذكر أنه وجد فى أرجان كنوزا كثيرة وأنه وجد فى سقف دار بشيراز كان ينزل بها ، صناديق بها خمسمائة ألف دينار ، واستدعى خياطاً ليخيط له ثياباً فظن

---

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٦٣ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٤٩ .
(٣) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٧٩ .

الخيـاط أنه يهـدده فـدله ـ أيضًا ـ على اثنى عـشر صندوقًا من المال[1]، ويقال إنه لولا هذا المال المخـفى الذى وجده على بن بويه ، لوقع فى أزمـة شديدة لأن الجند الديلمى لا يصبر على قلة المال .

كـانت الحـالـة فى العـراق مـضطربـة أشـد الاضطراب فى الوقت الذى أخذت فيه الهجرة البويهية تتجه إلى الجنوب ، وكانت الخلافة واقعة تحت نفوذ القواد الأتراك ، وكـانت الأمور المالية مـختلة أشد الاختلال ، وخزائن الخلافة خالية والخلفاء يقعون فى ضائقات كبيرة نتيجة لتحكم الأتراك وجـشـعـهم ، فـضـلاً عن ذلك كـان نـظام إمـره الأمـراء فى بغـداد ، الذى استـحـدثه الراضى قد أثبت فـشله فلم يستطـع حل المشـاكل التى واجـهت الخـلافـة ، بل زاد من مـشـاكلهـا وأوقـع البـلاد فى الفـوضـى والاضطراب ، الأمر الذى دفع أهل بغداد إلى الاستنجاد بأحمد بن بويه ليقر الأمور فيها ، بعد الذى سمعوه عن حسن إدارته وقوة شخصيته وكفاءته كـحاكم وقائد ، واستجاب أحمد بن بويه لطلب أهل بغداد ، فقد كانت هذه هى الفرصة التى ينتظرها البويهيون للسيطرة على دولة الخلافة ، فتقدم أحمد بن بويه نحـو بغداد ودخلها عـام ٣٣٤هـ، فلم يجد الخليفة العباسى المستكفى بالله الذى بويع عام ٣٣٣هـ بعد خلع المتقى ، بدًا من الترحيب والحفاوة بالأمير أحمد بن بويه ، ومـا لبث الخليفة أن ولى أحـمد بن بويه إمرة الأمـراء وخلع عليـه ولقبه « معز الدولة » ولقب أخاه عليا « عماد الدولة » وأخاه الحسن « ركن الدولة »، وأمر أن تضرب ألقابهم على دنانير الدولة ودراهمها[2].

وبدخـول أحـمد بن بويه وتوليـه إمرة الأمـراء فى بغـداد عـام ٣٣٤هـ

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص٩٥ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص١٦١ .

دخلت الخلافة العباسية عصر سيطرة النفوذ البويهى حتى عام ٤٤٧هـ.

كان الخلفاء العباسيون فى العصر البويهى : المستكفى (٣٣٣ ـ ٣٣٤هـ) والمطيع (٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ) والطائع (٣٦٣ ـ ٣٨١هـ) والقادر (٣٨١ ـ ٤٢٢هـ) والقائم بأمر الله (٤٢٢ ـ ٤٦٧هـ).

والملاحظ أن خلفاء العصر البويهى لم يُغيروا سريعًا كما كانوا يغيرون ويخلعون بعد بضع سنين فى العصور السابقة ، ومعنى هذا أن العصر البويهى شهد نوعًا من الاستقرار ، فالخلفاء يحكمون عشرات السنين دون أن يتعرض لهم أحد من ذوى السلطان ، ويفسر ذلك حسن أحمد محمود بأن إمرة الأمراء فى العصر البويهى كانت تتحمل كل المسئولية على حين بقى الخليفة رمزاً لا يتولى من حقيقة السلطان شيئاً قابلاً لأن ينازعه أحد عليه ، فالخليفة لم يكن مسئولاً عن الخزانة ولا عن الإدارة المالية ، ولا عن الجند ولا عن السياسة ، وإنما هو الذى يستطيع أن يعطى كل تصرفات البويهيين المالية والعسكرية والسياسية صفتها الشرعية ، فالاستقرار إذن كان ناشئًا عن وقوف الخلافة موقفاً سلبيًا ، مع أن الناس تعودوا أن يجدوا شخصية الخليفة إيجابية فعالة(١).

ويميل أكثر المؤرخين إلى القول بأن بنى بويه أذلوا الخلفاء بسبب مذهبهم المختلف ، وأنهم سلبوهم سلطانهم وجعلوا منهم ألعوبة فى أيديهم .

والحقيقة أن بنى بويه ورثوا وضعاً قام من قبلهم ، ولم يكن لهم يد فى هذا التطور الذى صارت إليه أمور الخلافة فى بغداد ، فبنو بويه حينما ورثوا منصب إمرة الأمراء لم يغيروا شيئاً ولم يستحدثوا قليلاً ولا كثيراً ، فقد

---

(١) العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٥٢٠ .

كانوا يسمون أمراء الأمراء فزادوا على ذلك لقب (الملك) أو (شاهنشاه)[1]، وهو لقب كان فى محله لأن أمراء الأمراء فى البيت البويهى كانوا أقدر وأقوى من أمراء الأمراء السابقين (الأتراك) الذين كانوا لا يعتمدون إلا على اجناد متقلبين فى أهوائهم ، بعكس اجناد بنى بويه الذين كانوا يحسون بقوميتهم الفارسية ، ثم إن معاملة بنى بويه للخلفاء جرت على نسق السنن السابقة ، يروى ابن طباطبا عن معاملة معز الدولة البويهى مع الخليفة المستكفى بالله قائلاً : « إن معز الدولة ركب يومًا إلى دار الخلافة وسلم على المستكفى وقبل الأرض بين يديه ، وأمر المستكفى فطرح كرسى فجلس عليه معز الدولة ، ثم تقدم إليه رجلان من الديلم بمواطأة معز الدولة فمد أيديهما نحوه ، فظن المستكفى أنهما يريدان تقبيل يده ، فمد يده فجذباها ونكساه من السرير ووضعا عمامته فى عنقه وسحباه ، ونهض معز الدولة وضربت البوقات والطبول ، واختلط الناس ودخل الديلم إلى حرم الخليفة ، وحُمل المستكفى إلى دار معز الدولة فاعتقل بها ، وخلع من الخلافة ونهبت داره وسُملت عيناه ، ولم يزل فى دار السلطنة معتقلاً حتى توفى عام ٣٣٨هـ »[2].

بعد أن خلع معز الدولة البويهى الخليفة المستكفى ، أحضر الفضل بن المقتدر ، واقامه خليفة بدله باسم المطيع لله (٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ) ، كان المطيع لله خليفة ضعيفًا ، ولم يكن له مع معز الدولة البويهى من الأمر شىء ، سوى ذكر اسمه فى الخطبة ونقش اسمه على السكة ، بل إن معز

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٥٢١ .

(٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٨٧ .

الدولة حدد للمطيع لله بعض الإقطاعات القليلة لكى يتعيش منها[1]، وقد ظل المطيع لله مجرد رمز للخلافة حتى ضاق من الخلافة وتنازل عنها عام ٣٦٣هـ لابنه عبد الكريم ، الذى بويع خليفة باسم الطائع لأمر الله .

كان الطائع لأمر الله ألعوبة فى أيدى البويهيين حتى قبضوا عليه وعزلوه عن الخلافة عام ٣٨١هـ وبايعوا بعده لأحمد بن اسحاق بن المقتدر بالخلافة باسم القادر ، وقد استمر فى الخلافة مدة طويلة حتى وفاته عام ٤٢٢هـ، ثم تولى الخلافة بعده ابنه عبد الله باسم الخليفة القائم بأمر الله ، وقد طالت خلافته حتى انتهت دولة بنى بويه أثناء توليه الخلافة .

لم يكتف البويهيون بإضعاف الخلافة العباسية ، بل فكروا فى إقصاء العباسيين عن الخلافة وتحويلها إلى العلويين ، تمشيًا مع اعتقادات البويهيين الشيعية ، كأتباع للمذهب الزيدى الذى يرى أحقية العلويين دون غيرهم فى الخلافة[2]، ففكر فى ذلك معز الدولة فى بداية تسلمه السلطة فى البلاد ، لكن خواصه وأعوانه حذروه عاقبة ذلك الأمر ، وهى إثارة البغداديين الذين اعتادوا طاعة الخليفة والخلافة ، كذلك إثارة الأمة الإسلامية السنية المذهب ضده ، كما أشاروا إليه إلى أنه من مصلحة البويهيين أن يحكموا الدولة فى ظل خليفة عباسى ضعيف يستأثرون بالأمر دونه، خيراً من أن يبايعوا خليفة علوى قوى قد يسلبهم السلطة والسلطان ولا يكون لهم معه شىء ، لذلك تحول معز الدولة عن تنفيذ فكرته وظل يستأثر بالسلطان دون الخليفة العباسى ، وسار خلفاؤه من حكام البويهيين على نفس السياسة وتزايد نفوذهم فى الدولة ، ويظهر ذلك إذا ما قارنا الألقاب

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠٥ .
(٢) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٦٤ .

التى حملوها بألقاب الخلفاء ، ففى الوقت الذى كانت ألقاب الخلفاء العباسيين تتناقص وتأخذ شكلاً يدل على الضعف والإستكانة : كالمطيع والطائع والقائم ، كانت ألقاب البويهيين تتزايد وتتعاظم : كعضد الدولة وجلال الدولة وأصبح لكل أمير بويهى أكثر من لقب ، حتى لقبوا أخيراً بشاهنشاه أو ملك الملوك[1].

لم يكتف البويهيون بالاستئثار بالنفوذ والسلطان فى دولة الخلافة ، بل شاركوا الخليفة سيادته الدينية والسياسية ، فقد أرغم عضد الدولة البويهى (٣٦٧ ـ ٣٧٢هـ) الخليفة على ذكر اسمه فى الخطبة بعد الدعاء للخليفة ، بل قطع عضد الدولة ذكر اسم الخليفة الطائع لمدة شهرين فى الخطبة لخلاف معه[2]، كما أصر البويهيون على نقش أسمائهم على السكة مضافاً إليها القابهم بعد اسم الخليفة ، كذلك أجبر الأمراء البويهيون الخليفة العباسى على الموافقة على أن يضرب على الطبول والدبادب والأبواق فى أوقات الصلاة ، كما كان يجرى على باب الخليفة ، فأجبر عضد الدولة الخليفة الطائع على مشاركته فى هذا الأمر فى أوقات صلاة الصبح والمغرب والعشاء فقط ، بينما أصر جلال الدولة فى عهد الخليفة القادر بالله على أن تقرع له الطبول خمس مرات يومياً .

وعلى الرغم من مشاركة الأمراء البويهيون للخلفاء العباسيين فى شارات الخلافة ، فضلاً عن استئثارهم بالسلطة والنفوذ فإن السلطة الدينية ظلت فى أيدى الخلفاء[3]، كما احتفظ بنو العباس رغم سلطانهم المسلوب

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠١ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٢٤١ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص٧٠ .

بحق تولية العهد لأبنائهم ، وكان يتم ذلك فى احتفالات كبيرة يحضرها الأمراء البويهيون والقضاة والفقهاء والعلماء وكبار رجال الدولة .

لقد ظل البويهيون أقوياء داخل العراق وخارجها طالما كانوا حريصين على وحدتهم وتماسكهم ، لكن سرعان ما دب النزاع بين أفراد البيت البويهى وسادت الفرقة بين أبنائه خاصة عقب وفاة عضد الدولة عام ٣٧٢هـ(١)، وكان عضد الدولة قد استطاع أن يوحد دولة البويهيين عقب وفاة معز الدولة عام ٣٥٦هـ باستيلائه على ممتلكات عز الدولة بختيار بن معز الدولة وممتلكات أخيه ركن الدولة .

ذلك لأنه عندما توفى معز الدولة خلفه ابنه عز الدولة بختيار فى حكم العراق والأهواز وكرمان ، وحدث أن ثار الجند على بختيار فاستنجد بابن عمه عضد الدولة بن عماد الدولة ، وكان من أقوى أمراء بنى بويه وأبعدهم نظراً فى السياسة والإدارة ، فتقدم عضد الدولة لمساعدة ابن عمه بختيار ونجح فى اخماد ثورة الجند وإعادة الأمور إلى نصابها ، إلا أن عضد الدولة لم يكن مخلصًا كل الأخلاص لابن عمه بختيار ، إذ كان يضع عينيه على أملاك بختيار ويطمع فيها ، وبالفعل نجح فى الإستيلاء عليها والإطاحة بحكمه ، كذلك نجح فى انتزاع أملاك أخيه ركن الدولة ، وتمكن عضد الدولة بذلك من توحيد الدولة البويهية كلها تحت سلطانه وعادت كما كانت أيام مؤسسها معز الدولة(٢).

لم تهنأ الدولة البويهية بعودة قوتها على يد عضد الدولة ، إذ ما لبث أن نشب القتال مرة أخرى بين أبناء عضد الدولة وذلك بعد وفاته ، وانتهى

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ، ص٥٥ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠٢ .

القتال بينهم بانتصار ابنه بهاء الدولة الذى ظل يحكم حتى وفاته عام ٤٠٣هـ .

وانقسمت الدولة البويهية بعد وفاة بهاء الدولة بين ابنائه الأربعة ، الذين لم يستطيعوا الحفاظ على البلاد التى كانت فى أيديهم ، فسقط بعضها فى أيدى أمراء البلاد المجاورة ، بعد أن استغلوا الفرصة للتخلص منهم وتوسيع رقعة أراضيهم على حساب ملكهم المتداعى[١] .

وخلف بهاء الدولة بعد وفاته عام ٤٤٠هـ ابنه أبو كاليجار ، ومن بعده أبو نصر خسرو فيروز الملقب بالملك الرحيم ، الذى انتزع السلاجقة فى عهده عام ٤٤٧هـ ما كان بيد البويهيين من سلطة ونفوذ فى دولة الخلافة ، وذلك بعد أن دخل الأمير السلجوقى طغرلبك بغداد وأزال سيادة البويهيين منها ، وفرض نفوذ السلاجقة وسيادتهم لتدخل الخلافة العباسية فى دور آخر من أدوار تحكم أحد العناصر التركية فى العراق ، والذى عرف بعصر سيادة الأتراك الثانى تحت الحكم السلجوقى .

وقد استمر هذا العصر حتى نهاية الدولة العباسية فى العراق على أيدى المغول عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م[٢] .

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص٧٢ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠٧ .

الفصل السابع

الخـلافة العباسية فى العصر السلچوقى

(٤٤٧ ـ ٦٥٦هـ)



الفصل السابع

الخلافة العباسية فى العصر السلجوقى

(٤٤٧ - ٦٥٦هـ)

يطلق على القرنين الأخيرين من عمر الخلافة العباسية اسم العصر السلجوقى . والذى يمتد ما بين خضوع بغداد للسلاچقة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م ، حتى سقوط الخلافة نهائياً على أيدى المغول عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

السلاجقة فرع من قبائل (الغز) الأتراك ، كانت قبيلتهم تسمى قنق أو غز قنق ، ثم عرفوا باسم السلاچقة نسبة إلى زعيمهم سلجوق بن دقاق الذى جمع شملهم ووحدهم تحت زعامته(١).

اعتنق السلاجقة الإسلام فى عهد سلچوق على المذهب السنى ، فكان نقطة تحول فى حياتهم فباعتناقهم الإسلام إنهار الحاجز الذى كان يفصل بينهم وبين الأمة الإسلامية ، بل بينهم وبين التاريخ العالمى ، إذ أخذوا يتسربون إلى ممالك المسلمين يدخلون فى خدمة ملوكها وأمرائها وقوادها ، ويمدون العالم الإسلامى بقوة جديدة ويعطونه حيوية ، ثم واتتهم الفرصة فكونوا لأنفسهم دولاً وجلسوا على كراسى الملك .

كان السلاجقة (الغز) يسكنون فى منطقة التركستان(٢) كغيرهم من الأترك ، وكانوا يتجولون فى تلك المناطق الواسعة الممتدة فى وسط آسيا

---

(١) حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى ، العصر العباسى ، ص٥٤٢ .

(٢) يذكر ياقوت الحموى أن التركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك ، وأنهم فروع كثيرة : التغزغز والخزلخ والكيماك والغز والجفر والبجباك والبندكس والأذكس والجفشاق والفرخيز. معجم البلدان : مادة تركستان ، جـ٢ ، ص٣ .

من حدود الصين حتى بحر الخَزَر (جنوب روسيا) وكثيراً ما حلت جماعات منهم في بلاد ما وراء النهر[١].

كانت سهول آسيا الوسطى إحدى مناطق الضخ السكاني في العالم القديم ، وكان أهلها ينزحون عنها ـ مثلها في ذلك مثل شبه الجزيرة العربية ـ لدوافع اقتصادية أو سياسية ، فكثيراً ما كانت تعجز تلك النواحي عن اطعام الكتل البشرية المتزايدة فيها ، وكثيراً ما كانت المنازعات السياسية وضغط القبائل بعضها على بعض يدفعهم إلى النزوح غرباً حيث العالم الإسلامي ، الذي كانت تستهويهم خيراته وحضارته ، وعلى هذا النحو نزح سلجوق بن دقاق بجماعته التي نسبت إليه ونزل بلاد ما وراء النهر[٢]، ثم ارتحل بعد ذلك بناحية جَنْد[٣] واتصل بالمسلمين في تلك النواحي واعتنق الإسلام .

لم يلبث السلاجقة بعد أن استقروا في جند أن نشطوا في محاربة الترك غير المسلمين ، وحققوا بذلك أكثر من هدف ، فقد أبانوا عن حماسهم للإسلام وغيرتهم عليه في مواجهة أعدائه ، وزادوا عن أهل النواحي التي نزلوا بها واكتسبوا بذلك محبتهم ، وارضوا السامانيين بدفعهم لهجمات الترك الكفار عن أراضيهم ، لذلك توطد مركز السلاجقة فيما وراء النهر ، ساعد على ذلك أن زعيمهم سلجوق قد عمر طويلاً ، فقد جاوز المائة عام ،

---

(١) محمد بركات البيلي : دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، ص١٦٧ .

(٢) ترجع الرواية العربية أن ملك الترك كان قد عين سلجوق (شباشيا) أي قائد الجيش ، فلما رأت زوجة ملك الترك أنصياع الناس لسلجوق حذرت زوجها منه وحرضته ضده ، فلما أحس سلجوق بتغير ملك الترك له جمع عشيرته ومن تبعه وخرج بهم إلى بلاد ما وراء النهر . ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، ص٢٩٢ .

(٣) جَنْد : اسم مدينة عظيمة من بلاد ما وراء النهر ، قريب من نهر سيحون وأهلها على المذهب الحنفي . ياقوت الحموي : معجم البلدان ،، جـ٢ ، ص١٦٨ .

وعندما توفى سلچوق انتقلت زعامة السلاجقة إلى أكبر أبنائه إسرائيل ، الذى كان يلقب بأرسلان بيغو[١] .

تدخل السلاچقة فى الصراع الحربى بين القرة خانيين[٢] والسامانيين ، وأدى ذلك إلى ازدياد نفوذهم وقوتهم ومقدرتهم العسكرية ، خاصة بعد الانتصارات التى أحرزها أرسلان بيغو ، وكانت خراسان وبلاد ما وراء النهر ضمن ممتلكات السلطان الغزنوى محمود الغزنوى ، الذى أدرك وفرة أعداد السلاچقة وخطورتهم على دولته ، فعول على التخلص منهم لكنه آثر ألا يحاربهم وإنما يأخذهم بالحيلة أولاً ، فدعا لمقابلته زعيمهم إسرائيل (أرسلان) بغرض التفاوض بشأن عقد محالفة بينه وبينهم ، فذهب إسرائيل وقابل السلطان محمود الغزنوى فى خواصه وأعيان رجاله ، ولما تبين للسلطان محمود من حديث إسرائيل مدى خطورته وقوة أعداد السلاچقة ، بادر بالقبض على إسرائيل ومن معه وأودعهم السجن بالملتان فى الهند سبع سنوات حيث توفى فيه[٣] .

أثار غدر السلطان محمود باسرائيل حفيظة السلاچقة فعزموا على الانتقام لزعيمهم ، ولما كانوا لا يستطيعون التغلب على السلطان مخمود ، فقد رأوا أن ينتظروا الفرصة المواتية ، وقاموا بمصانعة ومداهنة السلطان محمود ، حتى سمح لهم بالانتقال إلى خراسان فعبروا إليها نهر جيحون واستقروا فيها مظهرين الطاعة والولاء للسلطان محمود [٤] .

---

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٦٩ .

(٢) القره خانيين : هم الأتراك الشرقيون ، كانت قاعدتهم كاشغر التى كانوا يطلقون عليها أرد وكنت أو قاعدة السلطان . محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٣٩ .

(٤) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠٩ .

كان انتقال السلاجقة إلى خراسان بداية لمرحلة جديدة فى تاريخهم ، تعد من أهم وأخطر مراحل الكفاح السلجوقى من أجل بناء كيان مستقل لهم، والقيام بدور بارز فى قيادة العالم الإسلامى ، وقد تولى قيادتهم فى هذه المرحلة أبناء ميكائيل بن سلجوق ، جغرى بك أبو سليمان داود ، وطغرلبك أبو طالب محمد ، فأخذوا يدعمون قوتهم فى المناطق المحيطة بهم متجنبين فى هذه المرحلة الهامة من تاريخهم أن يحاربوا السلطان محمود لقوته وشدة بأسه[1]، لكن أهل (نسا) و (باورد) اشتكوا للسلطان محمود الغزنوى من عدوان السلاجقة عليهم وتوسعاتهم ، فعهد السلطان محمود إلى والى طوس بتأديب السلاجقة وإجلائهم ، ولكنهم انتصروا عليه انتصاراً كبيراً ، أدى إلى إضطرار السلطان محمود إإلى الخروج بنفسه لمحاربتهم وهزيمتهم عند رباط قراوة عام ٤١٩هـ[2].

لم ييأس السلاجقة بعد هزيمتهم بل وحدوا صفوفهم وأعادوا تنظيمها ، وحالفهم الحظ بوفاة السلطان محمود الغزنوى بعد عامين فى عام ٤٢١هـ[3]، ولم يكن خلفاؤه على مثل كفاءته ، وتدهور البيت الغزنوى لما دب فيه من نزاع داخلى ، فأخذ السلاجقة يتوسعون فى خراسان فاستولوا على مرو وسرخس وبادغيس وغيرها من نواحى خراسان ، حتى اصطدموا بوالى نيسابور (قاعدة الغزنويين فى خراسان)، ولم يجد والى نيسابور بداً من الاستعانة بالسلطان مسعود الغزنوى الذى خلف أبيه محمود الغزنوى ، ولكن السلاجقة استطاعوا هزيمة السلطان مسعود نفسه ، واضطر نتيجة ذلك

---

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٧٠ .

(٢) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول . مكتبة نهضة الشرق ١٩٨٥ ، ص٧٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٤٩ .

أن يقبل مصالحتهم بشروط سهلة ليتفرغ لجهوده العسكرية وفتوحاته فى الهند[1]، أو ليستجمع قواه هناك تمهيداً لجولة أخرى مع السلاچقة فيما بعد.

كان السلاجقة هم الذين طلبوا مصالحة السلطان مسعود على الرغم من انتصارهم عليه ، وهم بذلك أظهروا مهارة سياسية فائقة ، فقد أرادوا من وراء ذلك جنى ثمار انتصارهم ، والحصول على اعتراف مسعود بملكية الجهات التى استولوا عليها ، فضلاً عن اتاحة الفرصة ليلتقطوا أنفاسهم ويستجمعوا قواهم قبل الدخول فى جولة أخرى ، وقد طلبوا فى صلحهم مع مسعود أن يعطيهم مزيداً من المدن بحجة أن البلاد التى بأيديهم أصبحت تضيق بهم ، لكنه فطن بعد ذلك إلى أغراضهم الحقيقية فى التوسع على حساب دولته ومخادعتهم له ، فنقض الصلح الذى أبرمه معهم[2]، وأمر والى خراسان بضرب السلاچقة وطردهم ، ولكنه أجابه بأن : « أمر السلاچقة قد علا بحيث لا أستطيع أنا ولا غيرى أن نقاومهم »[3]، عندئذ سير مسعود قواته لحرب السلاچقة ، الذين ألحقوا به وبقواته هزيمة فادحة على أبواب مدينة سرخس عام ٤٢٩هـ، ثم تقدم طغرلبك إلى مدينة نيسابور فدخلها وجلس على عرش السلطان مسعود ، وأعلن دولة السلاچقة ونادى بنفسه سلطاناً باسم (طغرلبك السلطان المعظم ، ركن الدنيا والدين أبو طالب»[4].

وقد اتخذ طغرلبك لقب (سلطان) ولم يتخذ لقب (أمير) لأن السلاچقة

---

(١) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، ص٧٧ .

(٢) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٥٥٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص١٧٩ .

(٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص٢٨ .

ورثوا أراضى الغزنويين فى خراسان ، وبالتالى ورثوا ألقابهم ورسومهم ، وكان محمود الغزنوى أول من اتخذ لقب (السلطان) ، وهذا اللقب يناسب تصورهم لفكرة السلطة السياسية التى كانوا يطمعون فى تحقيقها[١] .

لما علم السلطان مسعود بأعلان طغرلبك السلجوقى نفسه سلطاناً فى نيسابور ، خرج لتأديبه بنفسه على رأس قوات كبيرة ، إلا أن السلطان مسعود لقى – أيضًا – هزيمة ساحقة عند داندنقان بين سرخس ومرو عام ٤٣١هـ[٢] .

كانت معركة داندنقان هى بداية النهاية للدولة الغزنوية ، وبداية الصعود للدولة السلچوقية ، فقد اجتمع طغرلبك بأخيه جغرى بك وعمه موسى بن سلچوق ، وغيرهما من زعماء السلاچقة وتدارسوا خططهم وتحركاتهم القادمة[٣] .

وقد قسم طغرلبك أملاك السلاچقة بين أفراد بيته ليتعاونوا على تحقيق أهدافهم المشتركة وليبعد عنهم الخصومة والتنافس على السلطة ، كما أذن لكل منهم بالتوسع فى الجهات المجاورة له وضم ما يستطيع منها إلى ولايته ، واطلق على كل وال من هؤلاء الولاة لقب (شاه) أما الرئيس الأعلى للدولة جميعها فأطلق عليه لقب (سلطان) وله الكلمة النافذة فى جميع أنحاء الدولة ، وبذلك وطد طغرلبك سلطته وضمن الوحدة بين أفراد أسرته[٤] .

---

(١) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلچوقى الأول ، ص٨٣ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٤١ .

(٣) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٧٣ .

(٤) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى ، ص٨٨ .

اتخذ طغرلبك مدينة الرى قاعدة له ، وأراد أن يستكمل شرعية دولته، فراسل الخليفة العباسى حينئذ القائم بأمر الله ، مظهراً له ولاء السلاجقة للخلافة العباسية وتدينهم وحبهم للجهاد ، وأنهم لم يبادئوا الغزنويين العداوة وإنما السلطان محمود هو الذى اعتقل زعيمهم إسرائيل بن سلجوق ، وسار ابنه مسعود على نهجه فى الاعتداء على السلاجقة ، لكن الله أعانهم على الغزنويين ، كما طلب طغرلبك من الخليفة اعتراف الخلافة بدولته وحكمه لما فى حوزته[1].

قبل الخليفة القائم مبررات طغرلبك وأرسل إليه قاضى القضاة أبا الحسن على الماوردى بالخلع وبتفويض بحكم البلاد التى بحوزته ، وبدعوة من الخليفة إلى طغرلبك للحضور إلى دار الخلافة ببغداد وذلك عام ٤٣٢هـ[2].

استيلاء السلاجقة على العراق :

بينما كان طغرلبك يبسط سلطانه على غربى وجنوبى إيران ويستولى على أملاك البويهيين فيها ، كانت الدولة البويهية قد وصلت إلى حالة يرثى لها من التفكك والضعف ، وأصبح الخليفة العباسى فيها لا حول له ولا طول ، كما ازدادت الأحوال ببغداد سوءاً ، وعجز الملك الرحيم آخر أمراء البويهيين عن ضبط الأمور ، وعلا نفوذ جنده الأتراك واستأثر رئيسهم أبو الحارث أرسلان البساسيرى بالسلطة فى حاضرة الخلافة .

نشأ فى بغداد تنافس على السلطة بين البساسيرى والوزير أبى القاسم

---

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٧٤ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٤٢ .

ابن المسلمة رئيس الرؤساء ، وكان هذا التنافس سبب فتنة البساسيرى وخروجه على الخلافة العباسية ، فقد أفسد ابن المسلمة ما بين البساسيرى والخليفة القائم بأمر الله ، واتهم البساسيرى بمشايعة الفاطميين ، فطلب الخليفة القائم من الملك الرحيم البويهى أبعاد البساسيرى الذى انتهى به المقام فى الرحبة[1].

شجعت عوامل الضعف فى الخلافة العباسية طغرلبك على التوجه إلى بغداد لبسط نفوذ السلاجقة عليها ، ولمد نفوذ السلاچقة على العراق ، خاصة بعد أن نجح فى ضم كل أقاليم إيران إلى دولته ، وتوطيد سلطانه فيها ، فأظهر أنه يريد التوجه للحج وأصلاح طريق مكة ، والمسير إلى الشام ومصر لإزالة المستنصر بالله الفاطمى ، والقضاء على الدولة العلوية الإسماعيلية المسماه بالدولة الفاطمية[2]، ثم أرسل إلى الخليفة العباسى يستأذنه فى الدخول إلى العراق ، للمثول بين يديه فأذن له الخليفة القائم بأمر الله بدخول بغداد وأمر أن يخطب لطغرلبك على المنابر فى رمضان عام ٤٤٧هـ ولقبه السلطان ركن الدولة أبو طالب محمد بن ميكائيل يمين امير المؤمنين[3]، على أن يذكر بعده فى الخطبة اسم الملك الرحيم البويهى.

وبذلك ابتدأ عصر الهيمنة والنفوذ السلچوقى على الخلافة العباسية ، خاصة وأن طغرلبك قضى نهائيًا على ذكر البويهيين بعد أن قبض على الملك الرحيم وسجنه حتى توفى بعد ثلاث سنوات عام ٤٥٠هـ[4].

---

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٧٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص٢٢٧ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٤٣ .

(٤) أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، جـ٣ ، ص٤٢١ .

يمكن القول أن الخلافة العباسية بدأت عصراً جديداً يختلف عما كانت عليه في العصر البويهي ، فقد كان سلاطين السلاجقة السنيون أكثر حرصاً على اظهار احترامهم للخلافة العباسية من البويهيين الزيديين ، كما كان السلاچقة أبعد همة من البويهيين ، فلم يكن همهم الأول السيطرة على الخلافة العباسية ، بقدر ما كان همهم الدخول فى ميدان الجهاد ضد الروم ، لذلك لم يكتفوا بالإغارات التقليدية التى كان العباسيون يقومون بها ، فقد كان السلاچقة فى جهادهم ضد الروم أشبه بالأمويين فى حروبهم مع البيزنطيين ، إذ كانوا يهدفون إلى الإحاطة بالدولة البيزنطية وامتلاك أراضيها ، وقد نجح بالفعل فرع منهم (سلاجقة الروم) فى اقتطاع آسيا الصغرى من ملاك البيزنطيين وأقاموا عليها دولة قوية باسمهم[1] .

بينما كان طغرلبك يصفى نفوذ البويهيين ويعتقل الملك الرحيم البويهى كان البساسيرى فى الرحبة يعد العدة للخروج على العباسيين وتحويل الخلافة للفاطميين ، فكاتب المستنصر بالله الفاطمى مظهراً طاعته وطالبًا تأييده ومعونته ، وانضم إليه بقايا البويهيين فتمكن البساسيرى من تجهيز قوة كبيرة أوقعت الهزيمة بجند السلاچقة بقيادة قتلمش بن عم طغرلبك عند سنجار عام ٤٤٨هـ ، ودخل البساسيرى الموصل وخطب فيها للمستنصر بالله الفاطمى ، فتشجع بعض أمراء العراق كأمير الكوفة وأمير واسط على خلع طاعة الخليفة العباسى القائم بأمر الله وخطبوا للمستنصر الفاطمى .

لقد احدث البساسيرى بذلك انقلاباً فى بلاد العراق ، وزالت الخلافة العباسية السنية ، وحلت محلها الخلافة الفاطمية الشيعية ، وأصبحت بغداد والعراق تابعة من الناحية النظرية للقاهرة حاضرة الخلافة الفاطمية ، وإزاء

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٧٧ .

هذا الموقف الخطير استنجد الخليفة العباسى ورجال دولته بطغرلبك للقضاء على حركة البساسيرى الشيعية ، وأسند إليه حكم الموصل والجزيرة ، فسار طغرلبك للمرة الثانية [١] إلى بغداد وسيطر عليها ثم خرج بنفسه إلى الموصل لمحاربة البساسيرى ، فاستعاد الموصل وعاد إلى بغداد ، حيث احتفى به الخليفة القائم حفاوة بالغة ولقبه ملك المشرق والمغرب عام ٤٤٩هـ وعهد إليه بحكم جميع ما ولاه الله[٢] ، وبذلك ازداد نفوذ وسلطان طغرلبك فاصبح يحكم بتفويض من الخليفة العباسى كل البلاد التى يمتد إليها نفوذه وسلطانه .

اضطر طغرلبك إلى مغادرة بغداد متجهاً إلى بلاد الجبل لاخماد ثوة قام بها أخوه لأمه إبراهيم إينال ، فانتهز البساسيرى فرصة خروج طغرلبك من بغداد واستولى على الموصل مرة أخرى ، ثم زحف إلى بغداد فدخلها بسهولة فى الثامن من ذى القعدة عام ٤٥٠هـ دون أن يلق مقاومة تذكر[٣] ، ومال إليه أهل الكرخ بسبب تشيعهم ورحبوا بقدومه واقاموا له الزينات فى الأسواق ، وفى اليوم الثالث عشر من ذى القعدة ، أقام البساسيرى الخطبة بجامع المنصور الكبير للخليفة المستنصر الفاطمى ، كما أمر المؤذنين أن يؤذنوا (بحى على خير العمل) ، ثم خطب بعد ذلك للخليفة الفاطمى من على جميع منابر بغداد وضربت السكة باسمه ، وبعث البساسيرى إلى

---

(١) لما بلغ الخليفة ما حل بالملك البويهى وأتباعه ، بعث إلى طغرلبك ينكر عليه سياسة العنف التى لجأ إليها على أثر دخوله بغداد أول مرة ، وطلب منه وقواته الرحيل عن بغداد ، فارتحل طغرلبك عنها بعد أن ظل بها ثلاثة عشر شهراً ، لم يحظ خلالها بمقابلة الخليفة . عطية القوصى . تاريخ الدولة العباسية ، ص٢١٢ ؛ عبادة كحيلة : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٠ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٤٤ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢١٤ .

المستنصر بمصر يبشره بفتح بغداد وإقامة الدعوة والدعاء له من فوق منابرها ، فعمت الفرحة مصر وازدانت شوارع القاهرة لهذا الحدث الذى كان العلويون يسعون له منذ أمد بعيد[١] .

قام البساسيرى بالقبض على الخليفة العباسى القائم بأمر الله وحبسه بالقرب من مدينة الأنبار لدى الأمير مهارش بن المجلى أمير الحديثة ، وقد ارغم البساسيرى الخليفة قبل مغادرة بغداد على كتابة إقرار يعترف فيه بعدم أحقيته هو والعباسيين فى الخلافة مع وجود أبناء فاطمة الزهراء[٢]، ثم بعث بهذا العهد إلى القاهرة حيث ظل محفوظاً بقصر الخلافة حتى استرده السلطان صلاح الدين الأيوبى عام ٥٦٧هـ بعد قضائه على الخلافة الفاطمية ، وبعث به إلى الخليفة العباسى المستضىء بالله فى بغداد ، مع بعض التحف والهدايا التى استولى عليها الفاطميون من قصور الخلافة ببغداد .

لم يكتف البساسيرى بدخول بغداد وخلع الخليفة العباسى والدعاء للخليفة الفاطمى ، بل عمل على إخضاع بلاد العراق كله لنفوذه ، فسار بجنوده واستولى على واسط والبصرة وأقام فيها الدعوة للخليفة المستنصر بالله الفاطمى[٣] .

---

(١) عندما بلغت هذه الأنباء مصر واقيمت الاحتفالات ، وقفت إحدى المغنيات تحت قصر الخليفة المستنصر تنشد هذين البيتين :

يا بنى العباس صدوا ... مَلك الأمر مِعد
ملككم كان معاراً ... والعوارى تسترد

فاعجب المستنصر بغنائها واقطعها أرضاً ما زالت تعرف بها إلى اليوم بأرض الطبالة .
عبادة كحيلة : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٢ .

(٢) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى ، ص١٠٨ .

(٣) محمد محمود إدريس : المرجع السابق ، ص١٠٨ .

على الجانب الآخر استطاع طغرلبك أن يقضى على ثورة أخيه إبراهيم إينال ، فى الوقت الذى لم تبذل الخلافة الفاطمية جهداً جدياً لمعاونة البساسيرى والتمكين له بالعراق ، بل تركته ليواجه وحده طغرلبك بقواته التى لا قبل للبساسيرى بها[1]، وقد أدرك البساسيرى ذلك وإنه لا قبل له بمواجهة هذه القوات فأمر جنده بمغادرة بغداد ، فغادرها وهو على رأسهم عام ٤٥١هـ متجهاً إلى الكوفة ، حيث تعقبه ـ بعد ذلك ـ الجند السلاجقة وقاموا بقتله فى ذى الحجة من نفس العام ٤٥١هـ[2]، وبموت البساسيرى ضاعت على الفاطميين فرصة نادرة لتحقيق أحلامهم فى الإطاحة بالعباسيين وجعل الخلافة فى العالم الإسلامى كله للشيعة الفاطميين .

دخل طغربك بغداد دون مقاومة بعد هروب البساسيرى ، فأرسل إلى الخليفة العباسى يخبره بالنصر والعودة إلى عاصمة الخلافة بغداد ، وقد أراد طغرلبك أن يبالغ فى الاحتفال بعودة الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، ليظهر إخلاصه وولاءه له ، فخرج فى مقدمة المستقبلين لاستقباله عند وصوله إلى النهروان ، ولما وصل قبل الأرض بين يديه ، واهدى إليه بعض الجواهر ، واعتذر له عن تأخره لنجدته بسبب فتنه اخيه إبراهيم ، فشكره الخليفة وقلده سيفاً .

نجح السلاجقة فى انقاذ الخلافة من فتنة البساسيرى ، وعاد الأمن إلى

---

(١) كانت أحوال مصر الاقتصادية فى نهاية عهد المستنصر قد ضعفت ، بسبب النكبات والمجاعات التى حلت بها ، وبالتالى لم تكن الخلافة الفاطمية قادرة على إمداد البساسيرى بالجند والمعدات . عصام الدين عبد الرؤوف . الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى . ص١٤٥ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٠٩ .

بغداد واقيمت الخطبة للخليفة العباسى ، فاستقر الأمر حينئذ للسلاجقة بالعراق[1] .

سياسة السلاجقة مع الخلفاء العباسيين :

كان دخول السلاجقة بغداد فى عام ٤٤٧هـ بداية عهد جديد للخلافة العباسية ، ومع أنهم أبعدوا خطر الفاطميين إلا أن أحوال الخلافة لم تختلف كثيراً عما كانت عليه أيام البويهيين ، بل إن السلاجقة عاملوا العراق على أنه إقليم من أقاليم دولتهم الواسعة ، واكتفوا بأن أرسلوا نواباً عنهم ليراقبوا نشاط الخلفاء والوزراء ، وظل الخليفة يعيش من الأرزاق والإقطاعات التى يقررها له السلاجقة ، ولم يبق للخليفة فى عهدهم سوى ذكر اسمه فى الخطبة ونقشه على السكة[2] .

وقبل أن يرحل طغرلبك إلى الرى أمر بأن تحمل موارد العراق المالية إلى خزانته ، بدلاً من خزانة الخليفة ، وأناب عنه فى حكم بغداد موظفًا يعرف بالعميد ، وعين موظفًا آخر لحفظ الأمن فى بغداد يعرف بالشحنة[3]، ووضع تحت تصرفهما حامية من الجند السلجوقى .

تدخل نواب سلاطين السلاجقة فى بغداد فى شئون الخليفة ، وكان طغرلبك يستعين بهم فى تحقيق اغراضه عندما تسوء العلاقة بينه وبين الخليفة العباسى ، كما بلغ من نفوذ السلاجقة أن تقدم طغرلبك لمصاهرة الخليفة العباسى فتتزوج ابنته سيدة خاتون[4]، تدعيما لنفوذه السياسى ، وهو شرف لم يسبقه إليه أحد قبل ذلك من رجالات العجم .

---

(١) عبادة كحيلة : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٢ .

(٢) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى ، ص١١٠ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٢٢ .

(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٢٧٨ .

أخذ نفوذ السلاجقة فى بغداد فى الازدياد يوماً بعد يوم ، فلم يكتف سلاطينهم بالاستئثار بالسلطة دون الخلفاء ، بل شاركوهم فى مظاهر سيادتهم الدينية والسياسية ، فخطب لهم فى مساجد بغداد بعد الخطبة للخليفة العباسى ، ونقشت أسماؤهم وألقابهم وكناهم مع أسماء وألقاب الخلفاء[1]، كما شارك سلاطين السلاجقة الخلفاء العباسيين فى حق ضرب الطبول أمام دورهم فى أوقات الصلوات ، بل تجاوز بعضهم هذا الحق ورسم لموظفيه فى بغداد أن يشارك الخليفة فى ذلك[2].

ومع ذلك فإن سلاطين السلاجقة كانوا يحترمون الخلفاء العباسيين ، على اعتبار أنهم رؤساء المذهب السنى الذى يدينون به ، كما احتفظ الخلفاء العباسيين فى عهدهم بحقهم فى تولية العهد لأبنائهم ، كذلك سمح السلطان السلجوقى للخليفة العباسى بتعيين وزير له ببغداد[3].

آلت السلطنة السلجوقية إلى ألب أرسلان بعد وفاة طغرلبك فى الرى عام ٤٥٥هـ، فأمر الخليفة القائم بالخطبة له فى مساجد بغداد باسم «السلطان المعظم عضد الدولة ، وتاج الملة أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود»[4]، وقد أخذ ألب أرسلان فى توطيد علاقته مع الخليفة القائم بأمر الله العباسى، فكان يدرك أن زواج عمه طغرلبك من ابنة الخليفة تم على غير رضا الخليفة ، فأعاد السيدة خاتون أبنة القائم إلى بغداد ، بعد أن منحها خمسة آلاف دينار لتستعين بها فى العودة[5].

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٨ ، ص٢٣٤ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٤١ .
(٣) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى ، ص١١٤ .
(٤) الن الأثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص١٣ .
(٥) ابن الجوزى : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص٢٣٤ .

وخلال الفترة التى حكم فيها ألب أرسلان (٤٥٥ ـ ٤٦٥هـ) لم يحدث ما يعكر صفو العلاقات بينه وبين الخليفة العباسى .

لما توفى السلطان ألب أرسلان عام ٤٦٥هـ خلفه ولده وولى عهده ملكشاه ، فبعث إلى الخليفة القائم بأمر الله يطلب تفويضًا لحكم البلاد ، فأقره الخليفة وسلمه عهد السلطان ، وقد استمرت العلاقات بين الخليفة العباسى وبين السلطان ملكشاه هادئة يسودها الود إلى أن توفى الخليفة القائم بأمر الله عام ٤٦٧هـ، فبويع من بعده حفيده وولى عهده أبو القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم الملقب بالمقتدى بأمر الله(١) .

مرت العلاقات السلجوقية العباسية فى عهد السلطان ملكشاه بمرحلتين : الأولى كانت علاقات ودية تبودلت فيها الرسل والهدايا بين الخليفة العباسى وبين السلطان السلجوقى حتى عام ٤٧١هـ، أما الثانية فقد تأزمت فيها العلاقات بين السلطان والخليفة المقتدى ، ويرجع السبب فى ذلك إلى تدخل ملكشاه فى شئون الخلافة ، وطلبه جعل الأمير جعفر وليا لعهد المقتدى بدلاً من المستظهر بالله الذى بايعه والده بولاية العهد من بعده(٢)، وكان الأمير جعفر ابن الخليفة من بنت ملكشاه ، كما كان أصغر سناً من المستظهر بالله ، رفض الخليفة العباسى طلب ملكشاه وخاصة حين علم ما يخفيه ملكشاه من نيات سيئة نحوه ، فقد كان قد استقر الرأى على بناء دار للخلافة فى أصفهان ليولوا فيها الأمير جعفر(٣)، ولما علم ملكشاه برفض الخليفة قدم إلى بغداد فى أوائل شعبان عام ٤٨٥هـ ليعمل على إسناد ولاية

---

(١) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٩٥ .
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص١٦٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٧٧ .

العهد بنفسه إلى جعفر ، يذكر السيوطى : « أرسل إلى الخليفة يقول : لا بد أن تترك لى بغداد وتذهب إلى أى بلد شئت فانزعج الخليفة وقال : أمهلنى ولو شهراً قال : ولا ساعة واحدة فأرسل الخليفة إلى وزير السلطان ـ ملكشاه ـ يطلب المهلة إلى عشرة أيام فوافق ملكشاه »[1] وفى خلال هذه الفترة مرض ملكشاه ثم توفى فجأة فى شوال عام ٤٨٥هـ، وبذلك تسنى للخليفة المقتدى أن يتخلص من تلك المحنة[2].

هكذا كانت العلاقة بين السلاجقة وخلفاء الدولة العباسية ، تحكم فعلى للسلاجقة على الخلافة مع احترام للخلفاء ، مقابل استسلام للخلفاء العباسيين للسلاجقة الذين أعادوا لهم خلافتهم وأنقذوها من خطر الفاطميين.

عصر سلاطين *السلاجقة العظام*:

تعد الفترة الأولى من العصر السلچوقى والتى تشمل حكم سلاطينهم الثلاثة الأول : طغرلبك ، ألب أرسلان ، وملكشاه ، عصراً قائماً بذاته أطلق عليه عصر سلاطين السلاچقة العظام ، ففى هذا العصر تمكن هؤلاء السلاطين الثلاثة من إقامة دولة قوية مترامية الأطراف تمتد من التركستان وبلاد ما وراء النهر شرقًا حتى البحر المتوسط غرباً ، وامتد نفوذهم ليشمل الحرمين الشريفين فى مكة والمدينة .

وإذا كانت تلك الدولة قد حملت اسم سلچوق بن دقداق ، فإن حفيده طغرلبك بن ميكائيل يعد المؤسس الحقيقى لهده الدولة ، والذى لم يقتصر

---

(١) تاريخ الخلفاء ، ص٢٨٢ .

(٢) ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ، ص٢٩٦ .

دوره على مجرد إعلان قيام الدولة فى نيسابور عام ٤٢٩هـ، وإنما هو الذى رسخ وجودها ووطد أركانها وحصل على اعتراف الخلافة العباسية بشرعيتها .

لم يكن للسلاچقة تقاليد راسخة لتوريث الحكم فى دولتهم ، لذلك كانت المشكلة المعتادة عقب وفاة أحد سلاطينهم هى التنافس بين أبناء البيت السلچوقى على الحكم ، حتى يتمكن أقواهم من اخضاع بقية المتنافسين لسلطانه والانفراد بالسلطة[١]، وقد تكرر هذا الأمر كثيراً عندهم ، فعندما توفى السلطان طغرلبك عام ٤٥٥هـ ، دب النزاع بين أفراد السلاچقة على من يخلفه فى السلطنة ، وذلك لعدم إنجاب طغرلبك لولد يرث ملكه ، وكانت أرملة أخيه جغرى بك ، التى كان قد تزوج منها بعد وفاة أخيه ، قد جعلته يوصى بالسلطنة من بعده لإبنها الصغير سليمان بن جغرى ، وقام الوزير عميد الملك الكندرى بتنفيذ هذه الوصية ، فأعلن سليمان بن جغرى سلطاناً فى مدينة الرى[٢]، لكن أخا سليمان بن جغرى وهو ألب إرسلان كان يرى أنه الأحق بالسلطنة من أخيه لأبيه الصغير السن سليمان ، فعزم ألب أرسلان على المسير إلى الرى وخلع سليمان وتولى هو السلطنة ، عندئذ خشى الوزير عميد الملك الكندرى سطوة ألب أرسلان وانضم إلى جانبه ، ونادى به سلطاناً على أن يكون سليمان وليا لعهده من بعده .

أصبح بذلك ألب أرسلان سلطان السلاچقة فى ذى الحجة من عام ٤٥٥هـ، واستوزر عميد الملك الكندرى ونظام الملك الطوسى ، إلا أن بعض أفراد البيت السلچوقى لم يقبلوا تولى ألب أرسلان ورأوا أنفسهم ـ أيضاً ـ

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢١٨ .

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ، ص٢٥ .

أحق بالسلطنة منه ، فثار عليه قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق بن عم جغرى بك والد ألب أرسلان ، كذلك ثار ضده عمه بيغو ميكائيل وغيرهم ، لكن ألب أرسلان استطاع القضاء على منافسيه واخماد ثوراتهم وأستتب له حكم الدولة السلجوقية[1] .

أخذ ألب أرسلان بعد ذلك يتطلع إلى توسيع دولته فى آسيا الصغرى على حساب البيزنطيين ، وفى الشام على حساب الفاطميين الشيعة ، ليكسب بذلك عطف العالم الإسلامى السنى سواء بمجاهدة النصارى أو بمحاربة الشيعة ، وقد استغرقت الفترة من عام ٤٥٧هـ إلى عام ٤٦٣هـ كل جهود ألب أرسلان لتوطيد سلطانه فى إيران والعراق ، ثم أخذ بعدها فى تنفيذ مشروعه للجهاد ضد البيزنطيين وتأمين حدوده من ناحيتهم ، فنجح فى غزو أرمينية واستطاع الاستيلاء على حاضرتها (آنى)[2] التى كانت تتمتع بأهمية استراتيجية عظيمة ، إذ كانت تعد بمثابة الحاجز الذى يدفع عن الدولة البيزنطية ما يأتيها من هجمات من جهة المشرق ، وبعد استيلاء أب أرسلان على أرمينية وتعيين واليا عليها من قبله[3] ، أصبح الطريق مفتوحاً أمام السلاجقة للتوغل فى أسيا الصغرى فى سرعة وسهولة ، على نحو أفزع الأمبراطور البيزنطى رومانوس ديوجينيس Romanos Diogeaes ، لذلك سارع الإمبراطور البيزنطى إلى تكوين جيش ضخم لإيقاف مشروعات السلاجقة التوسعية ، فحول ألب أرسلان مجهوداته إلى بلاد الشام وأخضع حلب لنفوذه واستولى على أجزاء كثيرة من بلاد الشام[4] .

---

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨١ .

(٢) تقع مدينة آنى جنوب همذان ، وهى مدينة رومية بها قلعة حصينة بين خلاط وكنجه .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٦٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٥ .

(٤) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٤٨ .

رأى الإمبراطور البيزنطى فى انشغال ألب أرسلان بالجبهة الشامية فرصة كبيرة له لمهاجمة السلاجقة فى الصميم ، فاتجه بجيشه صوب قلب الدولة السلجوقية . وعندما جاءت الأنباء إلى ألب أرسلان بتحركات الإمبراطور البيزنطى ، قطع حملته على بلاد الشام واسرع لمواجهة الإمبراطور البيزنطى ، ولما عاين ألب أرسلان ضخامة عدد الجيش البيزنطى[1]، أدرك أنه من الصعب عليه أن يقاتل مثل هذا الجيش ، ففضل أن يتفاوض وطلب الهدنة أو الصلح ، لكن الإمبراطور البيزنطى أعجبه كثرة جنده فاعتد بقوته ورفض عرض ألب أرسلان ، وأعلن أنه لن يجيب على طلب الصلح مع السلاجقة إلا فى عاصمتهم الرى بعد فتحها وهزيمتهم .

غضب ألب أرسلان لهذا الرد المتعجرف والتهب حماسه الدينى ، فأعلن لجنوده أن الإسلام فى خطر ، واستثار عواطفهم الدينية بما أبداه من تضرع لله ، حتى أنه نزل عن جواده ومرغ وجهه فى التراب خضوعاً لله واستمطاراً لنصره ، وبذلك صبغ عمله بصبغة الجهاد الدينى[2].

جاء اللقاء الحاسم بين السلاجقة والبيزنطيين عند مانزيكرت أو ملاذكرت[3]. فى اليوم السابع من ذى القعدة عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م، واستطاع الجيش السلجوقى بحماسه الدينى الملتهب أن يعوض النقص الكبير

---

(١) كان الجيش البيزنطى يضم الروم والفرنسيين والبلغار واليونانيين والجورجيين .
حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٥٩٥ .
(٢) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : نفس المرجع ، ص٥٩٦ .
(٣) ملاذكرد : بلدة مشهورة بين خلاط وبلاد الروم غربى أسيا الصغرى .
ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٠٢ .

فى أعداده ، التى لم تكن تزيد عن خمسة عشر ألفا ، وأوقع الهزيمة بالجيش البيزنطى الذى كان يزيد عليه أضعافًا مضاعفة ، حتى قيل إنه بلغ مائتى ألف جندى(١)، واكتظت ساحة المعركة بجثث الروم ووقع امبراطورهم المتعجرف أسيراً فى ايدى السلاجقة ، فاضطر أن يفتدى نفسه وعقد معاهدة مع السلطان ألب أرسلان ، تعهد فيها بدفع فدية كبيرة وجزية سنوية، وأن يعيد أنطاكية والرها ومنج إلى المسلمين ، وأن يطلق سراح أسرى الأتراك ويرسل إلى ألب أرسلان عساكر الروم حين يطلبها لتقاتل لحسابه ، وكانت معاهدة الصلح بين السلاجقة والبيزنطيين لمدة خمسين عامًا ، يلتزم الامبراطور البيزنطى بكل بنودها خلال هذه المدة ، لكن الإمبراطور البيزنطى المنهزم لم يكد يعود إلى بلاده ، حتى قبض عليه ثائر وثب على عرش الإمبراطورية يدعى چون دوكاس ، وقام بسمل عينيه وحبسه وتوفى بعد ذلك بأيام قليلة(٢).

كانت معركة ملاذكرد نقطة تحول خطيرة فى التاريخ الإسلامى بصفة عامة ، وتاريخ منطقة غربى أسيا بصفة خاصة ، فقد ترتب عليها ضياع الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية ، التى كانت بمثابة مخزنا بشرياً لبيزنطة كان يمدها بالقادة والجند والمؤن ، ولم يستطع البيزنطيون بعدها أن يوقفوا التوسع الإسلامى السلچوقى فى أسيا الصغرى ، والتى قام فرع سلچوقى بتأسيس دولة له فيها عرفت بدولة سلاچقة الروم،

---

(١) يرجع الانتصار الساحق للسلاچقة فى معركة ملاذكرد ، إلى خفة حركة فرسانهم فى مواجهة فرسان البيزنطيين المثقلة بالدروع ، والخطة المحكمة للسلاچقة وحسن تنظيمهم، فضلاً عن قوة إيمانهم وحبهم للجهاد .

محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٣ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٢١ .

وأصبحت آسيا الصغرى نهاية المطاف ومستوطناً لكثير من القبائل التركية التى استقرت فيها ، وانشأت لنفسها إمارات خاصة كانت تمتد فى رقعتها على حساب البيزنطيين ، الذين انحسر نفوذهم عن أملاكهم الأسيوية نهائياً ، بل إن إحدى القبائل التركية المعروفة بالعثمانيين استطاعت فيما بعد أن تجهز على الدولة البيزنطية نفسها وتستولى على حاضرتها القسطنطينية ، محققين بذلك حلماً طالما راود المسلمين منذ العصر الأموى، من ناحية أخرى أدى انكسار البيزنطيين فى ملاذكرد إلى استغاثة البيزنطيين بالغرب الأوروبى ، مما أدى إلى فتح سلسلة طويلة من الصراع بين الشرق والغرب وهو الصراع الذى عرفت حروبه باسم الحروب الصليبية[1] .

لم يعش السلطان ألب أرسلان طويلاً بعد انتصاره فى ملاذكرد ، فقد قتل بعد عام وبضعة أشهر من هذا النصر على يد أحد الثائرين ، إذ كان قد توجه إلى المشرق على رأس جيش كبير لقمع فتنة قام بها الخانيون فى بلاد ما وراء النهر ، وقبض على الثائر يوسف الخوارزمى بعد أن أنهى حركة تمرده ، وأصر السلطان على قتله بنفسه ورماه بسهم فأخطأه ، ولم يكن يخطئ سهمه ، فهاجم يوسف السلطان بسكين كان قد اخفاه فى ملابسه ، وطعن ألب أرسلان طعنة فارق على أثرها الحياة بعد بضعة أيام، ودفن بمدينة مرو بعد حكم قصير لم يزد عن تسعة أعوام ونصف[2] .

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى . جـ١ ، ص٤٣٣ ، حسن أحمد محمود؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٥٠٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٧ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق ، ص١٥٠ .

كان ملكشاه بن ألب أرسلان مع والده فى حملته على المشرق ، وقد أكد ألب أرسلان قبل أن يلفظ آخر أنفاسه على أن يتولى ملكشاه السلطنة من بعده ، وأمر جنده بأن يقسموا يمين الولاء والطاعة له ، غير أن ملكشاه عند وفاة أبيه لم يكن قد تجاوز السابعة عشرة من عمره ، فقام على تدبير الأمر له وزيره نظام الملك الطوسى[1] ، الذى أخذ البيعة لملكشاه من الأمراء ودبر له شئون الدولة أحسن تدبيراً ، وعلى الرغم من أن ملكشاه تولى الحكم بوصية أبيه ، إلا أن صغر سنه أطمع فيه بعض أمراء السلاجقة ، فثار عليه عمه « قاورد » الذى أوصى له ألب أرسلان بكرمان وفارس ، إلا أنه لم تطب نفسه بتولى ابن أخيه السلطنة ، فخرج بقواته من كرمان قاصداً الرى معلناً أنه أحق بالسلطنة ؟، لكن ملكشاه ووزيره نظام الملك استطاعا أن يهزما قاورد ويقتلانه تخلصًا من شره ، وأقر ملكشاه كرمان بيد أولاده فتوارثوا حكمها زمناً طويلاً إلى عام ٥٨٣هـ رسميت دولتهم « بسلاجقة كرمان »[2] .

أراد ملكشاه توطيد سلطانه فأرسل إلى الخليفة العباسى القائم بأمر الله يطلب تجديد الاعتراف بسلطنته[3] ، فلم يتردد الخليفة فى إجابة طلبه وخطب له على المنابر بعد الخليفة ، وباعتراف الخليفة العباسى بملكشاه ، بدأ ملكشاه يوطد دعائم حكمه فى المشرق واكمال « البرنامج » الذى رسمه أبوه ألب أرسلان ، وهو بسط نفوذ دولة السلاجقة حتى تشمل جميع أنحاء العالم الإسلامى[4] .

---

(١) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٥٩٨ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٣٤ .

(٤) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٥٩٩ .

أرسل ملكشاه قائده أتسز عام ٤٦٧هـ إلى الشام ، فاستولى على دمشق وازاح عنها حكم الفاطميين ، وقد علا طموح أتسز إلى الاستيلاء على مصر نفسها وازالة الخلافة الفاطمية ، فقام بحملة عام ٤٦٩هـ توغلت فى البداية دون مقاومة ، لانشغال أمير الجيوش بدر الجمالى فى اخماد بعض الفتن فى الصعيد ، ولكنه سارع بعد ذلك إلى لقاء أتسز وقواته وهزمهم شر هزيمة ، فعاد اتسز ادراجه إلى دمشق[1] .

انتهج ملكشاه سياسة جديدة تقوم على أشراك أمراء البيت السلجوقى فى استكمال مشروعاته التوسعية ، وذلك باقطاع بعضهم أجزاء من الدولة السلجوقية وما يضموه إليها من أقاليم جديدة ، شريطة ألا تكون توسعاتهم على حساب أحد أمراء السلاجقة الآخرين ، ففى عام ٤٧٠هـ أقطع ملكشاه أخاه تاج الدولة تتش بلاد الشام وما يضمه إليها من أعمال ، وذلك لتأكيد السيطرة السلجوقية على هذه البلاد[2] ، وقد تصدى تتش لمحاولات الفاطميين فى استرجاع ما استولى عليه السلاجقة من بلاد الشام ، كما اتخذ من دمشق حاضرة له وأسس فيها فرعًا سلجوقياً عرف بسلاجقة الشام .

كما واصل ملكشاه سياسة أبيه الرامية إلى تثبيت الحكم السلجوقى فى آسيا الصغرى واتخاذها قاعدة للقضاء نهائياً على الدولة البيزنطية ، جهاداً فى سبيل الله ، ولتحقيق ذلك أسند إلى سليمان بن قتلمش بن إسرائيل حكم هذه البلاد عام ٤٧٠هـ ، ويعد سليمان بن قتلمش المؤسس الحقيقى لدولة سلاجقة الروم ، التى كانت أطول دول السلاجقة عمراً إذ حكمت حتى مطلع القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى (٧٠٠هـ/

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٧ .
(٢) عصا الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٥١ .
(٣) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٨ .

١٣٠٠م)[٣].

وقد نجح سليمان بن قتلمش فى الاستيلاء على مدينة أنطاكية عام ٤٧٣هـ من الروم وأعاد تعميرها ، وبفتح قتلمش لأنطاكية أطل السلاجقة على البحر المتوسط[١].

كذلك قام ملكشاه بالاستيلاء على حلب عام ٤٧٩هـ بعد أن أحس بخطورة الصراع بين الأميرين السلچوقيين سليمان بن قتلمش وتاج الدين تتش ، واقطعها إلى مملوكه قسيم الدولة أقسنقر ، فعمرها وأحسن السيرة فى أهلها ، وكان آقسنقر هذا والد عماد الدين زنكى الذى سيكون له وابنه نور الدين محمود دور كبير فى التصدى للصليبيين .

نظم ملكشاه أمور الشام وأقر أحوالها ثم رحل عنها إلى بغداد ، فاحتفى بمقدومه الخليفة العباسى المقتدى بأمر الله واظهر ملكشاه تواضعاً واحتراماً للخليفة العباسى ، الذى خلع عليه الخلع السلطانية وفوض إليه أمر البلاد والعباد[٢]، وتوطيداً للعلاقة بينهما زوج ملكشاه ابنته تركان خاتون للخليفة العباسى المقتدى بأمر الله فى أوائل عام ٤٨٠هـ، فارتفعت مكانة ملكشاه فى العالم الإسلامى باعتباره صهر الخليفة ، وقد وصلت دولة السلاچقة فى عهد ملكشاه إلى أقصى إتساع لها ، فقد ضمت أطرافاً مترامية من المشرق الإسلامى كله ، فضلاً عن آسيا الصغرى والعراق والشام والحرمين الشريفين[٣].

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٢٣ .

(٢) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٩٠ .

(٣) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٦٠١ .

وبعد أن نجح ملكشاه فى إقرار هيبته فى جميع أجزاء دولته المترامية الأطراف ، عاد إلى أصفهان ، التى كانت مقر حكمه الصيفى[1] .

كان للوزير نظام الملك الطوسى دور عظيم فيما وصل إليه ملكشاه من هيبة وسلطان ، وكان ملكشاه فى المقابل يحفظ لوزيره أياديه البيضاء عليه وعلى دولة السلاجقة ، غير أن نظام الملك كان معتداً بنفسه لا يقبل أن يشاركه أحد مهامه ونفوذه ، لذلك استبد نظام الملك بشئون الدولة السلجوقية على عهد ملكشاه الذى كان قد فوض إليه إدارة شئون الدولة تفويضاً كاملاً وأسبغ عليه من الألقاب والتكريم ما قل أن يتمتع به وزير أخر[2] ، غير أن الحال بين السلطان ووزيره قد ساءت فى آواخر أيامه ، ذلك لأن نظام الملك لم يدرك أن ملكشاه الذى كان غلاماً صغيراً فى السابعة من عمره ، ويستند فى كل أموره إلى نظام الملك ، أصبح رجلاً محنكاً قديراً لا يقبل أن يظل وزيره على استبداده بالأمر دونه ، مستخدماً أهله وأقاربه فى المناصب ، حتى أن ملكشاه أرسل رسالة لوزيره مع بعض أرباب دولته يقول له فيها : « إن كنت شريكى فى الملك ، ويدك مع يدى فى السلطنة فلذلك حكم ، وأن كنت نائبى وبحكمى فيجب أن تلتزم حد التبعية والنيابة ، وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة ، وولى ولاية كبيرة ، ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزا أمر السياسة وطمعوا إلى أن فعلوا كذا ... »[3] .

على الجانب الآخر كثر حساد الوزير نظام الملك وتفاقم خطرهم بانضمامهم إلى تركان خاتون زوجة ملكشاه ، والتى كانت لا تغفر لنظام

---

(١) محمد محمود إدريس : تاريخ العراق فى المشرق الإسلامى ، ص١٤٩ .
(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٢٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٧٥ ، ٧٦ .

الملك وقوفه فى وجه مشروعها لجعل ولاية العهد لابنها الصغير محمود ، بينما كان نظام الملك يؤيد حق بركياروق الابن الأكبر لملكشاه فى ولاية عهد أبيه ، وقد تمكن أعداء نظام الملك من إيغار صدر السلطان على وزيره الذى أخذ يعتز بنفسه ويعدد للسلطان اياديه عليه قائلاً : « إن ثبات تلك القلنسوة منوط بهذه الدولة ، وإن انفاقها رباط كل رغيبة . وسبب كل غنيمة ، ومتى قطعت هذه ، زالت تلك ، فإن عزم على تغييرى فليتزود للإحتياط قبل وقوعه ، وليأخذ الحذر من الحادث أمام ظروفه »[1].

لم يستطع ملكشاه عزل وزيره لما كان له من نفوذ ومكانة فى الدولة ، غير أن الخلاص من نظام الملك سرعان ما تحقق للسلطان على يد أحد الفداوية الإسماعيلية[2]، فقد كان الوزير نظام الملك فى حياته عدواً لدوداً للإسماعيلية ، فاغتلوه بتحريض من المتآمرين ضده فى شهر رمضان عام ٤٨٥هـ.

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى اتهام ملكشاه بالتواطؤ مع الإسماعيلية على قتل نظام الملك [3]، وهو أمر مستبعداً لاخلاق ملكشاه ، ومهما كان الأمر فلم يمض غير قليل على وفاة الوزير نظام الملك ، حتى خرج ملكشاه

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٧٦ .

(٢) الإسماعيلية إحدى فرق الشيعة التى تعتقد باحقية إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر فى الإمامة ، دون اخيه موسى الكاظم ، وقد تولى الحسن بن الصباح الدعوة السرية لهذه الجماعة ، التى عرفت بالباطنية والحشاشية أو الحشاشين ، ودربهم على الطاعة التامة والأعمال الفدائية ، حتى أنهم اتخذوا من الاغتيالات أسلوباً لتصفية اعدائهم من كبار رجال الشخصيات فى العالم الإسلامى . محمد محمود إدريس : تاريخ العراق والمشرق الإسلامى ، ص١٥١ .

(٣) حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم لإسلامى فى العصر العباسى ، ص٦٠٦ .

للصيد فأصابه البرد ، ولازمته الحمى فى أمعائه فمات بعد وزيره نظام الملك بخمسة وثلاثين يوماً ، وله من العمر ثمانية وثلاثين سنة[1].

وبوفاة السلطان ملكشاه عام ٤٨٥هـ انتهى العصر السلجوقى الأول الذى يمكن أن نسميه العصر الذهبى للدولة السلجوقية أو عصر السلاطين العظام، إذ سرعان ما انفرط عقد السلاجقة بعد وفاة ملكشاه ، وانقسموا على أنفسهم بعد أن كثر النزاع بين أفراد البيت السلجوقى ، ولم تعد الدولة تخضع لسلطان واحد بل تنازعها أكثر من سلطان فى وقت واحد .

عصر انقسام السلاجقة :

يعتبر عصر بركياروق بن ملكشاه وسطاً بين عصرين عاشتهما دولة السلاجقة ، وقد واجه بركيارون عقب وفاة والده منافسة قوية من جانب أخيه محمود وعمه تتش .

وكان محمود الابن الصغير تقوم على رعايته أمه تركان خاتون بمساعدة الوزير تاج الملك الشيرازى ، وقد حضرت تركان خاتون وفاة زوجها ملكشاه فى بغداد ، فانتهزت فرصة وجودها فى حاضرة الخلافة وحملت الخليفة العباسى على الاعتراف بابنها محمود سلطانا على دولة السلاجقة ، فاعترف به وخطب له على المنابر فى شوال من عام ٤٨٥هـ، وأمرت تركان خاتون أعوانها فى أصفهان بالقبض على بركياروق وسجنه، إلا أن اتباع نظام الملك وطلاب وأساتذة المدرسة النظامية أخرجوا بركياروق من سجنه ونادوا به سلطاناً فى بلاد فارس ، فأصبح بذلك للسلاجقة سلطانان فى وقت واحد : محمود فى بغداد وبركياروق فى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٧٦ .

أصـفـهـان ، وبالتـالى كـان على أحـدهمـا أن يزيح الآخـر من طريقـه ، فاصطدما فى معركة كان النصر فيها حليفًا لبركيـاروق ، وقتل النظامية الوزير تـاج الملك الشيـرازى وعـهـد السلطان بروكـيـاروق بالوزارة إلى عـز الملك بن نظام الملك(١) .

وقبل أن يلتقط بروكياروق أنفاسه كان عليه أن يواجه منافساً آخر هو عـمـه تاج الدولة تتش صـاحب دمـشق ، الذى رأى فى تنازع ابنى أخـيـه ملكشاه فرصة مناسبة للوثوب إلى السلطنة .

وعلى الرغم من انهزام بركياروق فى الجولة الأولى أمام عمه تتش ، إلا أن الظروف تحولت لصالحه بوفاة تركان خاتون وتلاها ابنها محمود بقليل ، فانضم جنده إلى بركياروق فقوى جيشه وأصبح يقاتل فى جبهة واحدة ضد عمـه تتش ، وتمكن من أن يلحق به الهزيمة على مقربة من مـدينة الرى عـام ٤٨٨هـ ويموت تتش فى المعركـة(٢) على أن الأمـور لم تستقر لبركياروق مرة أخرى ، فقد ثار عليه أخواه محمد وسنجر واستمرت الحروب بينهما طويلا(٣)، فلما سئم بركياروق من قتال إخوته اتفق معهما على الصلح على أن تقسم الدولة السلجوقية بينهم ، ويستولى كل منهم على مـا تحت يده ويعـتـرف له الآخرون بذلك ، وقد تم هذا الاتفاق بين الأخوة عام ٤٩٧هـ(٤) .

---

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٩٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٨٦ .

(٣) استمرت المعارك بينهم نحو خمس سنوات من عام ٤٩٢هـ ـ ٤٩٧هـ.
حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٦١٣ .

(٤) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٢٦ .

ومـا لبث أن توفى بركـيـاروق فى العـام التـالى ٤٩٨هـ تاركـًا الدولة السلجوقية ممزقة على كل ناحية منها أمير مستقل بما تحت يده ، فالأجزاء الشرقـية فى يد سنجر بن ملكشـاه ، وبلاد الشام فى يد أبناء عمـهم تتش ، وآسـيـا الصـغـرى بأيدى أبناء سليـمـان بن قـتلمش ، فـتـمـزقت بذلك الدولة السلجوقية العظيمة ، ولم تعد هناك تلك الوحدة الرائعة التى كانت فى عهد سلاطينها العظام : طغرلبك ، وألب أرسلان ، وملكشاه .

يمكن القول بأن الدولـة السلجـوقيـة بعد بروكـيـاروق قد دخلت فى دور النهاية ، على الرغم من استمرارها نحو قرن من الزمان (٤٩٨ ـ ٤٩٠هـ) إلا أن نهايتها باتت مؤكدة منذ نهاية القرن الخامس الهجرى .

وقد حـاول السلطان محـمد بن ملكشاه ، الذى انفرد بالسلطنة بعد أخيه بروكياروق أن يعيد وحدة الدولة السلجوقية ، والتصدى للأخطار الخـارجية والداخلية ، إلا أن جـهوده لم تجد نفعًا إذا انقسم البيت السلجوقى مرة أخرى بعد وفاته ، ولم يعترف سنجر صاحب خـراسان بسلطنة محمود بن مـحمد ، كـمـا تعـرضت الدولـة السلجـوقـيـة لأكـبـر خطرين خـارجين وهمـا : القره خطائيين والخـوارزميين[1] . أمـا القـره خطائيين فـهم قـبـائل الخطأ التـركـيـة الذين نزلوا شمال شرقى فارس فى عهد السلاجقة ، واستطاعوا تكوين دولة لأنفسـهم مع بدايـة القـرن السـادس الهـجـرى ٥١٨هـ واتخـذوا من مـدينة بلاسـاغـون على نهـر سـيـحـون حـاضـره لهم[2]، ليـهـاجـمـوا منهـا أمـلاك السلاجقة فى بلاد ما وراء النهر .

ولم يجد السلطان سنجـر بدًا من مواجهتهم وحربـهم ، ولكنهم استطاعوا

(١) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص١٩٥ .
(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ١ ، ص٤٧٦ .

أن يوقعوا به هزيمة منكرة عند قطوان قرب سمرقند عام ٥٣٦هـ، ففر على أثرها هارباً من المعركة وترك زوجته فى يد اعدائه ، فقضى بذلك القره خطائيون على دولته واستولوا بعد ذلك على بخارى وسمرقند ، واستمرت دولتهم هناك حتى قضى عليها الخوارزميون عام ٦٠٩هـ[١].

الدولة الخوارزمية وسقوط الدولة السلجوقية :

تأسست الدولة الخوارزمية فى اقليم خوارزم فى شرق الدولة الإسلامية، وحدوده من الغرب بلاد الترك ، ومن الجنوب خراسان ، ومن الشرق بلاد ما وراء الهر ، ومن الشمال بلاد الترك أيضًا ، وكان هذا الاقليم من ولايات الاتحاد السوفيتى الذى توزع الآن بين الجمهوريتين الإسلاميتين أوزبكستان وتركستان[٢].

أسس هذه الدولة قطب الدين محمد بن أنوشتكين ، وكان أنوشتكين مملوكًا تركيًا ولاه ملكشاه على خوارزم فاستمر عليها حتى توفى عام ٤٩٠هـ فخلفه ابنه قطب الدين محمد ، الذى أطلق على نفسه لقب «خوارزمشاه» أى ملك خوارزم وأقام الدولة الخوارزمية[٣].

بعد وفاة قطب الدين محمد أقر السلطان سنجر السلچوقى ابنه علاء الدين أتسز خلفًا لابيه ، إلا أن أتسز أخذ فى توسيع دولته على حساب دولة السلاچقة ، فحاربه سنجر وانتصر عليه فى عدة معارك ، لكن أتسز كان يعتذر لسنجر فى أعقاب كل هزيمة فكان يعفو عنه ، وفى الوقت الذى

---

(١) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٢٧ .
(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٥٩ .
(٣) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠٠ .

كانت الدولة السلجوقية تعانى من الضعف بعد وفاة سنجر كانت الدولة الخوارزمية تزداد قوة واتساعًا فرأت الخلافة العباسية التى كانت تشهد صحوة منذ خلافة المسترشد بالله أن تستعين بالخوارزميين للقضاء على الحكم السلجوقى ، فقد تجرأ المسترشد وحارب السلطان مسعود بن سنجر عام ٥٢٠هـ، وأجبره على عقد صلح معه ليستعيد به الخليفة بعضًا من نفوذه داخل الدولة ، وقد خلف الخليفة الراشد أباه المسترشد وواصل صحوة الخلافة واضعاف نفوذ السلاجقة ، ولما عين المتقى خليفة تحين ــ أيضاً ــ الفرصة لضرب قوة ونفوذ السلاجقة ، واستعادة هيبة الخلافة ومكانتها ، وعندما آلت الخلافة إلى الخليفة الناصر لدين الله عام ٥٧٥هـ[1]، كاتب علاء الدين تكش خوارزمشاه يحرضه على محاربة طغرل الثالث آخر سلاطين السلاجقة ، ويعده بأن يقطعه ما بيده من بلاد .

لبى تكش طلب الخليفة والتقى خوارزمشاه بطغرل على مقربة من الرى عام ٥٩٠هـ، فانهزم السلطان السلجوقى طغرل الثالث وقتل فى المعركة ، واحتزت رأسه وحملت إلى الخليفة العباسى الذى أمر برفعها على أحد أبواب بغداد .

وبمقتل السلطان طغرل الثالث سقطت دولة السلاجقة فى فارس والعراق ، بعد أن سيطر سلاطينها على دولة الخلافة والخلفاء قرابة قرنين من الزمان ، وحل نفوذ الخوارزميين محلهم فى الخلافة العباسية ، لكن الخوارزميين لم يسيطروا على الخلافة تلك السيطرة الكاملة التى سبق أن فرضها عليهم كل من البويهيين والسلاجقة[1] .

---

(١) عبادة كحيلة : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٨٨ .

(٢) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٢٩ .

الفصل الثامن

المغول وسقوط الخلافة العباسية

(٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)

الفصل الثامن

المغول وسقوط الخلافة العباسية

التتار أو (التتر) أو المغول شعب من الشعوب التى استوطنت فى أواسط آسيا ، وبخاصة الأراضى الواقعة على حدود الصين ، والتى تمتد جنوبى سيبريا وشمال التبت وغربى منشوريا وشرقى التركستان .

كانت قبائل المغول تعيش فى هذه المنطقة على الصيد والرعى فى ظروف بالغة القسوة ، زيادة عظيمة في العدد ونقص كبير فى الأقوات وضعف فى المراعى ، وتطاحن وشقاق وإغارات مستمرة على المناطق الغنية المجاورة ، حتى أن الصينيين شيدو سورهم العظيم ليدرأو عن بلادهم خطر تلك الغارات المغولية المستمرة[1].

وقد كانت هذه القبائل المغولية تفتقد الوحدة السياسية التى كان من الممكن أن تخلق منها ماردا عملاقًا لا يمكن الصدى له ، وقد توفرت لهم فيما بعد هذه الوحدة على يد فتى من فتيانها كان يدعى تيموجين[2] (Timujin) .

تمتع هذا الفتى بمواهب عديدة أهلته ليكون زعيمًا لقبيلته ، ثم زعيماً لقبائل المغول كافة ، ففى عام ٦١٣هـ كان تيموجين قد بلغ مبلغ الرجولة فاجتمع زعماء القبائل وأعلن الشامان (الكاهن الوثنى) أن السماء قد خلعت

---

(١) عبادة كحيلة : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٩٢ .

(٢) مصطفى طه بدر : محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية على أيدى المغول ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٩ ، ص١٠٣ .

على تيموچين لقباً أرفع من اللقب الذى كان يلقب به أسلافه ، وأن اسمه قد أصبح منذ الآن چنكيزخان[1].

وضع چنكيزخان للمغول قانوناً خاصًا أسماه الياسة أو اليساق ، يرجعون إليه فى معاملاتهم وأحكامهم[2]، ونلاحظ على هذا القانون أو الدستور بوجه عام عدة نقاط :

١ ـ عنف لهجته التى تجعل القتل لبعض الأمور البسيطة مثل الكذب والخسارة فى التجارة وعون الأسير .

٢ ـ الطاعة التامة لشخص الحاكم والانصياع لهذه الطاعة دون تفكير، فكان على كل تترى أن ينفذ ما يطلبه منه الحاكم حتى لو كانت نتيجته حياته نفسها .

٣ ـ يجب التعاون بين التتار بعضهم وبعض ، فإذا وقع من أحدهم شئ وهو يحارب على صهوة جواده ، وجب على غيره من زملائه أن ينزل ويناوله إياه .

٤ ـ التكافل بين الأفراد ، فلا يأكل أحدهم وغيره جوعان ، بل إنه يجب ألا يتميز بالشبع .

٥ ـ التتار متمايزون عن المسلمين ، فلا يذبحون ذبائحهم ولا يحرصون على نظافتهم الشخصية ولا نظافة ملابسهم .

---

(١) تعنى چنكيزخان عند التتار أو المغول الملك العظيم ذا الحول والطول .
عبادة كحيلة : تاريخ الدولة العباسية ، ص١٩٢ .

(٢) قيل إنه لما تم وضع هذا الكتاب أمر چينكيزخان بكتابته ونقشه فى صفيح الفولاذ وجعله شريعة لقومه فالتزموا به .
حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ، ص١٣١ .

٦ ـ لا بد أن تساهم المرأة فى المجتمع بدور كبير ، فهى تقوم بعمل الرجل فى حال غيابه عن الحرب[١].

ما إن اجتمعت القبائل المغولية تحت قيادة جنكيز خان حتى اندفعت فى موجة عاتية تجتاح كل ما يقابلها ، فبدأ جنكيزخان بأراضى الصين الغنية ، فاجتاح إمبراطورية (كين) وسيطر على بكين عام ٦١٢هـ، ثم أخضع التركستان الشرقية فتجاورت حدود دولته مع الدولة الخوارزمية ، التى كانت قد فرغت حينذاك من اخضاع فارس بأكملها وأخذت تتطلع إلى بسط نفوذها على العراق وبغداد أسوة بالبويهيين والسلاجقة[٢]، ولكن جاء الخوارزميين من الشرق ما يشغلهم عن المضى جهة الغرب .

أصبح الصدام محتومًا بين المغول والخوارزميين بعد أن تجاورت حدودها ، فتعرضت الدولة الخوارزمية لهجمات مغولية عنيفة ، حاول علاء الدين محمد خوارزمشاه أن يتصدى لها ولكنه فشل ، فقد اجتاح المغول بلاد ما وراء النهر فى وحشية واستولوا على مدن أنزار وجند وبخارى وسمرقند وغيرها ، ونشر المغول الرعب والخوف فى كل المناطق التى قصدوها ، وخربوا كل ما وصلت إليه أيديهم[٣]، وقد فشلت كل محاولات علاء الدين محمد خوارزمشاه فى وقف هذا السيل المغولى الجارف حتى أضطر فى نهاية الأمر إلى اللجوء إلى إحدى الجزر المنعزلة فى بحر قزوين ، وعاش فيها لفترة يعانى المرض حتى أدركته الوفاة ، بعد أن أوصى بعرش خوارزم من بعده لابنه جلال الدين منكبرتى[٤].

---

(١) عبادة كحيلة : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠٢ .
(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ، ص١٢٩ .
(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ .
(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص٣١١ .

كان جلال الدين منكبرتى ذو عزيمة قوية ، فاستمر يقاوم خطر المغول الكاسح لدولته ، وبالفعل تصدى جلال الدين للمغول ببسالة ، لكن المغول استطاعوا اجتياح أذربيجان وخراسان وخوارزم نفسها[1]، واضطر جلال الدين منكبرتى أن يفر أمام اكتساح المغول ، وعبر نهر السند بعد أن أغرق نساء بيته بيده فى النهر ، حتى لا يقعن فى أسر المغول[2].

وقد أراد جلال الدين منكبرتى بعد أن استقر فى بلاد الهند ، أن يجمع جيشاً من مسلمى الهند لاسترداد قوته واستعادة ملكه المسلوب ، وقد خدمت الظروف جلال الدين لتحقيق ذلك ، فقد عاد من الهند فى الوقت الذى توفى فيه چنكيزخان عام ٦٢٤هـ، واعقب وفاته انسحاب القوات المغولية الرئيسية التى تحتل أقاليم الدولة الخوارزمية إلى مواطنها الأصلية ، فتمكن جلال الدين من استرداد معظم ما فقده من مدن وبلدان الدولة الخوارزمية[3].

ظلت حاضرة المغول بعد وفاة چنكيزخان فى مدينة (قره قورم) فى منغوليا حيث خلفه ثالث أولاده أجتاى (أقطاى) فأصبح خاقان امبراطورية المغول (٦٢٤ ــ ٦٣٩هـ)[4]، فكان أول عمل قام به استئناف الهجمات المغولية ، فاستولى على مناطق جديدة (الرى ـ همذان ـ أذربيجان ـ آمد) وطارد الجيش المغولى جلال الدين من بلد إلى بلد حتى ألجأوه إلى جبال كردستان ، فقتل هناك بيد أحد الأكراد عام ٦٢٨هـ[5].

---

(١) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ٤ ، ص١٣٨ .
(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٨٢ .
(٣) محمد بركات البيلى : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٠٤ .
(٤) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، جـ٤ ، ص١٤٣ .
(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٢ ، ص٢١٧ .

بذلك قضى المغول على الدولة الخوارزمية وأصبح نفوذهم تامًا فى ما وراء النهر وخراسان والعراق العجمى وفارس[1].

وقد توغل المغول فى العالم الإسلامى بعد أن قضوا على الدولة الخوارزمية ، فتوجهوا إلى قلاع الإسماعيلية فى فارس واجتاحوها وخاصة قلعتهم الحصينة (ألموت)، ثم توجهوا بعد ذلك بقيادة قائدهم الجديد هولاكو[2] لغزو بلاد العراق ، وأرسل هولاكو إلى الخليفة العباسى المستعصم بالله ، الذى تولى الخلافة عام ٦٤٠هـ كتاباً يهدد فيه بتخريب بغداد إن لم يستسلم لقوة المغول التى لا تقهر ، لكن الخليفة المستعصم لم يبال بتهديدات هولاكو دون أن يكون لديه القوة الكافية للتصدى للمغول ، بل أكثر من ذلك قام الخليفة بتهديد هولاكو وتوعده فأرسل إليه هولاكو كتابه قائلاً : لقد فتنك حب المال والعجب والغرور بالدولة الفانية ، بحيث لم يعد يؤثر فيك نصح الناصحين فإنى متوجه إلى بغداد بجيش كالنمل والجراد[3]، وصمم هولاكو على اجتياح بغداد ، بعد أن لم يلق من الخليفة ما يفيد الرضوخ والاستسلام ، وكان أحرى بالخليفة أن يعمل على استرضاء هولاكو وصرفه بالحسنى عن بغداد ، خاصة وأن هولاكو نفسه كان يشعر بخطورة الإقدام على اجتياح المدينة ، التى كانت لها مكانة عظيمة فى النفوس ، حتى أنه استدعى المنجمين ليستشيرهم فى غزو المدينة[4].

---

(١) مصطفى طه بدر : محنة الإسلام الكبرى ، ص١١٧ .

(٢) هو الابن الرابع لتولوى بن جنكيزخان . عصام الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص١٩٨ .

(٣) عطية القوصى : تاريخ الدولة العباسية ، ص٢٣٥ .

(٤) عصام الدين عبد الرؤوف : الدولة العباسية ، ص٢٩٢ ؛ مصطفى طه بدر : محنة الإسلام الكبرى ، ص١٦١ .

سار هولاكو فى عدد كبير من قواته واجتاحوا بغداد[1]، بعد أن فرضوا عليها الحصار لمدة ستة أيام ، فدمروا واحرقوا ونهبوا ما فيها ، وأقاموا بها مذبحة عظيمة بعد قتل الخليفة المستعصم بالله نفسه يوم الرابع من صفر عام ٦٥٦هـ.

وقد أباح هولاكو مدينة بغداد لجنوده بعد اجتياحها لمدة أربعين يومًا ففعلوا بها من الفظائع ما جعل هولاكو نفسه يرحل عنها ، بسبب عفونة الهواء الناتج عن كثرة القتلى والحرائق[2].

وبسقوط بغداد ـ حاضرة الإسلام الكبرى ـ طويت آخر صفحة من صفحات الخلافة العباسية فى العراق ، تلك الخلافة التى استمرت تحكم العالم الإسلامى لأكثر من خمسة قرون (١٣٢هـ ـ ٦٥٦هـ)، ودخل العالم الإسلامى مرحلة جديدة وطوراً آخر من أطواره .

---

(١) المقصود ببغداد هنا بغداد الشرقية التى بها مقر الخليفة وحكومته ؛ مصطفى بدر : نفس المرجع ، ص١٦٩ .

(٢) عصا الدين عبد الرؤوف : الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، ص٢٠٢ .

الملاحق والصور والخرائط

تسلسل خفاء بنى العباس

العباس

عبد الله

على

صالح — داود — عبد الله — محمد — سليمان

موسى — إبراهيم (الإمام) — السفاح(٢) — المنصور(٢)

عيسى — المهدى(٣)

الهادى(٤) — الرشيد(٥) — إبراهيم

الأمين(٦) — المأمون (٧) — المعتصم (٨) — القاسم

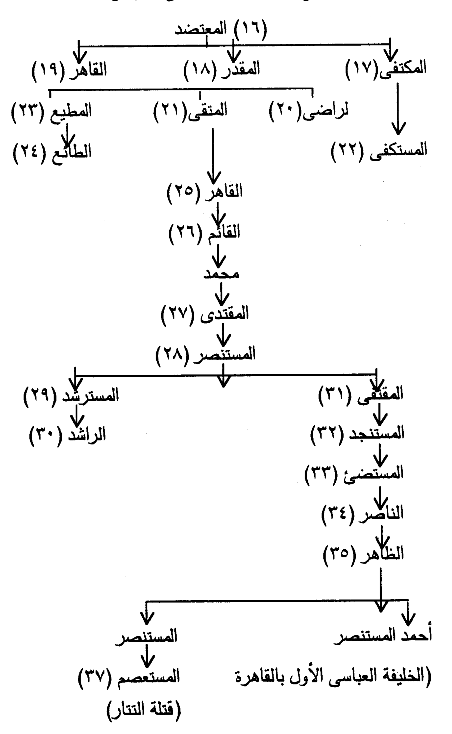
الواثق(٩) — المتوكل(١٠) — محمد

المهدى(١٤) — المستعين(١٢)

المنتصر(١١) — المعتز(١٣) — المعتمد(١٥) — الموفق

ابن المعتز — المعتضد(١٦)

(تابع) تسلسل خفاء بنى العباس



قائمة بخلفاء الدول العباسية

*** العصر العباسى الأول**

١ ـ السفاح (أبو العباس عبد الله بن محمد ١٣٢ـ١٣٦هـ/ ٧٥٠ـ٧٥٤م

٢ ـ المنصور (أبو جعفر عبد الله بن محمد) ١٣٦ـ١٣٥هـ/ ٧٥٤ـ٧٧٥م

٣ ـ المهدى (أبو عبد الله محمد بن منصور) ١٥٨ـ١٦٩هـ/ ٧٧٥ـ٧٨٥م

٤ ـ الهادى (أبو محمد موسى بن المهدى) ١٦٩ـ١٧٠هـ/ ٧٨٥ـ٧٨٦م

٥ ـ الرشيد (أبو جعفر هارون بن المهدى) ١٧٠ـ١٩٣هـ/ ٧٨٦ـ٨٠٩م

٦ ـ الأمين (أبو موسى محمد بن الرشيد) ١٩٣ـ١٩٨هـ/ ٨٠٩ـ٨١٣م

٧ ـ المأمون (أبو جعفر عبد الله بن الرشيد) ١٩٨ـ٢١٨هـ/ ٨١٣ـ٨٣٣م

٨ ـ المعتصم (أبو إسحاق محمد بن الرشيد) ٢١٨ـ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ـ٨٤٢م

٩ ـ الواثق (أبو جعفر هارون بن المعتصم) ٢٢٧ـ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ـ٨٤٧م

*** العصر العباسى الثانى :**

١٠ ـ المتوكل (أبو الفضل جعفر بن المعتصم) ٢٣٢ـ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ـ٨٦١م

١١ ـ المنتصر (أبو جعفر محمد بن المتوكل) ٢٤٧ـ٢٤٨هـ/ ٨٦١ـ٨٦٢م

١٢ ـ المستعين (أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم) ٢٤٨ـ٢٥١هـ/ ٨٦٢ـ٨٦٦م

١٣ ـ المعتز (أبو عبد الله محمد بن المتوكل) ٢٥١ـ٢٥٥هـ/ ٨٦٦ـ٨٦٩م

١٤ ـ المهتدى (أبو إسحاق محمد بن الواثق) ٢٥٥ـ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ـ٨٧٠م

١٥ ـ المعتمد (أبو العباس أحمد بن المتوكل) ٢٥٦ـ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ـ٨٩٢م

١٦ ـ المعتضد (أبو العباس أحمد بن الموفق بن المتوكل) ٢٧٩ـ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ـ٩٠٢م

١٧ ـ المكتفى (أبو محمد على بن المعتضد) ٢٨٩ـ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ـ٩٠٨م

١٨ ـ المقتدر (أبو الفضل جعفر بن المعتضد) ٢٩٥ـ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ـ٩٣٢م

١٩ ـ القاهر (أبو منصور محمد بن المعتضد) ٣٢٠ـ٣٢٢هـ/ ٩٣٢ـ٩٣٤م

٢٠ ـ الراضى (أبو العباس أحمد بن المقتدر) ٣٢٢ـ٣٢٩هـ/ ٩٣٤ـ٩٤٠م

٢١ ـ المتقى (أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر) ٣٢٩ـ٣٣٣هـ/ ٩٤٠ـ٩٤٤م

٢٢ ـ المستكفى (أبو القاسم عبد الله بن المكتفى) ٣٣٣ـ٣٣٤هـ/ ٩٤٤ـ٩٤٦م

٢٣ ـ المطيع (أبو القاسم الفضل بن المقتدر) ٣٣٤ـ٣٦٣هـ/ ٩٤٦ـ٩٧٤م

٢٤ ـ الطائع (أبو الفضل عبد الكريم بن المطيع) ٣٦٣ـ٣٨١هـ/ ٩٧٤ـ٩٩١م

٢٥ ـ القادر (أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر) ٣٨١ـ٤٢٢هـ/ ٩٩١ـ١٠٣١م

٢٦ ـ القائم (أبو جعفر عبد الله بن القادر) ٤٢٢ـ٤٦٧هـ/ ١٠٣١ـ١٠٧٥م

٢٧ ـ المقتدى (أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم) ٤٧٦ـ٤٨٧هـ/ ١٠٧٥ـ١٠٩٤م

٢٨ ـ المستظهر (أبو العباس أحمد بن المقتدى) ٤٨٧ـ٥١٢هـ/ ١٠٩٤ـ١١١٨م

٢٩ ـ المسترشد (أبو منصور الفضل بن المستظهر) ٥١٢ـ٥٢٩هـ/ ١١١٨ـ١١٣٥م

٣٠ ـ الراشد (أبو جعفر المنصور بن المسترشد) ٥٢٩ـ٥٣٠هـ/ ١١٣٥ـ١١٣٦م

٣١ ـ المقتفى (أبو عبد الله بن محمد المستظهر) ٥٣٠ـ٥٥٥هـ/١١٣٦ـ١١٦٠م

٣٢ ـ المستنجد (أبو المظفر يوسف بن المستظهر) ٥٥٥ـ٥٦٦هـ/ ١١٦٠ـ١١٧٠م

٣٣ ـ المستضئ (أبو محمد الحسن بن المستنجد) ٥٦٦ـ٥٧٥هـ/ ١١٧٠ـ١١٨٠م

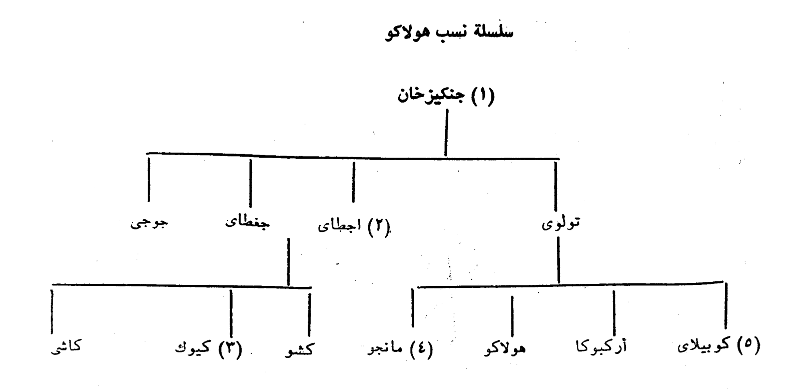
٣٤ ـ الناصر (أبو العباس أحمد بن المستضئ) ٥٧٥ـ٦٢٢هـ/ ١١٨٠ـ١٢٢٥م

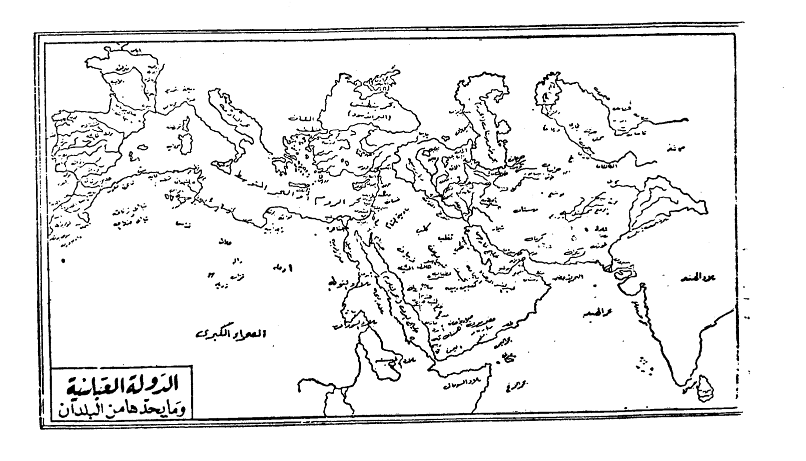
٣٥ ـ الظاهر (أبو نصر محمد بن الناصر) ٦٢٢ـ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥ـ١٢٢٦م

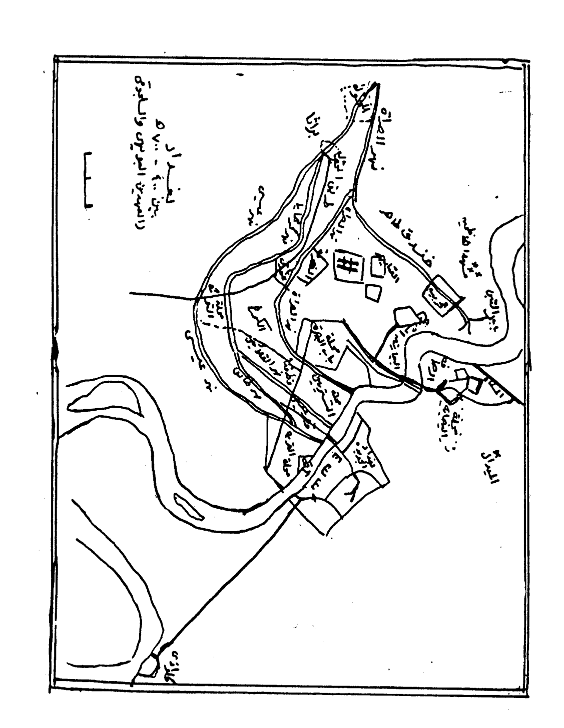
٣٦ ـ المستنصر (أبو جعفر المنصور بن الظاهر) ٦٢٣ـ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ـ١٢٤٢م

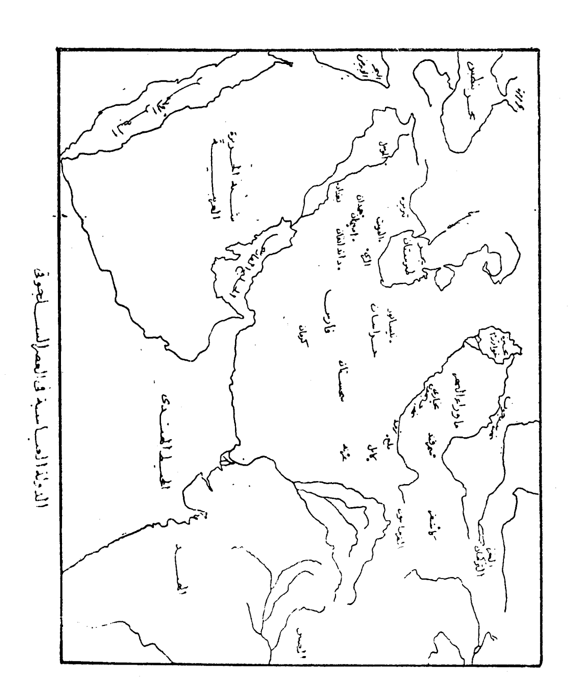
٣٧ ـ المستعصم (أبو أحمد عبد الله بن المستنصر) ٦٤٠ـ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢ـ١٢٥٨م

سلسلة نسب هولاكو

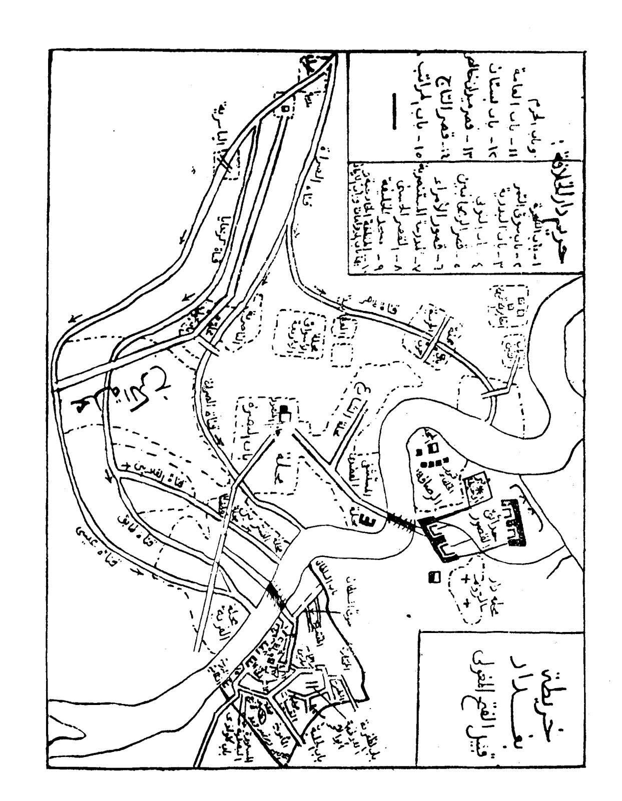


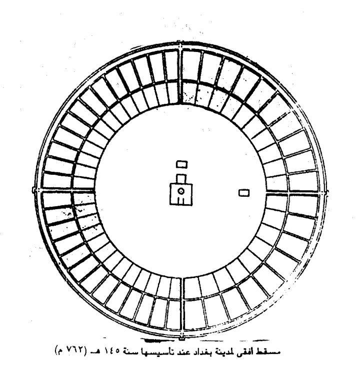

الدولة العباسية
وما يحدها من البلدان
الصحراء الكبرى



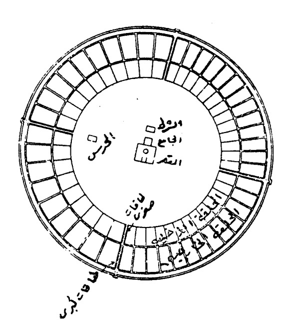


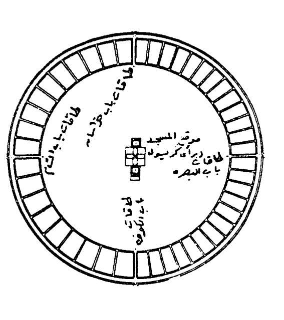
الدولة العباسية في العصر السلجوقي





مسقط افقي لمدينة بغداد عند تأسيسها سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م)







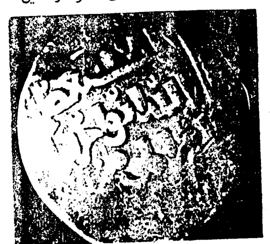
شكل : (٢٠) جامع سامرا ومئذنته الملويه . العراق سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م)




دينار عباسى علية اسم الخليفة الامين
ضرب سنة خمس وتسعين ومئة




دينار عباسى بهامشين فى الوجه عليه اسم المأمون
ضرب مصر سنة احدى عشرة ومئتين



عملة باسم المستعصم بالله أمير المؤمنين بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة

قائمة المصادر والمراجع

اولا : المصادر

١ ـ القرآن الكريم :

ـ ابن الأثير : عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم (ت ٦٣٠هـ)

٢ ـ الكامل فى التاريخ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ .

ـ البلاذرى : أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ)

٣ ـ أنساب الأشراف ، تحقيق محمد حميد الله ، بيروت ، ١٩٥٩م.

ـ الجهشيارى : أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ)

٤ ـ الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

ـ ابن الجوزى : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد (ت٥٩٧هـ)

٥ ـ المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .

ـ أبو الحسن الروحى : على بن أبى عبد الله محمد بن عبد العزيز الروحى (ت٥٧٦هـ)

٦ ـ بلغة الظرفاء فى تاريخ الخلفاء ، تحقيق عماد أحمد هلال ؛ محمد حسنى عبد الرحمن؛ سعاد محمود عبد الستار، القاهرة، ٢٠٠٤م.

ـ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر (ت٨٠٨هـ)

٧ ـ المقدمة ، دار صادر ، بيروت ، د. ت .

ـ ابن خلكان : أبو القاسم شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)

٨ ـ وفيات الأعيان : بيروت ، ١٩٦٨م .

ـ السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ)

٩ ـ تاريخ الخلفاء ، مكتبة الثقافة الدينية ، ٢٠٠٣م .

ـ الإصطخرى : أبو إسحاق بن محمد الفارسى الاصطخرى (ت٣٠٩هـ)

١٠ ـ المسالك والممالك : دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

ـ الأصفهانى : على بن الحسين بن محمد بن الهيثم (ت٣٥٦هـ)

١١ ـ مقاتل الطالبيين ، بيروت ، ١٩٨٧م .

ـ ابن طباطبا : فخر الدين محمد بن على المعروف بابن الطقطقى (ت٧٠٩هـ) :

١٢ ـ الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

ـ الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)

١٣ ـ تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر ، ١٩٧٩م .

ـ ابن عبد ربه : شهاب الدين أحمد (ت٣٢٩هـ)

١٤ ـ العقد الفريد : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٤م .

ـ ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)

١٥ ـ الإمامة والسياسة ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

ـ القزوينى : أبو عبد الله زكريا محمد بن محمود (ت٦٢٨هـ)

١٦ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٤م .

ـ القلقشندى : أبو العباس أحمد (ت٨٢١هـ)

١٧ ـ صبح الأعشى فى صناعة الإنشا : الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٤م .

– ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)
١٨ – البداية والنهاية : مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ٢٠٠٥م .

– الماوردى : أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى (ت٤٥٠هـ)
١٩ – الأحكام السلطانية والولايات الدنية : دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٨٥م .

– المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين بن على (ت٣٤٦هـ)
٢٠ – التنبيه والإشراف : ليدن ، ١٩١٤ .
٢١ – مروج الذهب ومعادن الجوهر : المكتبة العصرية ، بيروت ، (د. ت) .

– ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ)
٢٢ – معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، (د. ت) .

– اليعقوبى : أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت٢٨٢هـ)
٢٣ – تاريخ اليعقوبى : دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٥م .

ثانيا *المراجع* :

– إبراهيم أحمد العدوى :
١ – تاريخ العالم الإسلامى ، معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٨٢م .

– إبراهيم أيوب :
٢ – التاريخ العباسى السياسى والحضارى ، الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٩م.

ـ إبراهيم فرغلى :

٣ ـ العصر العباسى الأول ، مكتبة دار العلم ، الفيوم ، ٢٠٠٥م .

ـ آدى شير :

٤ ـ الألفاظ الفارسية المعربة ، دار العرب للبستانى ، ١٩٨٨م .

ـ أحمد أمين :

٥ ـ ظهر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

ـ أحمد رمضان أحمد :

٦ ـ حضارة الدولة العباسية ، الجهاز المركزى للكتب الجامعية ، ١٩٧٨م .

ـ أحمد شلبى :

٧ ـ موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٥م .

٨ ـ حركات فارسية مدمرة ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م .

ـ إنهارد :

٩ ـ سيرة شارلمان ، ترجمة عادل زيتون ، دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٩م .

ـ حسن إبراهيم حسن :

١٠ ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦م .

ـ حسن أحمد محمود ؛ أحمد إبراهيم الشريف :

١١ ـ العالم الإسلامى فى العصر العباسى، دار الفكر العربى، ١٩٧٧م.

- حسين مؤنس :
١٢ - تنقية أصول التاريخ الإسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥م .
- درويش النخيلى :
١٣ - السفن الإسلامية على حروف المعجم ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٤م .
- زين العابدين شمس الدين :
١٤ - معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور :
١٥ - أوربا العصور الوسطى ، جـ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٦م .
- السيد دحلان :
١٦ - تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ٢٠٠٠م .
- السيد عبد العزيز سالم :
١٧ - العصر العباسى الأول ، مؤسسة شباب الجامعة (د. ت) .
عبادة عبد الرحمن كحيلة :
١٨ - الزط والأصول الأولى لتاريخ الغجر ، القاهرة ، ١٩٩٤م.
١٩ - العقد الثمين فى تاريخ المسلمين ، دار الكتاب الحديث ١٩٩٦م .
٢٠ - محاضرات فى تاريخ الدولة العباسية ، القاهرة ، ١٩٨٥م .
- عباس محمود العقاد :
٢١ - التفكير فريضة إسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م.

- عبد الحليم عويس :
٢٢ ـ بنو أمية بين الضربات الخارجية والإنهيار الداخلى ، دار الصحوة ، ١٩٨٧م.
- عبد الناصر إبراهيم :
٢٣ ـ تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠١م .
- عبد النعيم حسنين :
٢٤ ـ سلاجقة إيران والعراق ، القاهرة ، ١٩٥٩م .
- عصام الدين عبد الرؤوف :
٢٥ ـ الدولة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٥م .
٢٦ ـ الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٩م.
- عطية القوصى :
٢٧ ـ تاريخ الدول العباسية ، دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٥م .
- على محمد راضى :
٢٨ ـ المأمون العباسى ، الدار القومية للطباعة والنشر (د. ت) .
- عمر فروخ :
٢٩ ـ تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٠م .
- فريد الرفاعى :
٣٠ ـ عصر المأمون ، جـ١ ، القاهرة ، ١٩٢٧م .

ـ فلهوزن :

٣١ ـ تاريخ الدولة العربية ، ترجمة عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

ـ محمد بركات البيلى :

٣٢ ـ دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، القاهرة ، ١٩٨٦م .

٣٣ ـ الدعوة العباسية ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٦م .

٣٤ ـ صفحات من تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ٢٠٠٤م .

ـ محمد الطيب النجار :

٣٥ ـ الدولة الأموية فى الشرق ، مكتبة الجامعة الأزهرية ، ١٩٦٢م.

ـ محمد حلمى محمد أحمد :

٣٦ ـ الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

ـ محمد محمود إدريس :

٣٧ ـ تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، مكتبة نهضةالشرق ، ١٩٨٥م .

ـ ملى حسن أحمد محمود :

٣٨ ـ دراسات فى العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية فى العصر العباسى الأول ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٠م.

ـ مصطفى طه بدر :

٣٩ ـ محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .

ـ هارى سينت :

٤٠ ـ هارون الرشيد ، ترجمة صبرى محمد حسن ، كتاب الهلال ، ١٩٥١م .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
الفصل الأول:	
سقوط الدولة الأموية	٥ ـ ١٦
الفصل الثانى:	
الدعوة العباسية	١٩ ـ ٤٢
أ ـ الطموح السياسى للعباسيين	١٩ ـ ٢٥
ب ـ تنظيم الدعوة وتطورها	٢٥ ـ ٢٧
جـ ـ رجال الدعوة	٢٧ ـ ٣١
د ـ النقباء	٣١ ـ ٣٢
هـ ـ أبو مسلم الخراسانى وقيام الثورة	٣٢ ـ ٣٩
و ـ عوامل نجاح الدعوة العباسية	٣١ ـ ٤٢
الفصل الثالث:	
العصر العباسى الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ)	٤٥ ـ ١٣٨
١ ـ أبو العباس السفاح	٤٦ ـ ٥٣
٢ ـ أبو جعفر لمنصور	٥٣ ـ ٧٨
٣ ـ محمد المهدى	٧٨ ـ ٨٧
٤ ـ موسى الهادى	٨٨ ـ ٩٢
٥ ـ هارون الرشيد	٩٣ ـ ١٠٤
٦ ـ محمد الأمين	١٠٥ ـ ١١١
٧ ـ المأمون	١١١ ـ ١٢٧

٨ ـ المعتصم .... ١٢٧ ـ ١٣٥
٩ ـ الواثق بالله .... ١٣٥ ـ ١٣٨
الفصل الرابع:
السياسة الخارجية للدولة العباسية .... ١٤١ ـ ١٧٨
١ ـ العلاقات بين العباسيين والبيزنطيين .... ١٤٢ ـ ١٥٢
٢ ـ العلاقات بين العباسيين ودولة الفرنجة .... ١٥٢ ـ ١٥٦
٣ ـ علاقات العباسيين مع الأمويين بالأندلس .... ١٥٦ ـ ١٦٠
٤ ـ العلاقات بين العباسيين والمغرب الإسلامى .... ١٦١ ـ ١٧٠
٥ ـ العلاقات بين العباسيين ودول جنوب شرق أسيا .. ١٧١ ـ ١٧٨
الفصل الخامس:
العصر العباسى الثانى (٢٣٢ـ٦٥٦هـ) .... ١٨١ ـ ٢١٩
١ ـ ظهور العنصر التركى .... ١٨٣ ـ ١٩٣
٢ ـ عهد نفوذ الأتراك من المتوكل حتى المهدى ..... ١٩٣ ـ ٢٠٣
٣ ـ نهضة وانتعاش الخلافة .... ٢٠٤ ـ ٢١٢
٤ ـ عصر إمرة الأمراء .... ٢١٣ ـ ٢١٩
الفصل السادس:
الخلافة العباسية فى عصر بنى بويه (٣٣٤ـ٤٤٧هـ) ..... ٢٠٣ ـ ٢٣٢
الفصل السابع:
الخلافة العباسية فى العصر السلجوقى (٤٤٧ـ٦٥٦هـ)..... ٢٣٥ ـ ٢٦٥
١ ـ استيلاء السلاجقة على العراق........................ ٢٤١ ـ ٢٤٧
٢ ـ سياسة السلاجقة مع الخلفاء العباسيين .... ٢٤٧ ـ ٢٥٠
٣ ـ عصر سلاطين السلاجقة العظام........................ ٢٥٠ ـ ٢٦١

٤ ـ عصر انقسام السلاجقة .... ٢٦١ ـ ٢٦٤
٥ ـ الدولة الخوارزمية وسقوط الدولة السلجوقية .... ٢٦٤ ـ ٢٦٥

الفصل الثامن:

المغول وسقوط الخلافة العباسية (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) ...... ٢٦٩ ـ ٢٧٤

الملاحق .... ٢٧٦ ـ ٢٨٩

الصور والخرائط .... ٢٨١ ـ ٢٨٨

قائمة المصادر والمراجع .... ٢٨٩ ـ ٢٩٥

